إستراتيجية الثورة

من الشعور بالمسؤولية الى المواجهة الشاملة

الدكتور
عبدالله علي أبو السمن



عالم الكتب الحديث
Modern Book's world
للنشر والتوزيع

إستراتيجية الثورة

من الشعور بالمسؤولية الى المواجهة الشاملة

الدكتور

عبدالله علي أبو السمن

ABDSAMIN@YAHOO.COM

عالم الكتب الحديث

Modern Books' World

إربد- الأردن

2012

الكتاب

استراتيجية ثورة من الشعور بالمسؤولية إلى المواجهة الشاملة

تأليف

عبدالله علي أبو السمن

الطبعة

الأولى، 2012

عدد الصفحات: 170

القياس: 17×24

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية

(2012/4/1296)

ISBN 978-9957-70-591-6

الناشر

عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع

إربد- شارع الجامعة

تلفون: (00962 -27272272) خلوي: 0785459343

فاكس: 00962 -27269909

صندوق البريد: (3469) الرمزي البريدي: (21110)

E-mail: almalktob@yahoo.com
almalktob@hotmail.com
www.almalkotob.com

الفرع الثاني

جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع

الأردن- العبدلي- تلفون: 079 /5264363

مكتب بيروت

روضة الغدير- بناية بزي- هاتف: 00961 1 471357

فاكس: 00961 1 475905

إن ما تحتاجه أمتنا هو قيادة مخلصة لديها مشروع متكامل

وخطة عمل، تلملم شتاتها وتوحد جهودها وتستنهض طاقاتها

من أجل استعادة كرامتها وحريتها ونهضتها

في إطارالشرع الرباني وتحت راية الخلافة الإسلامية والحكومات

الراشدة

إضافة لشعوب مؤمنة بربها وبواجبها تجاه نفسها والآخرين

ومستعدة للجهاد والتضحية في سبيل تحقيق العدالة للبشرية جمعاء

الكاتب

إهداء

إلى أمتنا المسلمة: أفرادا وتنظيمات ومؤسسات وشعوبا وجيوشا وقادة
إلى الشام الأرض المباركة

إلى مؤتمر الأمة في الوطن العربي

إلى تيار الأمة في بلاد الشام

إلى أهل بيتي وأسرتي

وإلى كل من له فضل علي

إليكم أنتم جميعا أهدي هذا العمل

محتويات الكتاب

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيد المرسلين وإمام المجاهدين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن استن واهتدى بهديهم إلى يوم الدين.

جاء هذا الكتاب في ظل سنوات الظلم والقهر التي يعيشها المواطن العربي من أنظمة سرقت وانتزعت منه كل أشكال الحمية والكرامة، وفي ظل التمزق والانقسام التي تجعل من الوطن العربي والأمة المسلمة في حالة من الهشاشة والضعف عملت على تكريس الانكسار وديمومة الالتحاق بالنظام الدولي، وفي ظل احتلال الأراضي العربية والإسلامية في فلسطين والعراق وأفغانستان، والتدخل المباشر من القوى الكبرى في كل شؤون حياة أمتنا، وفي ظل حالة من إجرام الحكومات والأنظمة في مواجهة الشعوب وحركتها نحو التحرر للخروج من التيه الذي تعيشه في غياب شريعة ربها.

جاء من تفاعل مشاعر القهر والظلم ودموع العجز التي تنهمر على دماء الأطفال والنساء والشيوخ التي تقتل في طرقات عالمنا العربي على مرأى ومسمع من الإجرام العالمي، ومن وحي التشرد واللجوء القاتل في مخيمات الإهانة والأسر في دول الطوق العربي الخانق، ومن عذابات وبرد السجون والزنازين الضيقة في الدوائر الأمنية التي تحارب كل تطور في فكر ومشاعر أمتنا، ومن شوق الخطى المكلومة بفعل سياط الجلادين للسير على رمال شواطئ حيفا وعكا وغزة، وشوق الروح المغتربة للصلاة تحت القبة الصفراء وملامسة مربط البراق وجدران الأقصى الحزين.

جاء كخطة واستراتيجية عمل شاملة للبحث عن حالة من الوحدة المبرمجة لقوى الأمة الصادقة وقادتها ومفكريها للالتقاء على أهداف محددة لاستعادة حريتها المسلوبة وحشد طاقاتها المخلصة لمواجهة المخاطر التي تحيط بها، ومن أجل صياغة نظرية لبناء المعسكر العالمي العربي والمسلم المستضعف في الأرض في مرحلة التحول وثورته لمواجهة الظلم والاستبداد البشري الذي تقوده قوى الظلام والشر التي تتحالف مع قوى المال والسلاح ومافيا الفساد العالمية، وتنقاد للحكومات الخفية المرتبطة بالصهيونية العالمية.

بدأت كتابة هذا الكتاب منذ عام 2009 من خلال رسائل موجهة إلى أمتنا المسلمة: أفرادا وتنظيمات ومؤسسات وجيوشا وقادة، وكانت الرسالة الأولى هي ملامح الإستراتيجية والخطة العامة، ومن خلال كتابة العديد من المقالات التي تتابع الحالة المتطورة في واقع الأمة العربية المسلمة، وتتابع خطوات ثورتها المباركة من تونس إلى سوريا ضمن رؤية شاملة تتوافق مع عناصر الخطة العامة التي تشمل: تحليل الواقع والأهداف البعيدة والمرحلية، والكفاءات البشرية، والإمكانات المادية والمالية، والجدولة الزمنية، وتحديد المكان، والإجراءات والأساليب، والنقد الذاتي لتقييم الواقع والمشاريع المتصارعة عليه.

ففي الفصل الأول: واقع الحال: أمة في خطر، أشار الكتاب إلى ديمومة الصراع والأسباب التي رفعت من وتيرته والدوافع التي ينطلق منها، كما أشار الكتاب إلى الأخطار الدائمة التي تعاني منها أمتنا والتي تنقسم إلى أخطار خارجية تشمل: الخطر العسكري والتغريب الثقافي، والأخطار الداخلية التي تشمل: تبعية الأنظمة العربية للنظام الدولي الذي يعادي أمتنا، والتقسيم الناتج عن سايكس بيكو 1، والإحتلال والوجود الإسرائيلي في المنطقة، وحالة الترهيب المنظم من قبل الأنظمة للشعوب، إضافة إلى تسمية المخاطر المتغيرة التي يستخدمها العدو عند الحاجة مع الأنظمة في عالمنا العربي والإسلامي.

أما الفصل الثاني: ملامح الإستراتيجية والخطة العامة، فقد أشار الكتاب إلى عناصر الخطة العامة وهدفها الإستراتيجي باستعادة الخلافة الراشدة وأهدافها المرحلية لرفع سوية الإنسان العربي ووحدة الأمة في جميع المجالات، وبناء الخطط المرحلية، وإزالة العدو الإسرائيلي، وتفعيل الوسائل والإجراءات الممكنة، واستعادة حرية الإنسان العربي، وتمكين الحكم الراشد في وطنه والوصول إلى نشر العدل على البشرية جمعاء.

ولتحقيق هذه الأهداف تم تحديد مجموعة من المراحل التي تبدأ بتشكيل النواة الصلبة، والإعلان عن مؤتمر وقيادة الأمة، وإيجاد موطئ القدم الآمن للإنطلاق نحو تحقيق الأهداف، ودعم حالات التغير والتوحد في العالم العربي والإسلامي للانتقال إلى مرحلة التوسع الحضاري ومن ثم إعلان الأرض أمة مسلمة لله مع عدم إغفال المراجعة الدائمة

لخطة العمل مع العلم أن كل مرحلة من المراحل الثلاث الأولى والتي تبدأ من 2009 تحتاج إلى سنتين لاستكمال دورتها.

وقد فصل الكتاب في الإجراءات التحضيرية في هذا الفصل لكل مرحلة وما هي مستلزماتها لتحقيق الأهداف الموضوعة للخطة واقترح آلية عمل تشمل الوطن العربي وتقسيمه إلى وحدات إقليمية والعمل من خلال أقطاره على نظام الدوائر المتقاطعة ووضح التغيرات المحتملة على الحالة البشرية وظروف البيئة المحيطة في عالمنا العربي والإسلامي.

أما الفصل الثالث من الكتاب: خطوات العمل: من الشعور بالمسؤولية إلى المواجهة الشاملة الذي استوحى هذا الكتاب العنوان منه، فقد أشار إلى خمس خطوات شملت: المسؤولية الفردية، والشراكة في المواجهة، ومن ثم حشد الطاقات وتوزيع الأدوار، ومن ثم إزالة المعيقات وصولا إلى المواجهة الشاملة.

وقد وضح الكتاب في هذا الفصل المقصود بكل مفهوم من المفاهيم السابقة وتوسع في توضيح المعيقات في الجوانب المعرفية والوجدانية والسلوكية والحدود الجغرافية والدستورية والعسكرية الداخلية والخارجية والمالية.

وفي الفصل الرابع: تحديد مكان الصراع فقد اشتمل على بابين هما:

أ- دائرة الصراع: في الإسراء بشائر النصر

ب- بؤرة الصراع في بلاد الشام

وبالنسبة للباب الأول من الفصل الرابع دائرة الصراع: في الإسراء بشائر النصر، فقد تناول الكتاب الآية الأولى من سورة الإسراء ووقف على دلالة مفرداتها من خلال إيجاد العلاقات الرابطة بين المفردة ومثيلاتها في القرآن الكريم وكذلك العلاقات الرابطة بين المفردة ومشتقاتها في السورة نفسها، وتوصل الكتاب من خلال هذا الربط إلى تحديد دائرة الصراع والتي تشمل دائرة نصف قطرها من المسجد الحرام في مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى في القدس من بلاد الشام ، حيث شملت هذه الدائرة مراكز الخلافة الإسلامية على مدار التاريخ من اسطنبول شمالا إلى مكة جنوبا ومن الأهواز شرقا إلى الحدود الليبية غربا.

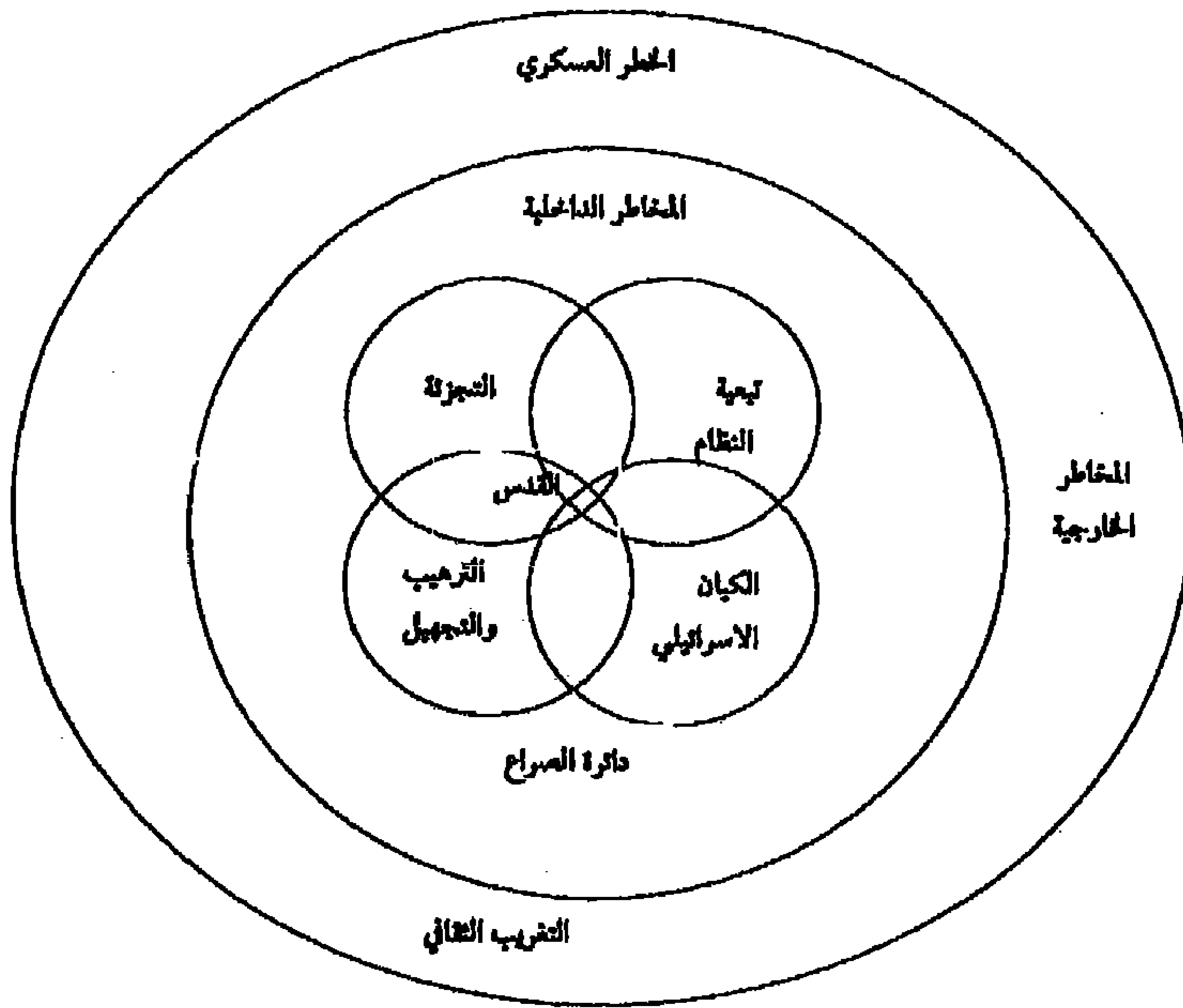
وبالنسبة للباب الثاني من نفس الفصل، بؤرة الصراع: بلاد الشام فقد بحث الكتاب في بركة ومناقب بلاد الشام في القرآن والسنة وحدد حدودها قبل وإثناء البعثة لتتسع المنطقة من الفرات إلى العريش ومن جنوب تركيا إلى تيماء ولتشمل الأهواز إلى النيل.

وقد أشار الكتاب إلى معركة مؤتة كنموذج على مجريات الخطة العامة موضحا بها عناصر الخطة وكذلك المبادئ العامة لمعركتنا مع الأمم من خلال العهدة العمرية لأهل ايلياء من النصارى واستنهض الأمة لأهمية بلاد الشام وشمولية المعارك التي تجري على أرضها وأهمية جندها في القادم من الملاحم الكبرى.

أما الفصل الأخير، الفصل الخامس: المشاريع المتصارعة بين النقد الذاتي وإمكانية النهوض،فقد تتطرق الكتاب إلى تجربة العمل الإسلامي، التي لم تتعامل مع المخاطر التي تعاني منها الأمة كوحدة واحدة وبعض جوانب الخلل من أجل علاج مظاهر الضعف والوهن التي تعاني منها الأمة وتم التفصيل بالمشاريع التي تتصارع على دائرة الصراع ومركزها القدس وبلاد الشام وهذه المشاريع تشمل المشروع الغربي الصهيوني والمشروع الشرقي الصفوي والمشروع العربي كمشروع أمة الاسلام ، الذي تحاول الثورة العربية الناشئة أن تمهد له الطريق إضافة إلى الدور التركي بالمنطقة، وتم التطرق إلى مفاهيم هذه المشاريع ومصادر قوتها ومكامن ضعفها وكذلك المبادئ التي يمكن من خلالها أن نحكم على الثورة العربية أنها نجحت وحققت أهدافها وعلى رأس هذه المعايير القيادة والموحدة ووحدة الأمة وجعل القدس قضية الثورة المركزية ورفض الاستقواء بالأجنبي.

إن هذا الكتاب يأتي في هذه المرحلة الهامة من حياة أمتنا العربية المسلمة، من أجل إرشاد وترشيد الحراك الجماهيري القادم لتحرير أمتنا من خلال النموذج الذي يقدمه كمشروع متكامل يمكن الأخذ به جميعا أو الأخذ بما يتناسب منه لمنطقة ما أو القياس عليه، ونسأل الله العلي العظيم أن يكتب لنا ولكم الأجر وأن ينفع به أمتنا وان يستخدمنا جميعا لاستعادة مجدها وحضارتها والتخلص من أعدائها واستعادة ثرواتها المنهوبة تحت راية الخلافة الراشدة والحكومات الراشدة.

الكاتب



المخاطر الدائمة الداخلية والخارجية التي تعاني منها الأمة

الفصل الأول

واقع الحال: أمة في خطر

تمهيد

يتواصل صراع الخير والشر منذ اللحظات الأولى في تاريخ البشرية، صراع لم تضعف حدته آلاف السنين من عمر الإنسانية، اتخذ أشكالا مختلفة، ارتبطت بالطبيعة البشرية، والتغيرات الطارئة على أفكارها وقدراتها وإمكاناتها المادية وتحالفاتها وحالات الضعف والقوة وتحولاتها. وفي هذه الأيام يقود الشر قوى توصف بالعظمى تجند له الجيوش والإعلام والرأي العام والجيوش والشعوب التابعة، وعلى رأس هذه القوى الولايات المتحدة وإدارتها المتصهينة وحلفاؤها وعملاؤها في المنطقة العربية والإسلامية ،وهي تحاول بكل ما أوتيت من قوة ودهاء أن تقضي على وجود وعقيدة الأمة الإسلامية والعربية ومنظوماتها.

هذا الصراع زادت حدته في العقود الثلاثة الأخيرة للأسباب التالية:

أ- شعور الغرب بقيادة الولايات المتحدة بوجود خطر داهم على قاعدته العسكرية المتقدمة في المنطقة دولة الفساد ورجسه الخراب "الكيان الصهيوني"، بعد أن تمكنت الإنتفاضة الفلسطينية الأولى والثانية من إضعاف المؤسسة الاقتصادية، والسياسية، والأمنية والعسكرية لهذه الدويلة بفعل الضربات الناجحة للعمليات الإستشهادية في عمقها؛ مما جعلها غير قادرة على مواجهة الأزمات المتلاحقة، وأدى إلى إضعافها وإضعاف قدرتها على ضبط وضعها الداخلي، إضافة للفساد الأخلاقي والمالي وانتشار المخدرات والعلاقات المثلية على أعلى المستويات، ولم تعد هذه الدويلة قادرة على استحداث قيادة جديدة كالتي أخذت على عاتقها قيام مشروع الدولة الإسرائيلية، كما تزايد الخوف والرعب النفسي بين أبناء شعبها بفعل العمليات

والقدرات العسكرية الناشئة في المنطقة خاصة بعد حرب تموز في لبنان وحرب غزة التي أظهرت كيانهم في أدنى مستوى عسكري وتنظيمي وشعبي ونفسي.

ب- العزلة العالمية للأمريكان ودولتهم، خاصة بعد مؤتمر دوربان الحقوقي الأول 9/ 2001، قبل ضربات 11 أيلول بثلاثة أيام عندما أجمعت آلاف المؤسسات المدنية غير حكومية على عنصرية الولايات المتحدة والدويلة الإسرائيلية في تعاملهما مع قضايا وحقوق الإنسان وخاصة القضية الفلسطينية .

ج- انكشاف كذب الغرب وأمريكيا في معركتي العراق وأفغانستان وقتل المدنيين العزل بأعداد كبيرة، إلى جانب الوضع الاقتصادي الذي بدأت تظهر فيه مؤشرات التراجع ومنها: ضعف شركات الاقتصاد الأمريكية وانهيار بنوكها وزيادة المديونية والبطالة وانتشار الفساد المالي والإداري مما يهدد المنظومة الرأسمالية بكاملها، وكذلك بروز الاقتصاد المنافس في كل من الصين واليابان والهند وتركيا.

د- تشعب مشاكل الولايات المتحدة الاقتصادية والفكرية والعسكرية والأمنية وغيرها مما يهدد بغيابها عن الساحة الدولية وانطوائها على نفسها، ويهددها بالإنقسام، وهذا ما دفع بها لاستصدار القوانين والأنظمة العالمية الملزمة للشعوب والأمم الأخرى- في سباق مع الزمن- للانسياق خلف المفاهيم الأمريكية في إطار من عولمة كافة القضايا وشؤون الحياة وذلك لضبط القانون الدولي ومؤسساته ضمن الرؤى والتوجهات الأمريكية والغربية ومحاولة تفريغ مشاكلها الداخلية على المستوى الخارجي من خلال النهب والقرصنة وإراقة الدم وقتل شعوب الأمة العربية والإسلامية والعالم الثالث.

وهذه النظرة الصهيوأمريكية العدائية للأمم ليست جديدة وإنما هي قديمة تستمد قوتها وديمومتها من:

أ- نظرة اليهود في العهد القديم والتلمود للشعوب والحضارات الأخرى

فهم ينظرون إلى الشعوب جميعها على أنها جويم (بهائم) يجب التخلص منها والإبقاء على جزء منها للاستخدام ، هذه النظرة التي يلتزم بها الأمريكان التلموديون والمحافظون الجدد (التدبيريون) المتغلغلون في الإدارة الأمريكية و الأوروبية ومحافلها الدولية الظاهرة والخفية، وهذه النظرة هي التي دفعت الولايات المتحدة استجابة للضغوطات الصهيونية لتحريك قواتها العسكرية لمواجهة التنامي العربي و الإسلامي في المنطقة سياسيا وعسكريا واقتصاديا خاصة بعد الأثر الذي أحدثته ضربة "11 أيلول" في استهداف العمق الأمريكي بضربة موجعة أخلت بتوازنهم.

وهذه النظرة هي التي تدفعهم بشكل مستمر لإجهاض مقومات نهضة المسلمين والعرب وغيرهم من المستضعفين في الأرض ونهب خيراتهم، والعمل المستمر للتحكم بالقرار العالمي وبناء الإمبراطورية الأمريكية المحكومة صهيونياً، والتي تهيىء وتجهز وتنتظر خروج المنقذ اليهودي " المسيح الدجال".

ب- الصراعات التاريخية ضد أمة الإسلام

لقد حاول اليهود قتل سيدنا محمد ﷺ قبل بعثته، وحاربوا الإسلام وتعاونوا مع قريش في معاركها ضد الفئة المؤمنة في المدينة المنورة، ثم سقطت مراكز سلطتهم الأولى بني النظير وبني قينقاع وقريظة وخيبر نتيجة غدرهم في أيدي المسلمين، وبعدها توالت هزائم قريش والروم والفرس حتى غدت جزيرة العرب في عهد النبوة مسلمة، وبعدها بسنوات قلائل أصبحت أرض العرب تحت السيطرة الإسلامية وغاب نجم القياصرة والكياسرة عنها.

ومنذ ذلك الحين لم تهدأ حروبهم وتآمراتهم، وتصريحات قادتهم التي تظهر الرغبة بعودة الحملات اليهودية الصليبية لبسط نفوذها السياسي والعسكري على أمة الإسلام ومقدساتها في المدينة والكعبة المشرفة ولم تفتر محاولاتهم لتحقيق هذا على مر القرون.

إنها رغبة جامحة لإنهاء وجود أمة كما حصل في الأندلس، ولتأخير التحرك الإسلامي المرتقب لتحقيق ما أخبر به رسول البشرية محمد عليه الصلاة والسلام عن عودة بيت المقدس وفتح روميا وبلوغ الدين الإسلامي مشارق الأرض ومغاربها.

ج- حاجات القوى العظمى الاستعمارية المستمرة

إن الحاجات الاقتصادية والسياسية وبسط النفوذ تدفع دائما القوى العظمى ومنها الولايات المتحدة اليوم إلى إفراد السيطرة الاستعمارية على المنطقة العربية والإسلامية وخيراتها وثرواتها المعدنية والنفط ومصادره، واستخدام كل ذلك بما يخدم أهدافها الاستعمارية.

وهي تستخدم لتحقيق ذلك الإبقاء على الكيان الإسرائيلي ودعمه المتواصل، والتدخل المباشر بإقامة القواعد العسكرية الدائمة في المنطقة واستقدام الجيوش الجرارة المسبوقة بحملة دعائية لتخويف كل من تسول له نفسه من الأنظمة والشعوب تجاوز السياسية الأمريكية والغربية وأملاءاتهما بالمواجهة الشاملة والتدمير والخراب واستخدام قيادات المنطقة عملاء وأجراء لمشروعهم الأمريكي الصهيوني بحربهم على الإسلام والمسلمين الذين يرفضون التبعية والإنقياد للكفر وأهله بدعوى الإرهاب.

كما تحاول تجزئة الدول العربية والإسلامية مرة أخرى في إطار خارطة شرق أوسط جديد (سايكس بيكو 2) لضمان استمرارية ضعفها على أسس عرقية وطائفية ودينية في ظل الفوضى الخلاقة، فالعراق وأفغانستان، والخليج وبلاد الشام ومصر والسودان وأفريقيا العربية والدول الإسلامية وهكذا، كما أعلن بوش حربا صليبية على (60) دولة استجابة لنداء المؤسسة الصهيونية (من ليس معنا فهو ضدنا). مستخدما ضربة "11 أيلول" حجة لاحتلال أفغانستان، وادعاءاته بأن العراق يشكل خطراً على المنطقة وإسرائيل مفتاحاً للسيطرة على المنطقة، وضرب مقومات نهوضها بتنشيط الحرب على الإسلام والعروبة ونشر الرذيلة والعمالة للغرب وإسقاط كل من تسول له نفسه معارضة ذلك من أنظمة المنطقة واستبدالهم بأنظمة لينة أكثر ضعفا واحتياجا للغرب.

ورغم الضعف العربي تبقى تساؤلات يجب أن لا تغيب عن ذهن المواطن العربي المسلم وعليه أن يعمل لها: كيف إذا نهضت الأمة الإسلامية من غفوتها؟ وتحركت للدفاع عن نفسها؟ وطاردت عدوها؟ واتسعت ساحة الصراع على جميع الجبهات؟ وكيف إذا ما تم إطلاق حرية الشعوب وتنظيماتها وقواها الجهادية؟ وكيف إذا دخلت الكتلة البشرية العربية والإسلامية المنتشرة في العالم على خط المعركة؟ فماذا ينتظر الغرب والولايات المتحدة من أحداث؟ وماذا ينتظر المشروع الغربي الصهيوني من دمار؟ ويضاف إلى ذلك تساؤل آخر هل يمكن وضع خطط للأمة المسلمة لتسريع وتفعيل مشروع نهضتها؟ هذا ما سنحاول التعرف عليه من خلال محتوى هذا الكتاب "إستراتيجية ثورة :من الشعور بالمسؤولية إلى المواجهة الشاملة.

واقع الحال: أمة في خطر

على مر العصور تداعت الجيوش والأمم على أمتنا الإسلامية من أطرافها باتجاه قلبها العربي، في محاولة منها لبسط السيطرة العسكرية الشمولية على الأرض والشعب والثروات والسياسة والاقتصاد والثقافة والقيم، وهي تجند لذلك عددا من أبناء الأمة ليكونوا عونا لها في جيشها وأمنها، وتبحث عن لاعبين سياسيين يتوافقون مع توجهاتها الاستعمارية ولديهم الجاهزية لخدمة مصالحها وتنفيذ سياساتها على أبناء الأمة وليكونوا بديل الغرب في تنفيذ قراراته على العباد والبلاد.

ومن خلال أرزاق هؤلاء السياسيين التابعين وأفضالهم يغدو عموم الناس تبعا لهم وللمستعمرين، وتسود فئات المرتزقة التي تحمي وجود المحتلين ولتصبح بديلا عنهم عند خروجهم من المنطقة، ومع الأيام واحتياجاتها تتزايد طبقات التجار والمنتفعين والسياسيين والعسكريين والأمنيين التي تدور في فلك المشاريع الخارجية التي تعمل على إجهاض مشاريع التحرر في المنطقة.

وقد عانت أمتنا منذ فجر تاريخها ومولدها حول البيت الحرام وحتى اليوم من الهجمات الخارجية الإستعمارية وما صاحبها من مخاطر خارجية وداخلية، دائمة ومتغيرة وتتمثل هذه الأخطار بـ:

أولا: الأخطار الدائمة وتشمل:

1- الخطر الخارجي: وينقسم إلى :

أ- الخطر العسكري.

ب- وخطر التغريب الثقافي.

2- الخطر الداخلي: ويشمل:

أ - خطر تبعية النظام للخارج.

ب- خطر التقسيم والتجزئة.

ج- خطر الوجود الإسرائيلي

د- خطر الترهيب والتجهيل المؤسسي النظامي لأبناء الأمة.

ثانيا: الأخطار المتغيرة وتشتمل على :

الترهيب والترغيب والتعزيز والإغواء، واللعب على المحاور والصراعات المختلفة، وديمومة إشغال الخصوم، واستمرار الاختراق السياسي والعسكري والأمني والإعلامي والإقتصادي، والحصار والإضعاف و لإستدراج وتدويل المشاكل باستصدار القوانين الأممية، واستخدام العقوبات المباشرة والإستفراد وتجفيف المنابع المالية والبشرية وتشتيت الخصوم.

ولكي نفهم خطورة واقعنا وما نعاني منه وكيف تفوق علينا عدونا وأطبق علينا بإحكام حتى كدنا لا نسترشد منه مخرجا فإننا نتناول هذه المخاطر بالتوضيح كخطوة أولى إلى الأمام على طريق البحث من أجل إيجاد حلول لها.

1- الخطر العسكري الخارجي

يمكن اعتبار الخطر العسكري على أنه: أي قوة مجيشة بسلاحها تستهدف جغرافية الأمة احتلالا وتدميرا ونهبا مهما كانت ادعاءاتها وأهدافها وإمكاناتها المادية والبشرية التي تستخدمها لتحقيق هذه الأهداف.

لقد عانت الأمة الإسلامية من هذا الخطر وما زالت تعاني لإضعافها وإنهائها وخاصة عندما يضعف قادة بلادها وينشغل أبناؤها عن مواصلة الجهاد والدفاع عن أرضها، وخلال القرون السابقة من تاريخ أمتنا الإسلامية واجهت العديد من الحملات العسكرية المتواصلة الروسية واليونانية والأرثودوكسية الصليبية، والمغولية، والصفوية الفارسية، ومختلف الباباوات ودول الاستعمار الحديث البريطاني والفرنسي، والأنجلو سكسوني الأمريكي.

إلا أن الأمة دائما ما تصحو وتستقوي على هذا الخطر ولو طال بها الزمن. فقد أثبتت مراحل التاريخ المنصرمة أن هذه الأمة وإن غفلت بعض الوقت عن القيام بواجبها، إلا أن نهضة علمائها وبث روح الإسلام والجهاد بين أبنائها أفرادا وشعوبا يجعلها قادرة على حمل المسؤولية مرة أخرى ويقوي المناعة الداخلية فيها ويبعث روح الحرية والتحرر في أعماقها ويصنع الرجال القادة الذين يحملون على عاتقهم أعباء نهضتها ورد الغاصب عن أرضها ومعالجة جراحها الداخلية.

وأصبح معلوما بالضرورة للبشرية جمعاء من تجارب التاريخ أن أعداء أمتنا هم المهزومون لا محالة ولو بعد حين دون أن تتوقف حركة أمتنا عند حدود تحررها بل تواصل ملاحقة الأعادي إلى عقر دارهم.

وما الحملة الصليبية الجديدة التي يقودها الغرب والصهيونية العالمية على أمتنا والمنطقة العربية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوروبية وعملاء الشرق والعرب بمختلفة عن سابق أخواتها.

هذه هي معادلة الصراع العسكري الذي لم ينته ولم يهدأ في المنطقة، قد أصبحت واضحة لكل ذي لب، فتارة الأمة مهزومة بسبب دعتها وغفلتها وتراجعها عن مصادر القوة، فتستقوي عليها الأمم وتحتل أرضها، وتارة أخرى الأمة منتصرة، بالإعداد والتخطيط والتوحد والتضحية والتجرد لله من كل العصبيات والمصالح الفردية أو الحزبية الضيقة.

وما نراه اليوم من استعداد للثورة وحراك جماهيري وتحضير للجهاد واستعداد للشهادة لهو دليل على تعافي هذه الأمة من صدماتها وانكساراتها التي استمرت أكثر من قرن

وما هي إلا أيام قلائل وتنطلق الجموع من المجاهدين والمدنيين والعسكريين تحمل لواء الحرية موحدة بالله ربها تخوض باقتدار معركة التحرر من كل أنواع المخاطر وأشكال الإستعمار، وحداؤها في ساح الوغى يا خيل الله إركبي.

2 – خطر التغريب الثقافي

لقد أثبتت تجارب الغرب والشرق العسكرية في كل المراحل من مراحل الصراع قدرة الأمة المسلمة على صد الهجمات العسكرية التي تستهدفها، لذا عمل دهاقنة اليهود والغرب بحثا عن سر قوة الأمة ومكامن منعتها، ودراسة لحضارتها - دينها و اقتصادها ومكامن قوة جيشها – أملا بالوصول إلى إضعاف قدرتها على النهوض فعرفوا أن سر قوتها في إسلامها ودينها وعقيدتها التي تشكل الحصن المنيع والدافع القوي لبقائها وحضورها ونهضتها وعليه بدأت محاولاتهم لتغريب هذه الأمة عن مسارها العقدي وحرفها عن مصادرها الشرعية.

ويفهم التغريب الثقافي على أنه: أي قوة داهمة فكرية أو دينية خارجية تسعى إلى تغيير عقيدة المسلمين و شريعتهم وتزوير تاريخهم وتمكين الفساد الأخلاقي والسلوكي بينهم، من أي من العقائد المنحرفة أو الأفكار المحرفة والمبدلة.

ولتحقيق ذلك استخدم العدو منظومة من الممارسات التي تسعى بالأمة للتخلي التدريجي عن مصدر قوتها العقدي والسيطرة عليها ثقافيا وحضاريا لتصبح أكثر طواعية وتبعية للمشروع العسكري الغربي وتوجهاته.

فهو يقتل وينفي ويحتوي العلماء – أداة التوجيه والتحريك للأمة – ويدمر المكتبات – أوعية الحضارة والمعرفة – ويغير معالم الحضارة وينشر دور الفساد والرذيلة بكل ألوانها لرجال ونساء الأمة المسلمة ، ويسعى لبناء طبقة الوصوليين المنتفعين والمستفيدين والمقربين ليعززوا حالة الفساد ويقننوا لها وليبقوا على الأمة و أوضاعها القانونية والسياسية والتربوية في حالة وهن وتبعية كما يريدها المستعمر.

وقد وجد هذا الخطر أيضا من المقاومة الفكرية والفقهية والجهاد الشيء الكثير منذ الحملات الصليبية الأولى التي استهدفت كيان الأمة وأرضها، وتمت مواجهته بصرامة، ولم يجد المستعمر في الغالب مستقرا اجتماعيا وبشريا أو حاضنة ثقافية له، وذلك بفعل استفاقة وعي العلماء والمجاهدين واستعداد الأمة للمواجهة، وانصياع الأمراء والخلفاء للحق وإرادة الأمة وعلمائها، واستعدادهم جميعا للتضحية والجهاد والتقرب إلى الله بالاستشهاد وتقديم الغالي والنفيس لتجهيز الجند وتحريكهم إلى ساح الوغى لحماية حياض الأمة وكياناتها الكبرى.

3 - خطر تبعية النظام

في القرنين السالفين من عمر الأمة ظهرت أشكالا أخرى للخطر نتيجة البحث المعمق في فكر الأمة وآليات خروجها من أزماتها وآليات استغلال العنصر البشري والمادي في داخلها وخارجها وتطور فكر المستعمر وأدواته وإجابته على العديد من الأسئلة المقلقة:

كيف يثري النزعات الداخلية والنزاعات الفقهية؟ وما الأحزاب والطوائف الناتجة عن هذه النزاعات؟ وما إمكانية بذر بذور الخلاف وتعميقها؟ هل ثمة أشخاص فاعلين يبحثون عن ذواتهم وعائلاتهم وعرقياتهم يتطلعون إلى السيادة والحكم؟ وهل هؤلاء مستعدون لتنفيذ برامج الغرب؟ وما إمكانية توفير احتياجاتهم للحكم؟ كيف يرتضي المجتمع المسلم هؤلاء القادة؟ وكيف يمكن صناعتهم كأبطال في بلادهم؟ وما إمكانية إيجاد قضية دائمة تشغل الشعوب عنهم؟.

هذه الأسئلة وغيرها تقودنا للنظر في المخاطر الداخلية، التي منعت وحالت دون نمو وتطور أمتنا في القرن العشرين وعلى قمة هذه المخاطر، خطر تبعية الأنظمة والحكام لأعدائنا.

وخطر التبعية يتمثل: بعدم قدرة قيادات الأمة وشعوبها على اتخاذ القرار المستقل والإنجرار خلف قوى الأعداء في أي مستوى عسكري أو سياسي أو ثقافي أو اقتصادي أو عقدي وتربوي واستمرار الإستجابة لشروطهم ومطالبهم.

هذا الإلتحاق والإنجرار تاريخيا نتج عن كثير من عوامل الضعف والوهن في الأمة واستقواء الأشخاص المنخلعين عن أمتهم وارتباطهم بمعاهدات ومواثيق وقعوا عليها كقادة حكم لحظة خروج المستعمر، ولا زالوا حتى اليوم يحافظون على متطلباتها.

هؤلاء القادة والحكام صنعهم المستعمر أثناء وجوده واختبر ولاءهم وأنزل عليهم ألوان الشرعية ومدهم بأسباب البقاء المادي والعسكري والأمني والإعلامي ليبقوا أسياد الموقف، وأوجد لهم الدساتير والقوانين التي تحميهم و تربط وتكبل الأمة وتمنع حراكها وسمح لهم باستخدام القانون والسلطان والقمع العسكري والسجون ليحافظوا على وجودهم وليمنعوا حراك الأمة تجاه حلحلة قضاياها أو المشاركة المفترضة في بناء عزتها.

ولم يكتف قادة البلاد بهذا بل أوجدوا حولهم طبقات أخرى من الموالين المستنفعين الذي استعدوا لخدمتهم وخدمة أعدائها أيضا، وهكذا ازدادت متوالية العملاء في محيط النظام وفي مؤسسات الحكم نزولا إلى أدنى مؤسسة، ومع الأيام أصبح المجتمع بلا قيادة أمينة ولا شخصية أو هوية ولا تشريع، وأصبح خال من القيم والصدق والنقد والتناصح، خال من العدالة، وأصبح أفراد الشعب عوالق متسلقة متطفلة تخلوا من الثقة المتبادلة مستعبدة لسيدها محكومة لشريعة الرق البشري وشريعة الغاب في ظل نظام الكفر العالمي !.

وحالة التبعية هذه على مدار العقود السابقة لم تنسحب على مؤسسة الدولة وجيشها وأمنها فقط، وإنما بالتجربة والخبرة والمتابعة تجاوزت ذلك إلى المؤسسات المدنية في المجتمع وتنظيماته المدنية والسياسية من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار مرورا بالحركات الإسلامية، وأصبحت ظاهرة الأبوة في العمل الوطني، وظاهرة ولاية الفقيه والأسياد والمشايخ والإخوان الكبار في العمل الإسلامي، وكلهم يتحكمون بالمال والأفراد والقرار وآليات الصرف ونسب الاستفادة ونمو الحسابات الشخصية .

فالتبعية التي نعيشها، جعلت من جميع المؤسسات نهبا لمن يقف على سدة الهرم فيها، وجعلت الأفراد المنتمين لها أرقاء عند سيدهم والجميع أرقاء مستعبدين عند سيد البلاد، وسيد البلاد مسترق وأجير عند أعداء الأمة، وبالتالي يصبح جميع الناس في الدولة يعملون لأعداء الأمة، ينفذون إرادتهم في جميع مجالات التعليم والإعلام والاقتصاد والجيش والأمن

والقانون وكل شأن من شؤون الحياة، حتى مؤسسات التربية والعبادة والمساجد التي توضع لها القوانين الرادعة من مشرقها إلى مغربها مرورا بالمساجد الثلاثة التي تشد الرحال إليها أصبحت مأسورة لصاحب الأمر الذي يدور في فلك أعدائها .

ومن العجب العجاب إذا ما دهى الأمة حرب أو خطب فلا حراك لها ولا لمؤسساتها إلا كما يريد ويأمر ويفتي حاكمها، فتارة يصبح الجهاد واجبا يحشد له العلماء والشيوخ الفتاوى، خاصة إذا ما طلب منهم ولاة الأمر وقادة الأعداء المشاركة به ، كما حصل في أفغانستان وحرب الخليج الأولى ضد العراق، وتارة يصبح الجهاد إرهابا ملاحقاً إذا ما أرادت فئة من الأمة الدفاع عن أرضها ومواجهة أعدائها من الغرب واليهود، فتسن له القوانين وتفتح السجون، ويلقى المجاهدون ألوانا من العذاب الذي تنوء بحمله الجبال لردهم عن دينهم أو لاحتوائهم واستخدامهم من قبل النظام وولي الأمر، فلا معايير لهذه الإشكالات ولا أحكام تطال المجرمين الصامتين والمعوقين عن المشاركة في معركة الأمة مع أعدائها .

وهذا ينسحب أيضا على الإعلام الذي يخدم مصلحة السلطان يزين له ويسبح بحمده ويشكر نعمته ويبرر إجرامه ويستر عيوبه لتبقى الأمة في ضياع وتبعية لا مخرج منها، إلا إذا أدرك الجميع من مواقعهم أنهم في دائرة التبعية المغلقة، وأن عليهم كسر هذا الطوق للتحرر وأن عليهم قول 'لا' وبشكل جماعي لكل التفاهمات المسبقة مع الغرب أو الشرق وعلى الأمة أن تملك قرارها المستقل الذي يحقق مصالحها العليا .

4- خطر التقسيم والتجزئة

إن أشكال الخلل التي وقع فيها المستعمر خلال دوراته التاريخية السابقة نتيجة هزائمه المتكررة وعدم تمكنه رغم تفوقه العسكري والبشري واندحاره وتراجعه وفقدانه لكثير من مواقعه السابقة، دفعه إلى العمل الدؤوب والتخطيط المسبق وبناء العلاقات الفاعلة مع كافة الأطياف في جسم الأمة لربطها بمشروعه الفكري قبل مشروعه العسكري.

ورغم وجود القليل من العشائر والعائلات والأفراد التي ارتضت أن تكون تبعا لـه، إلا أن هذه العائلات ازدادت فاعليتها، عندما مدت بأسباب القـوة والمنعـة عـسكريا وماديـا وسياسيا وصار بإمكانها أن تتولى وتسود مساحات من المناطق المجزأة والمنفصلة عـن بعـضها البعض، بل والمتحاربة لتكريس واقع حدودي - وطني قطري- عدائي محافظ عليـه بالقـانون الدولي والقوة العسكرية الأممية إن لم تستطع القوة العسكرية الداخلية للقطر الواحد المحافظـة عليه ، بحيث لا تسمح لأي قائد مستقبلا يحاول جمع شتات الأمة وإعادة وحدتها أن يتعـدى أو يتجاوز حدود ما رسمت له أقلام المستعمر في تقسيمات سايكس بيكو 1.

إذن لم يكتف المستعمر بالتمدد العسكري ومحاولة تغريب الأمة عـن دينهـا وتعـيين القادة الملحقين بمشروعه من العائلات والأفراد، بل جزأ المنطقة إلى بلـدان لهـا حـدود متفـق عليها بين الدول المستعمرة لا يسمح بتجاوزها، وعين على كـل بلـد قائـدا وجيـشا وعلمـا، ودرب لهم الجند ليحافظوا على الحدود، وأعطى لكل بلد جنسية ونشيدا وطنيا خاصا، فهـذا سوداني وهذا مصري وهذا ليبي وهذا سوري وهـذا أردنـي وهـذا فلـسطيني وهـذا عراقـي وكويتي ومغربي وتونسي وجزائـري، تقـسمت الأمـة إلى أكثـر مـن عـشرين قائـداً وحـدوداً وجنسية.

ويتمثل خطر التقسيم والتجزئة: بحالة الإنقسام والتقسيم القسري الجغرافي بفعل قوة خارجية أو إرادة داخلية بالتوافق مع بعض أبناء الأمة لحكم هذه الأجزاء كمـا حـصل مـن سايكس بيكو (1) أو ما يراد بـ"مشروع شرق أوسط جديد" (2) والمحافظة عليه مـن خـلال القوانين والتشريعات الدولية والجيوش والحدود الوطنية.

إن تجزئة جغرافيا الأمة جاء في إطار خطط ورؤى إجرامية لمئة عـام ، تمنـع إمكانيـة النهوض وتوحد الأمة.

- فالدول ذات الإمكانات البشرية، فقيرة بالإمكانات المادية، والـدول ذات الإمكانـات المادية فقيرة بالإمكانات البشرية، والدول ذات الثروات المعدنية - مثلا النفط - فقيرة بالثروات الزراعية والتصنيعية، والدول الـتي تمتلـك قـدرات زراعيـة تفتقـر للثـروات

المعدنية أو التمويلية لمشاريعها، والدول التي تمتلك كفاءات بشرية لا تجد المؤسسات التي تستوعب كفاءاتها.

- وجميع الدول العربية والإسلامية مرتبط بشكل أو آخر بالنظام الغربي في معاهدات مقيدة لأي حراك يحررها من تجزئتها، فدول ترتبط بفرنسا ودول ترتبط ببريطانيا وأخرى بروسيا وأغلبها بامريكيا وتلك بايطاليا وهذه بروسيا، والدول الكبرى في صراع دائم على مصالحها وتلتقي وتتعاون فقط بالتخطيط في الملمات من أجل تقاسم ثرواتنا، ودول أمتنا العربية رغم ما تعانيه من مصائب لا تتفاهم أو تتوحد على دفع مصائبنا، لأن قرارها مرتهن ومرتبط بالدول الكبرى ومجلس الأمن وهيئة الأمم التي تدار من قبل أعدائنا.
- كما أبقى المستعمر على سبل وأسباب الخلاف والصراع بين هذه الدول لكي يستمر في إثارة عوامل الفرقة كلما لزم فنرى صراعا حدوديا سعوديا يمنيا، وآخر قطريا، ونرى صراعا حدوديا بين سوريا وتركيا على لواء الاسكندرونة، وآخر لبنانيا، وآخر أردنيا، وصراعا مصريا سودانيا في حلايب، ومشكلة الأكراد والشيعة والأقليات المسيحية القبطية والمارونية، والعرقيات المختلفة ، وجنوب السودان ودارفور والصحراء المغربية وهكذا دوامة الصراع والإختلاف بلا نهاية.
- واستمر الغرب بدعم العدو الإسرائيلي في المنطقة لضمان الاتفاقيات والمراقبة والمشاغلة والتدخل كلما لزم لمنع أي شكل من أشكال الوحدة لأمتنا العربية المسلمة.
- وما أن بدأت عوامل الضعف والوهن تظهر في تجزئة سايكس بيكو 1 وإذ سايكس بيكو2 جاهزة لتقسيم المنطقة مرة أخرى ليعيدها إلى صراعات داحس والغبراء فيكثر فيها القتل ويزيد عوامل العداء بينها ويضعف إمكاناتها وقد بدا العد التنازلي للعمل على مشروع خارطة شرق أوسط جديد منذ حرب الخليج الأولى على العراق .

لقد نجح الغرب في القرن الماضي بتمرير سايكس بيكو 1 على الأمة ونجحت أدواته في المنطقة بتثبيت معالم التجزئة الناتجة عنه، فهل تدع الأمة المستعمر الذي لم يغب عن الساحة

ينفذ سايكس بيكو 2؟ وما واجبها نحو سايكس بيكو 1؟ وكيف يمكن التغلب عليه؟ تساؤلات نضعها على الطاولة في وجه أمتنا وقادتها لعلها تجد إجابة.

5 - خطر الوجود الإسرائيلي:

منذ القرن الثامن عشر وفي نهاياته كانت الدعوات البريطانية الفرنسية لليهود للإستقرار في فلسطين، بهدف وضع كيان معادي يدور في الفلك الأوروبي الغربي، ويشكل قاعدة عسكرية أمنية متقدمة يفصل الأمة العربية في آسيا عن إفريقيا، بعد أن تم إضعاف الخلافة الإسلامية العثمانية وتم اختراقها من الداخل، وأخيرا تم القضاء عليها بعد الحرب العالمية الأولى وتنفيذ الوعد الشهير - وعد بلفور - عام 1917 لليهود في العالم لإنشاء وطن قومي لهم على أرضنا فلسطين.

لقد قدم الغرب وعلى رأسهم بريطانيا وفرنسا أرض فلسطين لليهود فعليا عام 1948 وحافظوا خلال عقود طويلة على تفوقهم العسكري إضافة إلى استعدادهم الدائم للتدخل العسكري والسياسي المباشر لحمايتهم والإستعداد الكامل لتغيير أنظمة الحكم العربية وقادتها بما يتطلب استمرار هذه الحماية، واستمرار تمرير مؤامراتها على شعوب المنطقة وتنظيماتها وخاصة شعب بيت المقدس الفلسطيني بالإلتفاف على حقوقه واستيعاب مهجريه واحتواء ثورته وجهاده، والتعاون مع المجتمع الدولي من أجل شرعنة وجودها غير الشرعي.

ولتبرير وتمرير بقاء فترة أطول لهذه الأنظمة التابعة للغرب سمح لها أن تخوض العديد من المعارك مع العدو الإسرائيلي أقرب إلى الشكلية عام 1947-1948، 1956، 1967، 1973، 1978، 1982، والتي أريد من خلالها إظهار العدو كقوة لا تهزم، ولا يمكن ردعه بواسطة السلاح، ولتمرير مؤامرات سياسية تصالحية أثناء وبعد الحرب، فانهزمت أمامه الحكومات والجيوش، ومع ذلك بقيت الأنظمة على رأس الحكم، تعيث فسادا وخرابا وتعيد الأمة في كل معركة إلى ما دون الصفر وتحولت الأنظمة عن تبني القتال العسكري والجهاد لتبني التفاهمات السلمية مع العدو.

إلا أن شعوب الأمة التي انهزم قادتها وجيوشها وانكسر قلبها وانفطر عزمها عدة مرات نتيجة هذه الحروب لا زالت على عهدها، تجدد العزم في كل مرة على خوض جولة ثانية أملا بالنصر، ولهذا خاضت قوى الجهاد والمقاومة الشعبية عدة معارك مع العدو أظهرت حقيقة وجه العدو الإسرائيلي البشع ومدى ضعفه، وأظهرت مدى قوة الأمة وقدرتها على المواجهة، وأنها تختزن في روحها معركة المصير القادمة بزوال هذا المشروع، فمنذ انطلاقة منظمة التحرير علي أسس وطنية 1965 وبداية التحول إلى العمل الإسلامي مع بداية الثمانينات، وانطلاق عمليات سرايا الجهاد الإسلامي، التي ورثت قدراتها حركة الجهاد الإسلامي "فلسطين" مع نهاية الثمانينات، وانبعاث انتفاضة الحجر في نهاية عام 1987 وتواصلها إلى ما بعد حرب الخليج الأولى، وانطلاق حركة حماس كمقاومة على أرضية إسلامية، واستمرار حركة الجهاد وظهور كتائب الأقصى وألوية الناصر صلاح الدين، والقوى السلفية الجاهدة (جيش الإسلام وجيش الأمة وغيرها)، حيث قدمت هذه التنظيمات أروع ملحمة في الفداء والشهادة والقوة أذهلت العالم العربي والغربي والعدو الإسرائيلي، وصولا إلى انتفاضة الأقصى، وتطور القدرة العسكرية للمقاومين والمقاومة وإنهاك العدو الإسرائيلي وجيشه وأمنه، ثم حرب تموز وحرب غزة التي لم ينجز فيهما العدو نصرا ، كل هذه الحروب أثبتت قدرة الشعب والأفراد على العمل والإنجاز والتحرير، في حين لا يزال النظام العربي والإسلامي يمارس هواية الصمت والتآمر على الجهاد ومحاربة المقاومة الشعبية بغض النظر عما تحمله من أفكار.

وحتى نفهم حجم الخطر المحيط بنا في السنوات القادمة من وجود المشروع الصهيوني عدا عن السنوات التي مضت من إحتلاله لأرض بيت المقدس وتجزئة الأمة وإثارة الحروب والصراعات بينها والحفاظ على عمالة وضعف النظام العربي والعلاقة التبادلية النفعية القائمة بينهم. فإننا نستعرض مخططاته ومشاريعه من خلال ما ورد في كتاب أحمد نوفل "دور إسرائيل في تفتيت الوطن العربي".

ويعرض فيه المشروع الخطير الذي اقترحه المؤرخ الصهيوني الأميركي "برنارد لويس" ونشرته مجلة أصدرتها وزارة الدفاع الأميركية في يونيو/ حزيران سنة 2003، ويقترح فيه

تقسيم الشرق الأوسط إلى أكثر من ثلاثين دويلة أثنية ومذهبية بهدف الحفاظ على المصالح الأميركية وإسرائيل.

وتضمن المشروع تجزئة العراق إلى ثلاث دويلات، وإيران إلى أربع، وسوريا إلى ثلاث، والأردن إلى دويلتين، ولبنان إلى خمس دويلات، وتجزئة السعودية إلى دويلات عدة... الخ ويرى برنارد لويس أن كل الكيانات ستشلّها الخلافات الطائفية والمذهبية، والصراع على النفط والمياه والحدود والحكم، وهذا ما سيضمن تفوّق إسرائيل في الخمسين سنة القادمة على الأقل.

أما بالنسبة للأقليات في الوطن العربي فقد سعت "إسرائيل" وتسعى إلى تضخيم مشكلتها العرقية والدينية ليتم استغلالها ضد أي مشروع وحدوي، وحضها على التمرد والانفصال، رغم أن العرب يشكلون 88٪ من سكان العالم العربي، أما الأقليات الأخرى فتتوزع على الأكراد والبربر والزنوج والتركمان، وهناك أقليات دينية مسيحية ويهودية.

ومع أن 91٪ من سكان العالم العربي من المسلمين (84٪ منهم من السُنّة، و 5٪ من مجمل السكان من العرب المسيحيين). والجميع يتحدثون العربية ويشعرون بانتمائهم الحضاري والثقافي للمنطقة ، كما تُظهر الكثير من الأقوال والكتابات والدراسات الإسرائيلية أن الموقف الصهيوني من الأقليات في الوطن العربي مبني على أساس قاعدة "شد الأطراف ثم بترها"، بمعنى مد جسور العلاقة مع الأقليات، ثم جذبها خارج النطاق الوطني، ثم تشجيعها على الإنفصال.

وأشير في الكتاب نفسه إلى دراسة إستراتيجية مهمة وضعها عوديد ينون، وقدّمها لوزارتي الخارجية والدفاع الإسرائيليتين، ونشرت في فبراير 1982 ويرى ينون أن اتفاق كامب ديفيد مع مصر كان "خطيئة ارتكبتها إسرائيل"، وقال إن إصلاح ما تسبب فيه الإتفاق من ضرر لإسرائيل يأتي من خلال السعي الحثيث لتجزئة مصر إلى أربع دويلات: قبطية في الشمال وعاصمتها الإسكندرية، ونوبية عاصمتها أسوان في الجنوب، ومسلمة عاصمتها القاهرة، ورابعة تحت النفوذ الإسرائيلي".

وبالنسبة إلى الوحدة العربية في المنطقة ، يذكر الكاتب أن الفكر الصهيوني القائم على إنشاء دولة إسرائيل الكبرى ذات الهوية اليهودية النقية يستلزم بقاءها الأقوى والمتفوقة حضارياً في المنطقة، ويستلزم إعادة تعريف المنطقة العربية، وتقديم مشروع الوحدة العربية باعتباره مشروعاً يستهدف إبادة غير العرب على الأراضي التي تسكنها الشعوب العربية، ويشكل خطورة على وجود إسرائيل واستمرارها ، وأنها – أي إسرائيل - غير مؤهلة ولا مستعدة لتغيير موقفها وأن مفهوم إسرائيل للتسوية يستند أساساً إلى ضمان أمنها وبناء علاقات طبيعية مع الدول العربية فقط، مع حرمان الفلسطينيين من معظم أرضهم وحقوقهم، بما في ذلك حقهم في العودة إلى الأرض التي طردوا منها سنة 1948.

هذا ما يفكر به العدو الإسرائيلي ومن ورائه المنظومة الغربية والتحالف الاستراتيجي من الأنظمة الوظيفية المكلفة من قبل الغرب ومع أن سايكس بيكو 2 – ما يسمى خارطة شرق أوسط جديد – أصبح معلنا تعرفه العامة والخاصة، ويتكلم عنه في المؤتمرات والفضائيات، إلا أن هذا الأمر لم يحرك ساكنا في جسم النظام العربي ولا في جسم الحكومات من خلفه وكأن الأنظمة القائمة تتوافق فيما بينها على تطبيقه وتنفيذه ضمنيا وتعمل لتحقيقه، والخاسر الوحيد في هذه المعادلة هي أمتنا وشعوبها. فهل تسكت الأمة على هذه الأنظمة الهزيلة إن لم تكن العميلة؟ أم تحدث الأمة حراكها المنتظر؟ وهل استعدت بوضع الخطة العملية لهذا الحراك؟ وهل تلاقت وتوحدت على الأهداف؟.

إننا أمام مرحلة تاريخية جديدة بعد انقضاء مئة عام من الإستعمار الخارجي والداخلي غير المباشر وسرقة مقدرات الأمة وتجهيلها وتضليلها وحماية المشروع الإسرائيلي من قبل مؤسسات النظام العربي فهل ستعيش الأمة مئة عام أخرى تحت تجزئة أخرى وأنظمة أكثر ضعفا وعمالة وتوسعا لدولة بني صهيون على حساب المنطقة المباركة ومقدساته!!!!؟.

6- خطر تجهيل وإرهاب النظام للشعوب

لقد مارس قادة النظام العربي والإسلامي ألوانا من الخداع والتآمر على الأمة والشعوب لأكثر من نصف قرن، يخفون حقائق العلاقة مع الدول الغربية التي ساعدتهم دون غيرهم ليقودوا البلاد والعباد، ولم يظهروا للأمة مصادر وحجم الإنتاج والتمويل ولا مقدار الدين المتراكم عليها ولا أين تصرف الديون، ولا المعاهدات السياسية والأمنية المرتبطة بها، ولا حجم الإيرادات من معادن وثروات الأمة ولا إلى من تباع وهل تضر عقود البيع مصالح الأمة المستقبلية، ومع أن ثروات الأمة و البترول كان يمكن أن تستخدم كسلاح يدفع بالأمة إلى الحرية والنهوض في مرحلة من المراحل القادمة إلا أن النظام العربي الوظيفي لم يبرر لماذا لم يستخدم هذا السلاح وغيره حتى هذه اللحظة للدفاع عن هذه الأمة أو في نهضتها.

إن النظام العربي والإسلامي المخادع مارس الإرهاب بأنواعه المختلفة على شعوبنا الضعيفة المستباحة فهو الذي سرق ثرواتنا وأحلامنا وأمالنا، وتنازل عن قضايا أمتنا الكبرى، ومنعنا من مواجهة أعدائنا من اليهود والأمريكان، ألم يجهض مشاريع نهضتنا؟ ويقف حجر عثرة وعصا في دولاب تطورنا؟ ألم يحارب العلماء و يفتح السجون للمفكرين والأدباء والشعراء المعارضين والمطالبين بحقوق أمتهم واستعادة كرامتها؟ ألم يسرق هويتنا؟ ويمنع وحدتنا؟ ألم يعاملنا غرباء وأجانب في أوطاننا؟ ألم يمنعنا من الاحتكام إلى شرع ربنا؟ ألم يقنن الربا وشرب الخمر والزنا ويفتح لها دور الخنا، وشرع لنا ربا البنوك؟ ألم يغدو السلطان عنوان ذلتنا وصغارنا وهواننا على الأمم؟.

لم يبق في شريعة السلطان القائمة على الأمن والعسكر - دون شريعة ربنا - ديمقراطية ولا عدلا ولا شورى، ولم يعد يحترم إنسانية البشر في أوطاننا، ولم يتكفل نظامه بتوفير أبسط الحاجات العضوية من المآكل والمشرب والصحة لشعوبنا، مع أن موارد أرضنا وأموالنا تخزن في بنوك الغرب بأمر منه، لتنمو تلك الدول وتتطور وترتقي فتعدل ، وتؤمن الضعيف والفقير والمريض بأموالنا التي يسرقها السلطان من قوت أبناء شعوبنا الجائعة، وإذا ما غضب الغرب يوما من السلطان فانه يؤمم ماله وتضيع بعدها مقدرات الأمة!.

ومن عجائب السلطان الذي يحكمنا هذه الأيام، أنه يستدعي الغرب ليحطم حضارتنا ويفتح له أبواب الوطن ليحتل أرضنا، ويدفع له أجور وعناء الحرب الذي تكبدها بإرجاع بلادنا نحو التخلف والجهل من أموالنا، والأدهى من ذلك، أنه يطالبنا أن نحارب نحن بالنيابة عن عدونا كل من يسعى إلى تحررنا.

وما المطلوب منا دائما إلا أن نبرر للسلطان أفعاله وندعو الله له على المنابر ليحافظ على تجزئتنا وضعفنا وأن يعينه الله علينا، ونحن كشعب مكبل نسبح بحمد السلطان ونتعبد الله بعبادتنا له!! حتى غدونا نخاف الحديث بشؤون بلادنا وأنفسنا، كي لا يعاقبنا السلطان وقانونه بالسجن، ويفتح لنا ملفا لا ينتهي من التضييق في الرزق والوظيفة، أي ذل و هوان وتضليل وإرهاب يمارسه السلطان والحاكم علينا؟ ماذا قدم السلطان لنا عبر عشرات سنين الضياع والضعف والضلال والهزيمة؟ ولماذا توافقه الشعوب على هذه الأوضاع؟

لم يبق لنا في عهد السلطان كيان ولا شخصية، ولم يبق للعامة من الناس غير الجهل والذل والهوان حتى أصبحوا يحمدون الله على نعمة الجهل لأنها لا تكلفهم عداوة القانون والسلطان، أي حياة هذه؟. لا يصلح فيها إلا دعاء سيدنا نوح عليه السلام "رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا". وأي شلل تعيشه الأمة؟ أمة تتجاوز أربع مئة مليون لا تقوى على التعبير عن رأيها، أبعد هذا ذرة من إيمان؟ وهذه الأعمال والإجراءات هي وظيفة السلطان ومهمته ليبقى السلطان سلطانا.!!

الأخطار التكتيكية المتغيرة

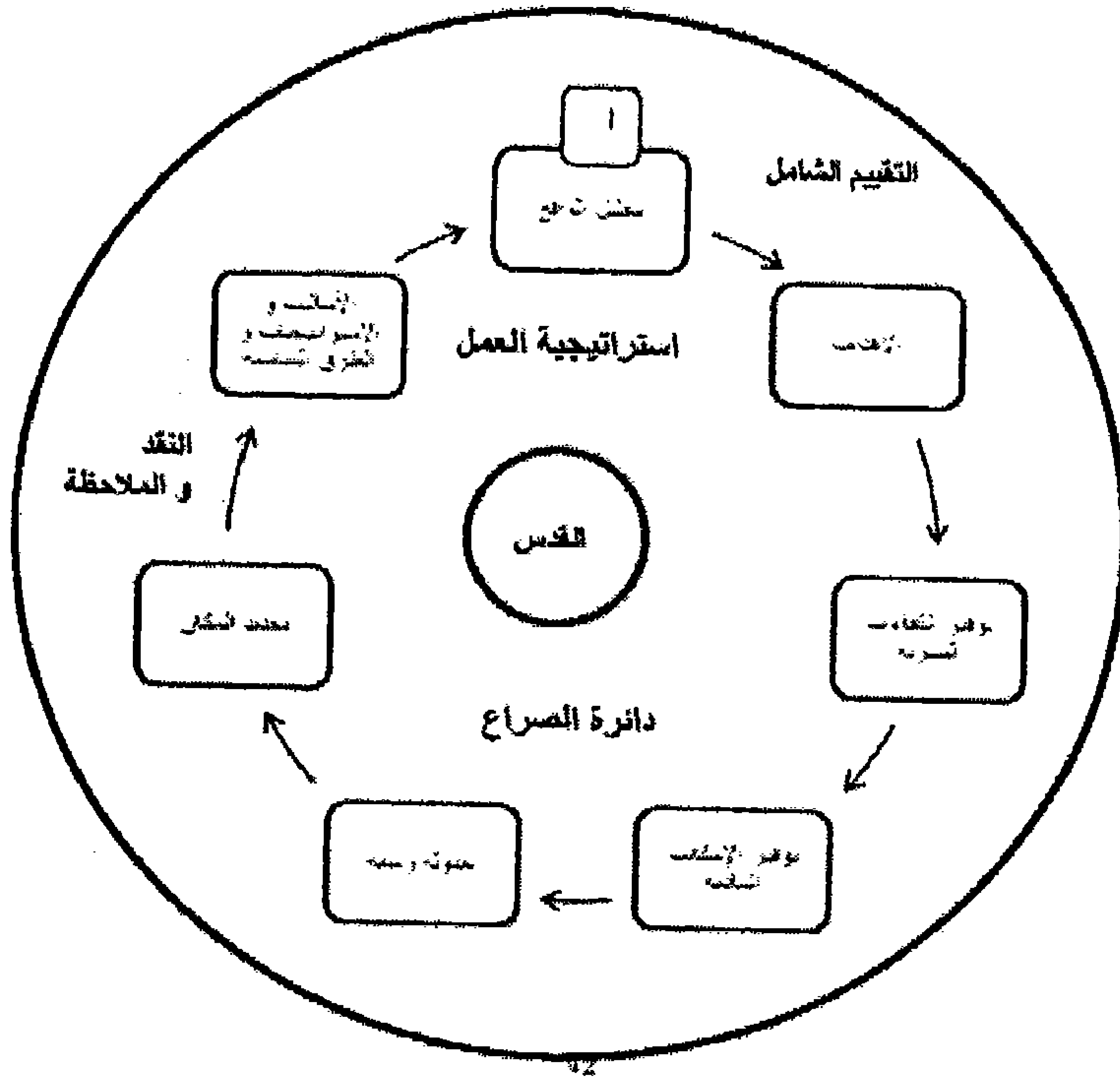
إضافة إلى ما سبق من المخاطر الستة الدائمة (الخطر العسكري ، والتغريب الثقافي ، وتبعية النظام للغرب، وتجزئة الوطن العربي، والاحتلال الإسرائيلي، والإرهاب والتجهيل) فان ثمة أدوات متغيرة أخرى يستخدمها العدو عند الحاجة، من أجل تحريك شعب ما نحو مصالحه أو استمالته، أو اختراقه، أو إعادة احتلاله، أو توسيع تجزئة أرضه وتقسيمها.

إن هذه الأدوات قد تنفع إحداها مع بعض الدول أو قد تحتاج إلى مجموعة منها، حسب قوة الدولة وثبات قرارها السياسي المستند إلى برلمانات قوية منتخبة أو جيش قوي،

ومع أن الأنظمة تابعة بشكل واضح للمنظومة الغربية إلا أن لكل نظام ظروفا تختلف عن الآخر ودورا يلعبه، وشعبا يراقب مجريات الأحداث وربما يقول كلمته في لحظة ما ويتمكن من كسر طوق الاستعباد الذي وضع عليه مما قد يخل بالمعادلة الدولية فيضطر المنظومة الدولية إلى استصدار القرارات أو تحريك الجيوش العسكرية وافتعال المعارك لاستعادته.

إن المخاطر المتغيرة التي تستهدف قائد البلاد ونظام حكمه ومن حوله من صناع القرار قبل استهداف الشعب تشمل: الترهيب والتخويف، التعزيز والإغواء، واللعب على المحاور والصراعات المختلفة، وديمومة إشغال الأمة من داخلها، واستمرار الاختراق السياسي والعسكري والأمني والإعلامي والاقتصادي، والحصار، والاستدراج ، وتدويل المشكلة من خلال سن القوانين الأممية والعقوبات المباشرة، والاستفراد ، وتجفيف المنابع المالية والبشرية، وتشتيت الخصوم.

من كل ما ورد نستنتج أن هذه الأمة أمام خطر داهم ولن تستطيع البناء ووضع الخطط العملية من أجل النهوض واللحاق بركب التطور، دون فهم آليات العدو ونظريته الشمولية التي يتعامل بها معنا، وعليها أن تنظر إلى هذه المخاطر الست السابقة إضافة إلى المخاطر التكتيكية المتغيرة من الناحية العملية والتنفيذية على أنها "خطر واحد" وأنها خطة العدو المركزية من أجل هزيمتنا، وعليها أن تبدأ الحراك لمواجهتها جميعا ومعا في جميع الإتجاهات مهما كانت التضحيات المترتبة على هذه المواجهة .



عناصر الاستراتيجية والخطة العامة

الفصل الثاني

ملامح الإستراتيجية والخطة العامة

تمهيد

إن ما شرحناه ورأيناه من مخاطر دائمة ومتغيرة تحيط بأمتنا من كل جانب كما يحيط السوار بالمعصم في الفصل الأول:واقع الحال : أمة في خطر، هو الذي يدفع كل حر في الأمة يريد لها الخير، وينشد عزتها ومنعتها ونصرتها للتفكير والتخطيط والبحث عن الوحدة، وبذل الوقت والجهد والمال والنفس لمواجهة هذه المخاطر وإزالة أسباب الضعف في أنفسنا وأمتنا والسعي للخلاص منها إيمانا بأن كل فرد من أفراد الأمة الإسلامية أينما كان إنما هو على "ثغرة فلا يؤتين من قبله".

إن أهم ما يميز الأمم الحية عن غيرها في العالم أجمع هو عنصر التخطيط الذي يطال جميع شؤون حياتها ومؤسساتها بلا استثناء ويمتاز التخطيط بأنه يحدد الأهداف، ويختصر الوقت والجهد،ويحدد طريق السير نحو تحقيق أفضل النتائج بأقل التكاليف، ويراكم العمل من أجل التطوير وبدون التخطيط تسير الأمة وشعوبها حول ذاتها بلا هدي ولا رشاد.

ومن أجل وضع خطة عامة لأمتنا فإننا نوضح بداية عناصر الخطة العامة:

عناصر الخطة

والتي تشمل:

1- تحليل الواقع لمعرفة حاجات الأمة المسلمة، وقد أوضحنا ذلك في الفصل الأول "أمة في خطر".

2- تحديد الأهداف بناء على تحليل الواقع والحاجات المستقبلية وتقسم الأهداف إلى:

- أهداف بعيدة المدى (استراتيجية) تحتاج إلى فترة زمنية كبيرة لتحقيقها.
- أهداف مرحلية تحتاج إلى فترة زمنية قصيرة نسبيا لتحقيقها.

3- توفير الكفاءات البشرية (القادة والجند) الذين يملكون القدرة والإتقان في مجال أو أكثر من المجالات الضرورية لتحقيق الأهداف.

4- توفير الإمكانات والقدرات المالية والمادية التي تساعد وتسرع انجاز العمل.

5- تحديد جدولة زمنية تقريبية لتنفيذ برنامج الخطة لقياس مدى تحقق الأهداف، ومواطن الضعف والقوة والحاجة إلى تعديل البرامج والخطوات.

6- اختيار المكان المناسب لتنفيذ الخطة وتهيئته بما يلزم قبل وأثناء تنفيذ الخطة.

7- تنوع الأساليب والخطوات والأدوات وأنماط التنفيذ مع مراعاة قدرات الفئة المستهدفة إلى جانب حاجاتها.

8- استمرار الملاحظة والنقد الذاتي للأهداف والأساليب والأفراد والإمكانات والأدوات والحاجات المستجدة والحاجات اللازمة لتطوير القدرات في جميع المجالات، ومناقشة هذه الجوانب معا بالحوار على أسس من الفهم والإدراك المشترك لهذه الأمور.

9- إجراء تقييم شامل دوري لمدى تحقق الأهداف المرحلية والنهائية من أجل الانتقال والتحول لتحقيق أهداف جديدة أو تغيير الأساليب أو زيادة توفير القدرات البشرية والإمكانات المادية أو توفير المكان الأكثر ملاءمة للعمل أو التعديل على الجدولة الزمنية سواء بتسريع الخطة أو إبطائها.

بناء على ما تقدم من استعراض لعناصر الخطة فإننا نقدم رؤية عمل لشعوبنا تمثل تصوراً للواقع والتوقعات وتعالج مواطن الخطر والضعف وتؤمن حاجات العمل المبني على الجدولة الزمنية.

ونحن نقدم هذه الرؤية للأمة جمعاء، وهي رؤية مرنة قابلة للتعديل والمناقشة والاستفادة منها والبناء عليها والعمل بها والأخذ بما هو أصلح، حسب حاجات وإمكانات الشعوب والأفراد والمؤسسات والتنظيمات والجيوش وغيرهم في كل قطر من أقطار امتنا.

ونتطلع للالتقاء على أهدافها ومراحلها للوصول بأمتنا إلى بر الأمان والانطلاق بها نحو مواطن العزة والمنعة .

وتشمل رؤيتنا لهذه الخطة ما يلي:

أولا: الهدف العام:

إعادة الحكم بما انزل الله وإعلان الأرض خلافة راشدة على منهاج النبوة تنقاد لخليفة واحد.

ثانيا: الأهداف المرحلية:

1- رفع سوية الإنسان العربي والمسلم وإكسابه الكفاءات والإمكانات التي تتناسب مع قدراته وحاجات الأمة وتوحيد هؤلاء الأفراد على أهداف الخطة.

2- السعي الجاد والعمل الدائم لاستعادة وحدة الأمة الفكرية والعملية والتنظيمية وصولا إلى الوحدة الجغرافية وإنهاء حالة الانقسام والتشرذم القائمة على سايكس بيكو.

3- السعي الدائم لإزالة السرطان الإسرائيلي الجاثم على أرض بيت المقدس "فلسطين" من خلال المقاومة والجهاد الشامل.

4- بناء الخطط المرحلية لنهوض الأمة لتوجيه وترشيد حركتها وتفعيل قدراتها في جميع المجالات.

5- استخدام وتفعيل جميع الوسائل الممكنة والمتوفرة ضمن الرؤية الشاملة لحماية حياض الأمة الإسلامية ومقدساتها وقلبها العربي.

6- استعادة حرية ومجد الأمة وربط حاضرها بماضيها وتمكين الحكم الراشد في كل قطر من أقطارها.

7- نشر العدل على الأرض وحماية البشرية في إطار التشريع الإسلامي.

ثالثا: المراحل والخطوات مع الزمن:

لتحقيق الأهداف المرجوة من الخطة العامة لا بد من توفر القدرات البشرية التي تحمل على عاتقها التخطيط و تنفيذ المراحل والخطوات اللازمة للوصول إلى النتاجات المرجوة والأمة اليوم أحوج ما تكون إلى بنية واسعة شمولية تفكر وتخطط خارج حدود سايكس بيكو وخارج بنيتها وما نتج عنها من تنظيمات وأحزاب ومنظمات ارتبطت مصالحها ببقاء حالة الضعف والتجزئة وهذه المراحل تشمل:

الرقم	المرحلة	الزمن
1	تدعيم البناء الداخلي لمفكري الأمة وتشكيل النواة الصلبة من قادتها	2009-2010م
2	الإعلان عن المؤتمر و التوسع والانتشار	2011-2012م
3	إيجاد موطئ قدم آمن	2013-2014م
4	مراجعة خطة العمل وإمكاناتها البشرية والمادية	2015م
5	دعم حالات التغيير والتوحد في العالم العربي والإسلامي	2016-2018م
6	التوسع الحضاري	
7	إعلان الأرض أمة مسلمة لله ورسوله وشريعته	

ويشار هنا مع الوعي الكامل إلى أن توزيع العامل الزمني في هذه الخطة ليس وقفا حصريا وإنما هو لتسريع العمل وتوضيح حدوده وزيادة القابلية لتقويم النتائج بناء على الخطوات وما تم انجازه مع إمكانية البدء واللحاق بأي مرحلة من المراحل حسب تطور الحالة التنظيمية للأفراد، مع الإدراك التام لتسارع الأحداث وما ينتج عنها وخاصة عندما تهوي إمبراطورية الرأسمالية المتمثلة بالولايات المتحدة تحت ثقل الضربات المستمرة من المجاهدين وتوسيع قاعدة الحروب في المنطقة وزيادة الضعف الاقتصادي كما هوت من قبلها الإمبراطورية السوفياتية وهوت معها منظومتها الاشتراكية على مستوى العالم خلال عام.

رابعا: الإجراءات التحضيرية حسب الخطة

لبناء معالم هذه الرؤية التي وضعت كخطة لتحقيق الأهداف المرحلية وصولا إلى تحقيق الخلافة التي نصبو إليها وندعو لها من خلال هدف وشعار "أمة واحدة، خلافة راشدة" فإننا نوصي بالإجراءات التالية:

في المرحلة الأولى: تدعيم البناء الداخلي لمفكري الأمة

والتي نسعى من خلالها لتدعيم، وتشكيل النواة الصلبة من عقلائها ومفكريها وقادتها والتي تبدأ عامي 2009- 2010، فاننا نوصي بالعمل على اختيار القادة والمفكرين الصادقين من ذوي التاريخ المشرف والنظيف والذين يمتلكون رؤية موحدة حول الواقع، ويرون ضرورة العمل المشترك من أجل تغييره، والذين لا يرتبطون بشكل أو آخر مع دول التجزئة الإقليمية أو الدولية ومؤسساتها الأمنية أو يعملون لحسابها، بحيث يوضحون رؤيتهم وأهدافهم وخطتهم لأفراد وشعوب المنطقة وقادتها، مع تفعيل آليات التواصل والالتقاء مع جميع الهيئات في مناطق العالم الإسلامي والمسلمين واستمرار التخطيط و بلورة وتقوية العمل فيها لتشكيل المؤتمر العام لها.

في هذه المرحلة تعد الخطط اللازمة للعمل على مدار خمس سنوات أو أكثر، ويتم تعديلها حسب الحاجة، كخطة مالية تتطور حسب العمل والحاجة والتوسع، وخطة استيعاب محددة واتصال دائم مع الحركات والأفراد والتنظيمات، وخطة دعم مناطق الصراع في العالم العربي والإسلامي والتواصل معها، خطة التحضير للإعلان عن ولادة قيادة ومؤتمر الأمة مع نهاية 2011 أو بداية 2012، وإعداد موسوعة شاملة لقدرات هذه الأمة الفكرية والعلمية والعسكرية مع خطة استيعاب لها. وخطة لتفريغ الأفراد الذين يمثلون عقل الأمة ليكونوا قادرين على الحركة وتشكيل "قيادة ومكتبا تنفيذيا للأمة" على المستوى العالمي.

قد يتأخر الإعلان عن ميلاد قيادة الأمة ومؤتمرها إلى بداية 2012 أو يتقدم حسب سرعة الحراك وضمان حريته والإتصالات والتفاهمات التي تجري على الأرض مع التنظيمات والحراك السياسي وأثره والتغيرات التي تجري في المنطقة، إلا أن الإعلان سيضع هذه القيادة من جهة أمام حالة مواجهة مع كثير من الأنظمة والتنظيمات القائمة:

- إما رفضاً وملاحقة وتشويه بصور شتى.
- أو محاولة استيعاب واحتواء وتفهم.
- أو قبول نتيجة لانشغال العالم بالذات والتقلبات وحالة الضعف الدائم والمستمر والحاجة الملحة في المنطقة لقوى تواجه النهم الغربي والشرقي بالتوسع على حساب أمتنا.

ومن جهة أخرى: أمام حالة انتظار وترقب من الشعوب التي تطلع إلى من ينقذها ويحررها من الظلم والأسر والعبودية للإنسان والقوانين الوضعية، وهذه الشعوب المستضعفة لن تقدم المطلوب منها - بفعل عوامل الزمن وتقلباته التي جرت عليها - مع مدى الذل التي تعاني منه، إلا إذا رأت آليات عمل ونموذجاً قيادياً مختلفاً عن القيادات السابقة تدعمه وتلحق به في مرحلة التحول و التغير.

أما في المرحلة الثانية: الإعلان عن المؤتمر والتوسع والانتشار

نسعى خلالها للإعلان عن مؤتمر الامة والتوسع والانتشار وتبدأ في 2011 – 2012، حيث نوصي بإكمال تشكيل نواة القيادة الصلبة، مع الجاهزية لاستيعاب قيادات جدد حسب الحاجات المستجدة. والإعلان عن بناء مؤتمر الأمة: التيار التغييري الإسلامي الواسع جغرافيا وبشريا والذي يسعى لاستعادة الحكم الراشد في المنطقة العربية والإسلامية بكل ما يترتب عليه. والإعلان عن تشكيل قيادة الأمة التي تحمل المسؤولية على عاتقها لمواجهة الملمات الكبرى ، واستكمال الإتصالات مع الجميع في المناطق الساخنة و مناطق الضعف واستيعاب البنى الجديدة في خطة العمل والبناء التنظيمي، وتدوير وتفعيل الأطر الأخرى بما يحقق الأهداف والعمل على تشكيل القوى الإعلامية التي تدعم وتساهم في نشر الرؤية والإلتقاء على الفكرة والخطة العامة.

ولتدارك المخاطر المحتملة بعد مرحلة الإعلان عن ولادة مشروع مؤتمر الأمة فإننا نرى أن يتم العمل حسب آلية الدوائر المتقاطعة:

- الدائرة الاولى الكبرى، البناء الكلي "البيت": ويشمل بنية العمل في جميع الأقطار إضافة إلى قيادته المركزية الممثلة للعالم الإسلامي في أماكن تواجدها والتي تضع الخطط الإستراتيجية لعدة سنوات وتراقب آليات تنفيذها مثلا الوطن العربي.
- الدائرة الثانية "الشقق الداخلية": ويشمل الوحدات الإقليمية الكبرى الموحدة التي تنفذ المشاريع حسب حاجاتها على الأرض مثلا بلاد الشام الجزيرة العربية، المغرب العربي، ومصر القديمة وهكذا.
- الدائرة الثالثة الصغرى (الغرف): وتشمل بلدان بعينها مثلا لبنان، العراق، مصر، السعودية وهكذا.

في المرحلة الثالثة: إيجاد موطئ قدم آمن

نسعى للبحث عن موطئ قدم آمن في الفترة 2013- 2014، بحيث تكون دولة إسلامية غير عدائية للأمة وعقيدتها، ولديها القدرة والإستعداد لدعم الواقع الإسلامي والعمل على الإتصال بها من أجل إيجاد الأرض الآمنة للحركة والبناء، ودعم التوجهات السياسية لمثل هذا العمل وحمايته.

فإيجاد موطئ القدم الآمن ضرورة لـ بناء القدرات والإمكانات البشرية ورفع كفاءة الأمة وسوية خطابها، والإيواء إلى ركن شديد، إضافة إلى الشعور بالمنعة والاستفادة من الإمتداد البشري و الجغرافي و الإمكانات المادية، وزيادة القدرة على حرية الحركة والتنقل، كما يساعد في بناء العلاقة مع منظومات أخرى في العالم الإسلامي سياسياً ،وهذا سيعمل على تسريع الخطوة التي تلي هذه المرحلة بدعم حالات التغيير والتحرر والتوحد، وخاصة في حالة الضعف العام والتراجع في المنظومة الرأسمالية والنظم العربية القائمة.

وفي حال لم يتوفر المكان الآمن وتأخرت الانتصارات في بعض البلاد فعلى الأفراد والقوى العاملة المجاهدة الحية أن تعمل من مواقعها على اعتبار أن كل شبر تقف عليه من الأرض هو آمن لفترة ما، ومهيأ للبدء بالعمل بكافة ألوانه المتاحة لتحقيق الأهداف.

في هذه المرحلة تكون البنى الداخلية قد تجهزت وتم الإعلان عنها وتشكلت القيادة الفاعلة النشطة ووجدت هيكلة واضحة للعمل وشخوصه واكتمل الإتصال بالمجاميع الراغبة من الأمة على مستوى العالم، واكتملت الفرق الإعلامية التي تعبر عن توجهات الأمة وتتبنى توحيدها على المنهج الإسلامي وتدفع لتطوير حراكها وحركتها داخليا وخارجيا لمواجهة أعدائها،ودفع الحراك الجماهيري لتبني ما يطرحه المؤتمر من أفكار وهذا ما يدعى "بالقبول الجماهيري".

والعمل على تسريع أحداث التغيير في الساحة العربية واستثمارها وتقوية الروابط بين هذه الحالات بالاندماج الكامل بين الحركات والمنظومات وهنا تكون حالة البناء الداخلية للأمة وبنيتها ككرة الثلج، "الحركة الدائمة المنتجة" والتوسع في الحجم والقدرات والإمكانات. مع إعلام أبناء المسلمين في كل الأرض بالواجب الشرعي الدعوي والبنائي والجهادي المنوط بهم، والعمل حسب متطلباته أفرادا من مواقعهم ولو لم يتم التواصل بهم.

إن انجاز هذه المراحل الثلاث حسب الخطة يضعنا على بوابة إعلان الدولة الموحدة في المنطقة العربية والتي ترتبط مع دول محررة عربية أو على الأرض في دول العالم الإسلامي كما إننا في عام (2015) بحاجة إلى مراجعة شاملة لهذه الخطة مع استمرارية العمل لتحقيق الأهداف المرحلية، أين وصلت؟ وماذا أنجز منها؟ وما جوانب النقص؟ دون إغفال النظر عن ضرورة إعلان الدولة الراشدة على منهاج النبوة 2016-2017 تحمي الأمة وتدافع عن كيانها وترسم معالم الدولة الإسلامية الكبرى المقبلة تحت راية الخلافة من أجل استعادة حكم الأرض - مشرقها ومغربها- بحكم القران شريعة الله الذي ارتضاها لعباده.

خامسا: البيئة المحيطة وتغيرات الحالة البشرية المتوقعة خلال المرحلة الاولى للخطة

إن بناء ملامح هذه الخطة لم يأت من فراغ وإنما بفعل الخبرة والاطلاع ومتابعة شاملة لمجريات الأحداث تجاوزت الجانب النظري إلى الخبرة العملية في ميدان العمل الإسلامي على مدار أكثر من ثلاثين سنة سبقت، ومن خلال ملاحقة التغيرات الممكنة على الحالات التنظيمية والقطرية والإقليمية والدولية وحالات النهوض المتوقعة والاختلال في

العلاقات الدولية وإمكانية الإستفادة من حالات التغير في حالة الاستعداد والإنتشار الواسع لاستثمار التغيرات.

وعليه فإننا نرى أن السنوات القادمة من عمر المرحلة الاول من هذه الخطة تحمل في طياتها:

1- زيادة انتشار الوعي الشعبي الإسلامي في العالم العربي والإسلامي، واستمرار الحديث عن ضرورة أسلمة أنظمة الحكم وانعتاقها من التبعية والاحتكام إلى شرع الله واستعادة الخلافة في الأرض، واستقواء العمل الإسلامي في كل من أفغانستان وباكستان والعراق والصومال وفلسطين واليمن وغيرها من البلاد العربية والإسلامية، مع زيادة التفاعل الجماهيري مع قضايا الأمة، بالإضافة إلى تحولات واسعة وايجابية في العمل الإسلامي في الدول الغربية وتوسع أثره السياسي وزيادة الروابط العربية الجماهيرية، وتوسع العلاقة ما بين الشعوب العربية وتركيا الشعب وحزب العدالة.

2- انجاز التغيير على الساحة الأفغانية والصومالية وتطور القدرات الجهادية على الساحة العراقية والباكستانية، وفتح جبهات جديدة للتخلص من المستعمرين وطرد الوجود الغربي الأمريكي وأدواته.

3- التأكيد على توسيع و دعم الدور الجهادي في بيت المقدس، ورفض الوجود الإسرائيلي ورفض كل أشكال التفاهمات الإسرائيلية مع السلطة الفلسطينية في الضفة وغزة وغيرها من الدول العربية مع ضرورة دعم المؤسسات المدنية والعالمية التي تقف في وجه البرنامج التوسعي الإسرائيلي، إضافة إلى انتشار الحراك الجماهيري العربي المثمر للمطالبة بالحقوق الشرعية للمواطن والإنسان العربي.

4- ضعف الإمكانيات الإسرائيلية الصهيونية الإعلامية والبشرية والمؤسساتية في العالم، إضافة إلى ضعف وموت عمليه السلام في المنطقة، وزيادة حدة المواجهة بين العالم الغربي والإسلامي والعربي وتكون "فلسطيننا أرض بيت المقدس هي العنوان"، وانشغال العدو الإسرائيلي بداخله في حال تفعيل ودعم المقاومة في بيت المقدس، أو

دفعه للقيام بضربات انتقامية في لبنان وغزة تفقده القوة والفاعلية الشعبية، وهروب عددا لا بأس به من اليهود إلى خارج فلسطين في إطار الهجرة المعاكسة بفعل الخوف على الحياة والمصالح، مع عدم إغفال إمكانية واحتمال أن تجري إسرائيل والغرب محادثات حقيقية مع قوى ما يسمى الإعتدال التي تعتبر الإطار الشعبي الأخير للغرب في المنطقة ومنها (حركة الإخوان وتفريعاتها العربية، ومنظمة التحريرالفلسطينية وتنظيماتها) بتوجيهات أمريكية وعربية استمرارا للدور الخطير الذي لعبه الإخوان المسلمون في العراق وأفغانستان وتلعبه منظمة التحرير في فلسطين لضمان فترة وجود أو هدوء أطول للعدو الإسرائيلي والأمريكي في المنطقة.

5- ضعف النظام العربي وضعف شرعيته وضعف قدرته على تبرير وجوده أمام التحولات والحراك الجماهيري، ما لم يتحول هذا النظام للإهتمام الأمين والجدي بالقضايا الكبرى في العالم العربي الإسلامي، ومواجهة المخاطر الخارجية التي تنتظره، وإعادة تفعيل العمل الجهادي ومواصلته ضد العدو الإسرائيلي في فلسطين وأعداء الأمة في الساحات العربية والإسلامية المختلفة، مع إمكانية زيادة وعي بعض الأنظمة لضرورة التحول باتجاه الإنتماء إلى الأمة وحضارتها الإسلامية والبحث عن توافقات مع القوى الفاعلة والمجاهدة للدفاع عن وجودها.

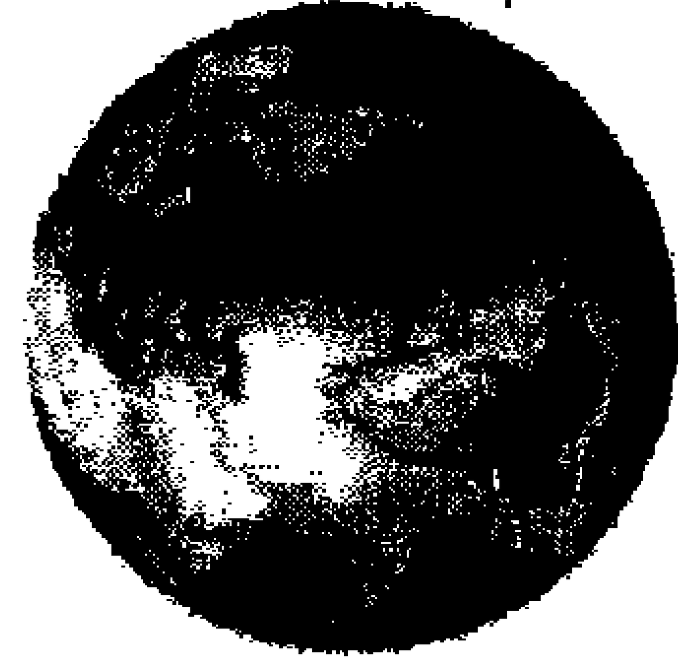
6- وضوح كامل لطبيعة الوجود الأمريكي في المنطقة، وخصوصا في العراق وأفغانستان وتطور حالة ضعفه بسبب تراجع الوضع الاقتصادي والضربات العسكرية التي تستهدفه مع احتمالية فتح جبهات أخرى معه في مناطق أخرى من العالم العربي،إضافة إلى أن ضعف الولايات المتحدة الاقتصادي، سينعكس عليها ضعفا عسكريا وأمنيا متواصلا في معاركها الخارجية في العراق وأفغانستان، وكذلك ضعفا في داخلها يؤسس لإنشقاقها وانقسامها.

7- وضوح العلاقة بين الغرب و إيران ، وفي حال ما استمرت العلاقة متوترة حول المشروع النووي الإيراني وصراع المصالح في المنطقة، فان ذلك ينبيء بحدوث معركة تضعف أحد الطرفين سياسياً وعسكرياً أو الطرفين معا، مع توقع توسع التململ

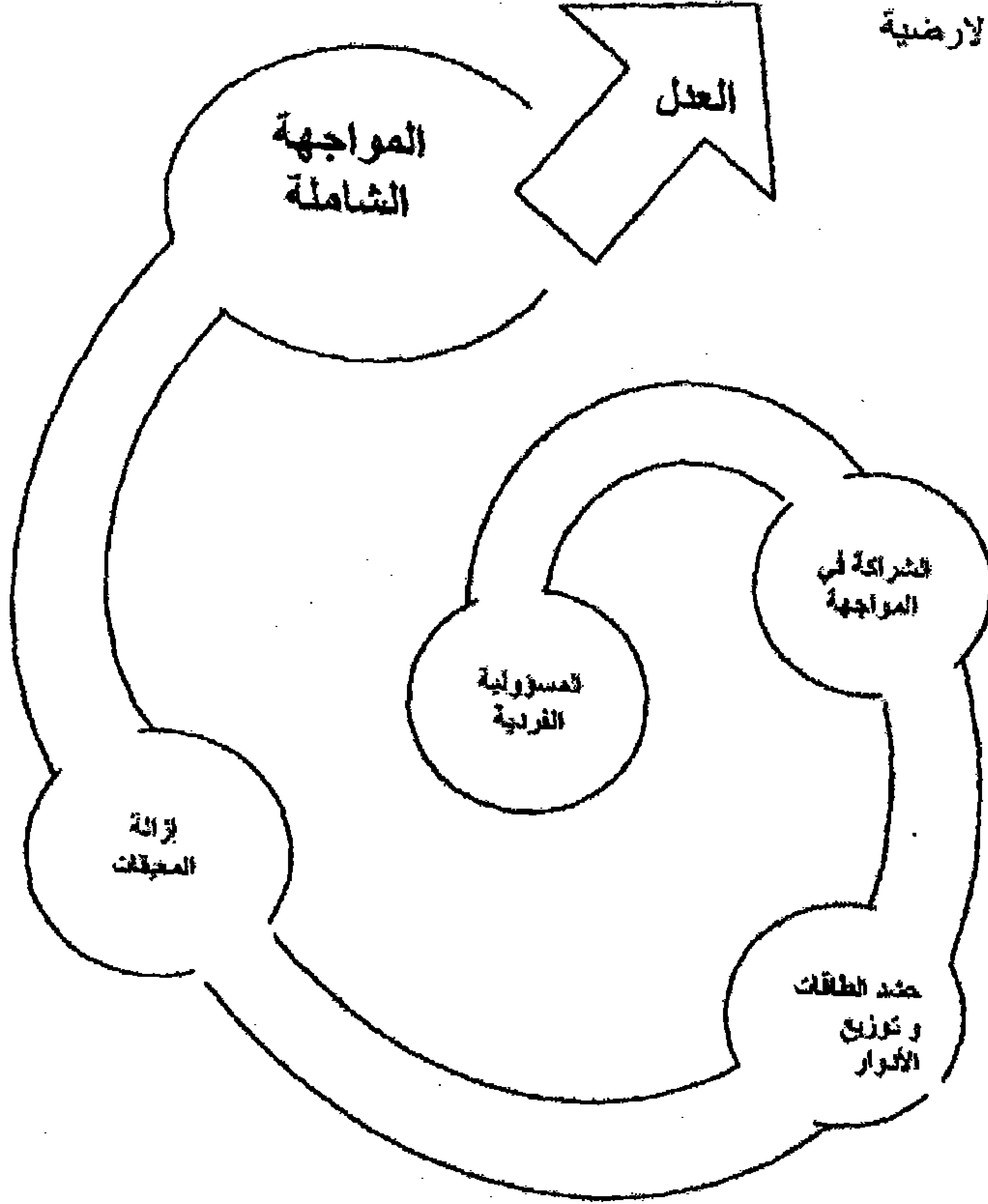
والانشغال الداخلي في إيران - التي أصبحت جزءا من مشكلة المنطقة لا جزءا من الحل، بفعل التحرك الناتج عن الوعي العقدي لدى بعض علمائها والتمايز الطبقي بين أفراد الدولة الإيرانية - قلة من الأغنياء وكثير من الفقراء - وانكشاف فساد السلطة والعمائم، وغياب العدالة الاجتماعية بتعامل الشيعة الفارسية مع السنة العرب والأكراد والبلوش والشيعة العربية الذين يشكلون أكثر من (20- 25٪) من الشعب في إيران.

والمطلوب من إيران في هذه المرحلة - مذكرين لها بتاريخها - عدم إضعاف المنطقة بكثرة الصراعات الطائفية التي إن حصلت ستولد حمامات من الدم بين أفراد الشعب الواحد، وأن تتحول مشاريعها العسكرية والتنموية في المنطقة خدمة للأمة الإسلامية ونهضتها لا تدميراً وقتلا وتآمرا مع أعدائها.

8- تطور أشكال المواجهة من قبل القوى المجاهدة حتى تصل إلى التعامل بالتساوي والمثل مع الأعداء من الدول الغربية والشرقية التي تتعدى على الأرض الإسلامية، والجاهزية لضربها في عمقها من خلال زيادة وعي المسلمين المنتشرين في العالم للدور الجهادي المطلوب منهم، سواء في الحراك المدني الضاغط على أنظمة الغرب أو الحراك الجماهيري المنظم للدفاع عن قضايا الأمة، أو تحمل المسؤولية الفردية الجهادية الملقاة على عاتقهم في مواجهة أعداءها.



الكرة الارضية



الفصل الثالث

خطوات العمل: من الشعور بالمسؤولية إلى المواجهة الشاملة

لقد تم مناقشة المخاطر الدائمة والمتغيرة التي تعاني منها الأمة في الفصل الأول، وتم توضيح استراتيجية وخطة عمل من أجل توجيه حراك الأمة على طريق النهوض، وتوضيح وشرح نظرية العدو الشمولية التي يستهدف أمتنا بها، وتحديد الأهداف البعيدة والمراحل اللازمة والجدولة الزمنية لتحقيق أهداف خطة الأمة في الفصل الثاني وفي هذا الفصل نستكمل عنصرا آخرا من عناصر الخطة العامة ألا وهو خطوات العمل المستقبلي في عملية ممنهجة من أجل تحقيق الأهداف المرجوة من خلال خمس مراحل وخطوات متداخلة ومتقاطعة وهي:

- المسؤولية الفردية.
- الشراكة في المواجهة.
- حشد الطاقات وتوزيع الأدوار.
- إزالة المعيقات.
- ومن ثم المواجهة الشاملة

وسيتم توضيح هذه المصطلحات من خلال، إضافة إلى توضيح بعض المشكلات والسلوكيات التي تعوق العمل على مستوى الفرد والأمة.

أولاً: المسؤولية الفردية

لم تظهر مجاميع الأمة الإسلامية أنظمة ومنظومات وتنظيمات في القرن العشرين وحتى هذا الوقت الشعور بالمسؤولية المحرضة والفاعلة تجاه القضايا والنوازل الكبرى على

الأمة، وقد يلاحظ في شعوبنا أن الشعور الفردي على ضعفه أكثر مسؤولية وحرصا على التفاعل مع قضايا الأمة من منظوماتها وتنظيماتها وأنظمتها .

وذلك لأن الفرد في كثير من الأحيان لا يحسب حسابات الربح والخسارة التي تحسبها هذه المنظمات التي ارتبطت مصالحها بدول التجزئة خوفا وطمعا، والتزمت بدساتيرها وقوانينها ولها حساباتها الإقليمية أو الدولية التي تجعل منها أداة طيعة تحت الطلب لمصلحة النظم الدولية ، ولأنها تسعى للحفاظ على علاقاتها الإقليمية والدولية أصبحت هذه المنظومات- الدولة، التنظيم، المنظمة- تشكل عبئا وثقلا على كاهل الأمة.

ونقصد بالمسؤولية الفردية: تلك الدوافع الوجدانية الواعية المساندة لأحداث وقضايا الأمة، مهما اختلفت منطلقاتها وأينما كان صاحبها ومهما كانت رتبته وموقعه الوظيفي والتنظيمي وقدراته الفردية.

أما من الناحية الإجرائية: فهي القدرة على اتخاذ القرار بأي شأن من شؤون الأمة والاستعداد النفسي الكامن لتحمل تبعاته والمشاركة في متطلباته. "من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم".

لقد أوضح رسولنا محمد عليه الصلاة والسلام، أن الجميع مسئول مسئولية فردية أمام الله و رعيته "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته" فالحاكم راع ومسئول عن رعيته، وهذه الرعاية تشمل ليس فقط أفراد الشعب من البشر، ولكن أيضا أرضهم ومأكلهم ومشربهم وملبسهم وأمنهم، وحريتهم وعزتهم. وتعليمهم وصحتهم ودينهم ودنياهم وحماية حياضهم، و شؤونهم الخارجية والداخلية، فإن لم يقم الحاكم بواجبه نحو هذه الأمور كان حقا على الأمة أن تبحث لها عن حاكم آخر يقوم بواجباته نحوها.

وهذه المسئولية الواقعة على عاتق الحاكم لا تعفي العلماء وقادة الجيوش والأمن والعساكر وأفراد الشعب الصادقين من مسئولياتهم في الملمات الكبرى التي تتعرض لها الأمة إذا ما دهاها خطب لأن المسؤولية العامة هي بالأصل مسؤولية فردية يخرج فيها "العبد دون إذن سيده".

وبهذا تتحول المسؤولية الشاملة من مستوى الحكم والحاكم الذي لا يقوم بواجباته أو أنه ضعيف لا يملك قراره، إلى مستوى الأفراد الذين يرفضون الاستعباد والدنية في دينهم واحتلال ديارهم - ديار الإسلام - ليعملوا بالواجب الملقى على عاتقهم، حتى إذا ما زال الخطر عن الأمة وحياضها، تعود الأمة لتحاسب المقصرين والمتخلفين عن أداء الواجب فتعزل وتقصي المسئولين عن استضعافها من كافة المستويات من جهة، ومن جهة أخرى تعزز وتكرم الذين قاموا بواجباتهم.

وأمام هذا الخطر الداهم الذي يحيط بالأمة من كل حدب وصوب فأنا وأنت وهو وهي وهم وهن وذاك وتلك وهؤلاء والجميع مسئول بشكل فردي كل حسب قدرته ومن مكانه عن حماية الأمة والنهوض بها، بما يفرضه عليه الواجب تجاه دينه،وحضارته،وتاريخ ومستقبل أمته.

فهل يستشعر كل واحد منا المسؤولية الفردية تجاه أمتنا المسلمة؟ ونعمل لإنقاذها؟ وهل أنت شريك في حمل تبعات هذه المسؤولية؟ ولو كنت وحدك "لا تكلف إلا نفسك" وهل دون شعورنا بالمسؤولية أي انتماء لهذه الأمة ولو كنا نصلي ونزكي ونحج؟ ألم يدرك بعد أبناء الأمة أن عقال البعير الذي منعوه أبا بكر ﷺ في الزكاة فأصبحوا به من المرتدين المحاربين حتى يعودوا لدينهم، منعته الحكام والجيوش وكثير من جموع أبناء الأمة في الجهاد. فهل سترجع هذه الأمة لدينها و تقوم بواجبها؟.

ثانياً : الشراكة في المواجهة

كما أسلفنا إن العمل لانجاز المهمة يلزمه خطة واضحة الأهداف ومعلومة الإمكانات البشرية والمادية ومحددة بالزمن والمكان، تتم لها عملية المراجعة والنقد الذاتي والتقويم في جو من الحرص والمحبة والحوار للتطوير.

وحتى نفهم ونفصل المقصود بالشراكة نورد التساؤلات التالية حول واقعنا في أرض بيت المقدس "فلسطين".

على فرض أنه تم وضع خطة عمل من أجل تحرير القدس، فهل يستطيع شعب بيت المقدس الفلسطيني وحده القيام بهذه المسئولية؟! وهل تستطيع دول الطوق العربية "مصر وسوريا والأردن ولبنان والسعودية" بوضعها الخلافي، وما كبلت به نفسها بوساطة حكامها من معاهدات ووعود مع الغرب والشرق أن تفي بالغرض؟ وهل تستطيع الدول العربية التابعة لمحاور مختلفة أن تشارك في مشروع التحرير؟ وهل تستطيع الأمة الإسلامية المغربة فكريا وعمليا وفي نفس الوقت لا تملك قرارها المستقل والتابعة للمنظومة الدولية وقراراتها من خلال مجلس الأمن وهيئة الأمم أن تقدم شيئا ظاهرا للعيان لتحرير الأرض الفلسطينية أو حلحلة القضايا العربية والإسلامية مثل (العراق، أفغانستان، باكستان، الشيشان، اليمن... الخ)؟. إننا لم نر طوال مئة عام من عمر أمتنا وشعبنا الفلسطيني أي انجاز على الأرض لجميع هؤلاء الحكام والمحكومين يخرجنا من حالة التيه والتمزق والتبعية التي نعيشها عدا عن تحرير أراضينا ومقدساتنا.

فإذا كان كل هؤلاء مجتمعين لا يستطيعون أن يقدموا شيئا لتحرير الأقصى وفلسطين على الرغم من إمكاناتهم البشرية والمادية والعلمية ومع أن شعوبهم وعلمائهم وبعضا من قادتهم يشعرون بالمسؤولية الفردية تجاه هذه القضايا، فلأنهم جميعا لا يشعرون بضرورة الشراكة والمشاركة في المواجهة و العمل ودفع الثمن اللازم للإنقاذ أمتنا.

كما لا يستطيع أفراد الشعوب العربية والإسلامية القيام بأي شيء تجاه قضاياهم المركزية بسبب تكبيل قادة الأنظمة لهم بالقوانين والمتابعة والملاحقة والسجن والإرهاب والتضليل، مع أنهم من جهة أفراد يشعرون بالمسؤولية ويقدمون المال خاصة في الظروف الطارئة الصعبة، لكنهم من جهة أخرى لا يطورون هذه المسؤولية لتفرض عليهم الشراكة العملية وبذل الجهد وممارسة الجهاد المتواصل لتحقيق أهداف الأمة المسلمة في كل الأرض.

وتفهم الشراكة بأنها مرحلة متقدمة من الشعور بالمسؤولية وهي تعني: التعاون والتآزر في تفعيل المسؤولية والاستعداد للعمل بمقتضياتها من مرحلة التخطيط حتى انجاز الأهداف.

ويفهم إجرائي التعاون ليس فقط بالمشاعر والمال بل و الذات والرجال والعقول والأفكار والأمن والعسكر والأدوات العسكرية المتوفرة وجمعها وحشدها من أجل التجهيز للمعركة من كل مكان يتواجد فيه المسلمون.

هكذا نفهم الشراكة وليس في الجلوس أمام التلفاز و متابعة الأحداث أو في انتظار أوامر وقرارات القادة التي لا تتجاوز رغبات المنظومة الدولية ومن ثم تحويلها إلى الجامعة العربية والمؤتمر الإسلامي والى مجلس الأمن في مسلسل ساخر يعود بالخزي والعار على الأمة وأفرادها.

وفي ختام كل حدث نرقبه نفقد أرضا جديدة وشهداء وجرحى ونعلن النصر الإعلامي الهزيل والإنجاز الأممي التاريخي في قرار مختوم بالفيتو الأمريكي إضافة إلى الخسارة والتكبيل السياسي بالمعاهدات السرية، وكفى الله الشعوب والقادة والتنظيمات عناء القتال. أي سخرية تمرر على عقولنا؟ وأي عقول ترضى بهذه المهازل؟.

إن نهوض الأمة لا يحتاج إلى البكاء على الأراضي التي تحتل والرجال والأطفال والنساء التي تقتل، ولا يحتاج إلى الظهور والبطولة الإعلامية أو حتى تقديم المال لمن قتلوا أو شردوا ومعالجة الجرحى وإيواء من هدمت بيوتهم أو مظاهرات رفع العتب مع وجود الحاجة لكل ذلك، إنما يحتاج لأن نكون شركاء بالنفس والمال والرجال والأفكار على المستوى الفردي والشعبي والدولة والأمة كل من مكانه لحماية أمتنا والمستضعفين في الأرض منذ اللحظة الأولى للمعركة إلى أن تتحقق الأهداف بالتحرر والنهوض.

بدون هذه المشاركة الشاملة ستظل الأمة في حالة ضعف وتجزئة وتبقى المعيقات والعقبات هي سيدة الموقف، ويستمر العدو بالتطاول على الأمة واستخدام قادتها لخدمة مشروعه، والقادة للأسف يستخدمون مؤسسات البلاد التي تستخدم الأفراد لخدمة أهدافهم، ويصبح الجميع يخدمون العدو وحكوماته الخفية ويعملون لمصلحته سواء أدركوا ذلك أم لم يدركوا.

ثالثاً: حشد القوى والطاقات وتوزيع الأدوار وتوجيهها نحو هدف محدد

من المعلوم بالحقائق العلمية أن أي مجموعة قوى تؤثر على جسم من أجل تحريكه باتجاه ما فإن أكبر أثر لهذه القوى إذا كانت جميعها تسير معا بنفس الإتجاه، وأن هذه القوى إذا كانت بنفس المقدار فإن المجموع الجبري لها يساوي محصلة القوى المؤثرة على حركة الجسم ، ويقل الأثر الناتج على هذا الجسم سرعة واتجاها كلما توزعت القوى وتشتت باتجاهات مختلفة، بل ينعدم الأثر إذا ما أثرت هذه القوى على الجسم من الجهات الأربع إذا كانت متساوية المقدار، عندها يبقى الجسم ساكنا رغم ما تبذله القوى من جهد في محاولة تحريكه أو يدور الجسم في مكانه حول نفسه إذا ما أثرت هذه القوى بزوايا متساوية ضمن نسق معين.

وما نعلمه عن حقائق الحيوان أنه إذا أرادت الحيوانات المفترسة أن تصطاد من القطيع فإنها تدخل بينه مسرعة محاولة تشتيته رغم أنها قد حددت هدفها، وأي فرد من أفراد القطيع تريد افتراسه، وعادة ما تكون القاصية أو الأكثر ضعفا، ومع ذلك فالحيوانات تحاول الدفاع عن نفسها وتشكل في حركتها حول نفسها وخلف قيادتها نظاما يصعب معه الدخول إلى بنيتها أو اختراقها، وتدافع بما أوتيت من قوة وحكمة عن صغارها، لذا قد تفشل في كثير من المرات محاولات الحيوانات المفترسة أن تنال صيدها من القطيع فتعود خاوية البطن، لم تنل من ركضها إلا التعب وخسارة الطاقة وزيادة الجوع، ومع هذا فإن ما يفتخر ويعتز به قطيع الحيوان عن بني البشر!، أنك لا تجد في القطيع على اختلاف أنواعه من تسول له نفسه أن يكون عونا للمفترس لينال واحدا من القطيع.

ورغم وجود علاقة طبيعية قائمة في عالم الحيوان على أساس الافتراس، وهي مبنية على حاجة الطعام وليست للمتعة أو الاستقواء - كما في عالم الإنسان - إلا أن جميع الحيوانات من النوع الواحد تعيش في حالة تجمع غريزي تحمي بعضها وتوزع الأدوار فيما بينها وتعيش حالة من التوازن البيئي يسمح لجميع أفرادها بالتواجد والتعايش في مساحات شاسعة وفي حياة مستدامة بالاختلاف عن العنصر البشري الذي عادة ما يرفض الآخر من نفس جنسه ويصارعه ويسبب الخلل في النظام البشري والعوامل البيئية المحيطة به.

واليوم نحن كأمة نعاني من كثير من حالات الافتراس العسكري من قبل الأمم (تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة الى قصعتها)، ومع ما نعانيه إلا أننا حتى هذه اللحظة لم نصل إلى مستوى الغريزة الحيوانية في الدفاع عن أنفسنا، بل وأكثر من ذلك سمحنا لأعدائنا بالافتراس منا دون أن ندافع عن ذواتنا، والأدهى من ذلك أننا شاركنا العدو في عملية الافتراس منا لا لنأكل - لأننا بدون مخالب أو أنياب وحتى إن أسناننا تكسرت بفعل عوامل التجهيل والتضليل والترهيب - ولكن ليأكل ويتغذى ويتقوى عدونا ليعدو علينا مرة أخرى، ونتساءل على الدوام "هل يلام الذئب في عدوانه؟ إن يك الراعي عدو الغنم". كلنا اليوم مطالبون بالخروج على الراعي - العدو المباشر-، الذي يدور بنا و بكم حتى أفقدكم السيطرة على أنفسكم وعقولكم، ومطالبون جميعا ان تتعلموا من حيوانات الصحراء والغابة كيف تدافعون عن وحدتكم وإنسانيتكم!، وقبل كل ذلك ان تتبعوا أوامر ربكم ودينكم لتعرفوا ما هي مسؤولياتكم وكيف تشاركون بها قبل أن تهجم الحيوانات البشرية المسعورة لتفتك بكم وببعضها بعضا.

إن ما تريده هذه الأمه بعد التوحد والتخطيط وفهم احتمالات التغيير الممكنة في ظرفي الزمان والمكان والتحولات البشرية فيهما، وتحمل المسئوليات الفردية والشراكة؛ هو حشد وتوجيه الطاقات والقدرات وتحريكها باتجاه واحد، وتوفير الإمكانات المادية والبشرية لها لإزالة المعيقات التي تواجهها، والاستعداد لبدء الهجوم المضاد على أعدائها وعلى القاصيات الضعيفات من الأنظمة التي لا تتحمل مسؤولية الدفاع عن الأمة وإلزامها بالمشاركة والتوحد في الهجوم بكل ما تملك من إمكانات أو التنحي لمن هم أهل لحمل المسؤولية.

إن تفعيل القوى والحركة باتجاه واحد هي أحد أهم عوامل نجاح المشروع بالرؤية والأهداف الموضوعة له، يضاف إلى ذلك قبل وأثناء الحراك توزيع الأدوار على القدرات والكفاءات البشرية بناء على المعرفة والقدرة والتفرغ والحاجة والمهمات الموكلة، واستمرار توفير البدائل المقتدرة لجميع المستويات في حالة إنهاك أو ذهاب الصف الأول أو الثاني لأي سبب من الأسباب وجعل الباب مفتوحا على الدوام ليتقدم القادرين على حمل المسؤولية .

إن هذه الأمة تختزن طاقة هائلة لكنها في حالة كمون وتشتت وتحتاج إلى من يحولها إلى طاقة حركية تنتج زخما من خلال الدفع المتسارع بالكتلة الضخمة العدد والعدة التي تتوافق على الهدف والرؤية والخطة في وجه الخصوم والقاصيات من الأنظمة الذين لا يريدون لهذه الأمة الخير ويتركونها عند الداهيات فرائس لأعدائها.

رابعاً: إزالة المعيقات

بعد الإحساس بالمسؤولية الفردية والمشاركة بالهم والتخطيط وحشد الطاقات وتحريكها نحو تحقيق الأهداف لا بد من المباشرة بإزالة المعيقات

ونقصد بالمعيقات: كل ما يحول بين العربي المسلم وبين أداء مهماته الدعوية وواجباته العلمية والتصنيعية والجهادية لتحقيق أهداف أمته العليا والتوحد الشامل على مستوى الفرد، المؤسسة، الدولة، المنظومة العربية والإسلامية، وعلى مستوى العالم.

وهذه المعيقات تشمل: كل ما يمنع التحرك السريع لمواجهة المخاطر سواء كانت خارجية أو داخلية وبأنواعها المختلفة لحظة ما يلزم، ليقع الفرد والأمة فريسة لهذه المخاطر وتحتاج الأمة لمعالجتها المستقبلية وقتا وجهدا وتضحيات أكبر مما لو تم مواجهتها مباشرة بسبب هذه المعيقات.

إذن لا يكفي الشعور بالمسؤولية الفردية دون المشاركة الشاملة وحشد الطاقات في جميع المستويات من أجل إزالة المعيقات بالقضايا والتي تشمل: المعرفية، والسلوكية، والانفعالية، والمالية، والحدود الجغرافية ،والقانونية الدستورية النظامية الداخلية ،والعسكرية الاستعمارية الخارجية.

1- المعيقات المعرفية

من الواجب على أمتنا تنويع التحصيل في جميع المعارف الدنيوية وقد أصبحت الأمة اليوم والحمد لله في حالة من النضج بحيث أصبح فيها من العلماء في جميع المجالات العلمية والمعرفية إلا أن ما يعيق استثمارهم هو أنه لا ناظم ولا جامع ولا اتحاد لهم.

وبدل أن تستفيد الأمة منهم ومن علومهم، استفاد الغرب والشرق منها بعد أن هجرهم قادة البلاد ظلما وعدوانا إلى البلاد الغربية، مما جعلهم يكرهون قادتهم وأمتهم التي لم تحترم إنسانيتهم وعلمهم ولم تستفد من خبراتهم وأبحاثهم.

وبقيت الأمة خلفهم في حالة من الجهل والتخلف والتراجع العلمي والمعرفي والصناعي في كافة المجالات، ونقصد بالعلماء ليس الفقهاء والشرعيون بل: الخبراء الذين يمتهنون علما له علاقة بشأن من شؤون الحياة المختلفة، والذي يعود بالنفع المادي والمعنوي على الأمة وبناء نهضتها.

ولعل هؤلاء العلماء الموزعين في الأرض يدركون أن أمتهم بحاجة إليهم وخاصة في مرحلة التحول والثورة القادمة مع مرارة ما ذاقوه من أنظمة الحكم، ولعلهم يفكرون بآلية تجمع شتاتهم وفرقتهم وتلملم أفكارهم وأبحاثهم في إطار معنوي أو مادي ليكونوا رابطة موحدة لعلماء الأمة .

وما لم يستجب هؤلاء العلماء أو بعضهم إلى ما يجب عمله تجاه أمتهم من مواقعهم لأي سبب من الأسباب فالمطلوب من قادة الأمة ومفكريها توجيه الطلبة المبدعين مستقبلاً لدراسة أمور علمية محددة حسب ما تحتاجه الأمة.

2- المعيقات الانفعالية

نحن نرى اليوم الإنسان المسلم المستضعف في الأرض غدا يعيش حالة من التناقض النفسي الذي لا يجد له حلا، بل إن التناقضات أصبحت هي الحالة السائدة على حياة المسلم، إن بقي له من إسلامه شيء في ظل الدساتير والقوانين والتعاملات الاقتصادية والقضائية القائمة وفي ظل التعليمات الموجهة إلى المسجد والمدرسة والجامعة والمؤسسة والجمعية الخيرية والنادي والتلفزيون والإذاعة والجريدة والإعلام.

فالمسلم الذي يصلي ويصوم ويحج، هو نفسه الذي يرضى التحاكم لغير شرع الله ولا يرى بذلك غضاضة، و يرتضي بريمر وكرزاي وتاتشر والمسيحي القبطي والشيوعي وليا

لأمره، ولا يرى جواز الخروج عليه، وهو المسلم الذي يرتضي التحاكم للديمقراطية والعلمانية والقومية والاشتراكية ولو أفتى أنها كفرا.

على ماذا يخاف المسلم؟ على الحياة؟ وقد حددت، أم على الرزق؟ وهو مكفول، أم على تقلبات الحياة وصروفها؟ ولن يضره و ينفعه إلا ما كتب الله له، أم على قلة العون والسند؟ والله ولي أمره ويدافع عنه، أم يخشى من الهزيمة؟ والنصر من عند الله ألَيس الله بكاف عبده؟ أم من الأمن والعسكر والنظام؟، أم بفعل الحاجات المتزايدة؟، أم هي القوانين التي غالبا ما تحمي المجرمين والساسة العاملين دوما لتمزيق فكر الأمة وأرضها ومواردها؟ حتى أوصلوا الأمة إلى درجة الغثائية. يا امة الإسلام هل تخافون وتخشون العبيد؟

لقد أقعدكم التناقض النفسي وشعور الخوف غير المبرر عن أداء واجباتكم وأضعف حركتكم وكون لديكم عقلية ونفسية الاعتماد على الغير في الملمات والمهمات الكبرى وكأني بكم وانتم جلوس بانتظار قادتكم أو الرجل المنقذ (القائد العظيم) لينقذكم قد استأسد عليكم الأعداء وأخذوا منكم ما شاءوا و ما أرادوا من الأرض والعرض والحرية والكرامة ولا غضاضة عندكم فالقائد لا بد يوما أنه قادم!!.

أي تركيبة نفسية تتحمل هذه التناقضات؟ وكم بقي لهذا المسلم من إسلامه بعد هذه المتناقضات؟. الم تدركوا رغم كل الجراح عبر قرنين من الزمن أن هذا الدين لن يقوم إلا بسنة التدافع بين الأمم؟ وأن القيادة لا تولد إلا في رحم المواجهة عندما تحمل المسؤولية بصدق، وتشارك أمتها معارك النهضة والجهاد والاستشهاد والنصر والهزيمة، وتستعد لتقديم ما تملك لإزالة العقبات البشرية والمادية التي تقف عقبة في وجه انتشار هذا الدين، ففي خضم هذا الحراك الموجه يولد القادة العظام الذين يخلصون الأمة من دونيتها ومن مشاعر النقص والإحباط والنفاق التي تسيطر على نفسيتها، ويخلصونها من العبودية للعباد وجور الأديان وضيق الدنيا إلى رحابة الإسلام.

3-المعيقات السلوكية

لسنوات طويلة ركز الخطاب الإسلامي على الشعائر والعبادات والطاعات وعلى التوسع الأفقي في هذا الأمر وزيادة عدد المسلمين الذين يرتادون المساجد ويستمعون للدروس والخطب وهم فرحون بذلك، إلا أنهم لا زالوا في حالة من الغثائية غير الفاعلة أو المنتجة، وربما تكون هذه الزيادة الكمية شكلا من أشكال التطور الطبيعي في المجتمعات فمثلما زاد عدد البيوت والمحال التجارية والشوارع والسيارات والمشافي والأطباء وازداد عدد المتعلمين والشرعيين وعدد المصلين والمسلمين، إضافة إلى أن الأثر الناتج عن هذه الزيادة الأفقية لا يبدو أنه يتعمق رأسيا عملا ووعيا، حتى فيما نطمح إليه من السلوكيات الفردية المرغوبة والمستهدفة في التعاملات من خلال الحركة الإصلاحية الدعوية التي نقوم بها.

فمثلا نرى سلوكيات التعامل مع الآخرين للذي يصلي ويصوم في كثير من الأحيان تتصف بأحد الصفات التالية أو العديد منها: فهو يكذب، ينافق، يضر بالآخرين، يتكلم الكلمة ويريد بالمعنى غيرها، يقلب المعنى كيف يشاء، يستخدم التقية، يغش، يغدر، يخون، يرابي، يزني، جبان، لا يريد الجهاد ولا يبذل ماله ويحارب المجاهدين، يستأسد خدمة لمصالحه فقط، يبيع ويشتري في سوق النخاسة، ومستعد للعمالة مع أي نظام أو منظومة تغدق عليه المال والرعاية، يأكل مال اليتيم ويبني اقتصاده من دماء الشهداء ونواح الثكالى، يصارع الناس على أسس قبلية أو حزبية ضيقة، ويشرع لكل هذه السلوكيات بفتوى جاهزة من سيده أو من نفسه أحيانا، "فلا ضرر ولا ضرار"، "ولا تلقوا بأنفسكم إلى التهلكة" ويمثل هذه السلوكيات المتلونة تذوب شخصية المسلم ويذوب معها إسلامه.

إن السلوكيات التي نريد ونتحدث عنها هي السلوكيات التي تنبثق من سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام "الدين المعاملة" إضافة للسلوك الإنتاجي في جميع المجالات التي تخدم حاجات الأمة وتحقق كفايتها لتعتمد على نفسها ، فالأمة التي لا تعتمد على ذاتها تبقى مسلوبة القرار تائهة بين الأمم الأخرى، ومع أن أمتنا الإسلامية وخاصة في الوطن العربي تمتلك فائضا بالموارد في كل شيء مما يؤهلها لتكون قائدة الأمم، إلا أن هذه الموارد لم تنفعها لأنها تعاني من التجزئة وسوء التوزيع وغياب القرار الرسمي، والفساد الإداري والمالي،

وطرد الكفاءات، ومطاردة دعاة الحقيقة والتطوير والعلماء، إضافة إلى أن رؤسائها يعملون خدمة للمصالح الغربية ويتباهون بالقواعد العسكرية الرابضة على أرضهم. فكيف لوطن هذه حاله وهذه سلوكياته أن يكون منتجا؟ وكيف له أن يسلك طريق تحقيق الكفاية الذاتية؟ وكيفه له أن يتحرر أو يتطور؟.

4-المعيقات المالية

المال في كل عصر من العصور، يعتبر الطاقة الكامنة المساندة لكل مجال من مجالات الحياة،ولا يمكن أن تقوم الشعوب بفعل ذا أهمية دون الحصول على المال أو على الأقل الثروات التي تساعد في الحصول عليه، وفي أمتنا العربيبة فإن الإمكانات المادية والثروات المعدنية المتوفرة في باطن أرضها أو على سطحها تؤهلها لأن تكون من أغنى الشعوب وتعيش حياة رغيدة ولكن بفعل التبعية والعولمة الغربية والارتباطات بالقوانين المالية الدولية إضافة إلى سوء استخدام الثروة ونهبها من قبل أنظمة الحكم وأزلامهم جعل الأمة على أغلبها تعيش وكأنها في حالة فقر مدقع حتى بدا في بعض الكيانات العربية المجاعات والقحط والموت من الجوع وفي كيانات أخرى التخمة والإسراف والمجون.

وقد حاول المقتدرون في العالم الإسلامي سد ثغرة الضعف والعجز والنهب الحكومي من خلال الزكاة ولجانها والجمعيات الخيرية التي ترعى الفقراء بالحد الأدنى من الحياة إلا أن هذا المال الذي يقدمه هؤلاء عوض عن أنه لا يكفي وغير دائم فإنه لا يعتبر شيئا في مواجهة أعداء أمتنا إضافة إلى نهضتها وتطورها.

ومع ذلك فقد استصدرت القوانين المتعلقة بهذا المال وقيدت البنوك والشركات والجمعيات بتقديم المعلومات ليس فقط للوزارات التابعة وإنما للجهات الأمنية التي تتابع وتتهم وتسجن وتغلق المؤسسات على افتراض أن التبرعات تصل أو قد تصل إلى مجموعات تعمل من اجل مواجهة وقتال المستعمر المحتل الذي يقيم على أرضنا من اليهود والأمريكان وغيرهم من قوى الظلام التي تقف حائلا دون تحررنا.

وإذا كان المال عصب الحياة في هذا العصر فهو روح الجهاد والمقاومة لمواجهة الأعداء وبدونه تعجز كل أشكال المقاومة والجهاد وتفقد قدراتها على المواصلة والاستمرار كما تفقد من أدواتها وعتادها، وقد أشارت الفتاوى إلى ضرورة دعم الجهاد والمجاهدين وإعطائهم الأولوية على الجوعى والفقراء، ولقد تنبه أعداء الأمة الى أهمية المال فسنوا القوانين التي تعمد إلى تجفيف منابعه ومنع إيصاله الى المجاهدين، وإذا ما أرادت الأمة أن تستكمل دائرة صلاحها ومواجهة أعدائها القادمين لاحتلالها وتمزيقها فلا بد أن تقوم بواجب دعم الجهاد في ساحاته المختلفة وخصوصا في بلاد الشام وقدسها الحبيب.

5- المعيقات القانونية الدستورية

وفي هذا العجب العجاب من أمة اكتمل دينها الذي ينظم حياة أفرادها وشعوبها وعلاقتهم معا و مع غيرهم من الشعوب، وهو من عند الله خالق الأمم والكون ألذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور" ثم تبحث عن شرائع ودساتير من صنع البشر تخدم الحاكم والسلطان وأدواته البشرية.

ورغم أن قوانينه وبنوده أعدت لتخدم السلطان وأدواته الذين كتبوا الدساتير بما جاء فيها إلا أنهم لا يلتزمون بما جاء فيها إلا بما يتعلق بمواجهة شعوبهم وأمتهم ليمنعوا عنها حريتها بالقانون الذي يحميه الدستور، ومن السخرية أنه كلما احتاج السلطان وأمنه الخروج على الدستور فإنه يستصدر قانونا طارئا يوقف العمل به، فيغدوا الجميع مرتهنين لإرهاب السلطان لينفذ وليحقق شهواته في قمع الوطن والأمة.

والأعجب من ذلك أن أفراد الأمة من المسلمين وأبنائهم هم أدوات الحفاظ على دستور السلطان، فمنهم القاضي والمحامي وحارس الأمن والقصر، ومع أنهم جميعا يتجرعون الذل من السلطان ودستوره ويعانون المهانة منه، ويسخرون من أنفسهم بل ويضحكون عليها في المهازل التاريخية كلما تجاوزت طغمة السلطان هذه الدساتير . أي دستور وأي تشريع يرتضيه المسلم دون شرع الله؟ ولماذا يسكت المسلم على شرع السلطان فيما يحارب السلطان شرع الله؟

6- معيقات الحدود الجغرافية

الحدود الجغرافية التي تشكلت بفعل سايكس بيكو 1 هي للأسف ضمانة ضعف الأمة ومحل خلافاتها وصراعاتها، ومع أن جميع العرب في الدول العربية يتكلمون لغة واحدة ولهم نبي واحد ورب واحد وتاريخ واحد وحضارة واحدة وبقعة جغرافية واحدة وأصل واحد، لكنهم للأسف أكثر من عشرين دولة لها حدود يتصارعون ويتقاتلون عليها، ويمنعون الخروج منها أو الدخول إليها إلا بالطرق الشرعية! وهي محروسة بالجيش والأمن.

وبعد هذا التقسيم،هل بقي لنا تاريخ وحضارة ودين مشترك؟ أي خدعة تمرر على أمتنا؟ بل أي خدمة تقدم لمستعمريها؟ ومن هم رعاتها؟ ألا نرى بلاد الشام تنقسم إلى أربع دول لبنان والأردن وسوريا وبلد تحت الاحتلال منذ بداية القرن العشرين - كان يسمى فلسطين -، والمغرب العربي كذلك ينقسم إلى تونس والجزائر والمغرب وليبيا وموريتانيا والصحراء المغربية ستلحق بمشاريع الحدود المجزأة، حتى العراق الذي كان إلى ما قبل عقد من الزمن دولة واحدة نراه اليوم ثلاث دول، وكذلك السودان يقسم على مرأى ومسمع شعوب وقادة وجيوش المنطقة الصامتة بل وبالتآمر مع الرئيس السودانيعلى التقسيم من أجل بقاءه في الحكم وعدم ملاحقته أمنياً.

ألا يمكننا ونحن أهل الحضارة، أن نتعلم من تجارب الشعوب التي تظهر قدرتها على إزالة الحدود والعودة إلى الوحدة والتوحد مع الذين يشاركونهم في الدين واللغة والتاريخ، كما حدث لجدار برلين في ألمانيا، ألا نتعلم من الإتحاد الأوروبي فنعمل على وحدة أمتنا وتدمير الحدود بينها، ولو على الأقل شعوريا وحراكا جماهيريا؟ بحيث تتحرك هذه الأمة جميعا عندما يصيبها خطب أو يحل بأهلها ضيم أو تنتهك حرمة أرضها هنا أو هناك، أو لبناء التكافل والتكامل بين أفرادها في المجالات المختلفة.

7- وفي الحراك العسكري الداخلي والخارجي

فقد أصبحت الأرض العربية مسرحا للصراعات والتدخلات العسكرية دون حسيب ولا رقيب، ففلسطين - بيت المقدس- محتلة منذ قرابة تسعين عاما، ولبنان احتل في

الثمانينات، والعراق دمر مع بداية التسعينات وهو محتل الآن منذ عام 2003، وليبيا ضربت في عقر دارها وكذلك السودان واليمن، والصومال تم احتلاله ولا زال يرزح تحت الصراعات.

والإمارات العربية وقطر مثقلة بالقواعد العسكرية، والخليج العربي والبحر الأحمر ينامان على حركة البوارج البحرية الغربية، وباب المندب محتل بدعوى محاربة القرصنة، وسبته ومليلة محتلة من الأسبان، وجزر أبي موسى محتلة من الإيرانيين.

والمفاعل النووي العراقي والسوري تم ضربهما من قبل العدو الإسرائيلي الذي ضرب أيضا سيارات تحمل السلاح إلى غزة في السودان، واغتال قادة منظمة التحرير في تونس وسرايا الجهاد في قبرص وقائد الجهاد في ليبيا، واستهدف قادة حماس على أرض الأردن وخاض ستة حروب مع لبنان، وأحرق غزة والضفة .

وهناك دعم إيراني للحوثيين في اليمن لإثارة القلاقل، وتخوف من تمدد إيراني على حساب العراق وتحرك إيراني عبر البصرة لاحتلال الخليج العربي إلى مسقط، وتعيش المنطقة معاناة شديدة نتيجة خوض الحروب مع العدو الإسرائيلي لم تحقق في أي منها نصرا.

وبالتوازي تمارس الأنظمة هواية التدمير والقتل لشعوبها فسوريا دمرت حماة وانتهكت حرمات أهلها وشاركت في تدمير الشعب الفلسطيني في تل الزعتر والمخيمات بعدما طرد وقتل الفلسطينيون في الأردن، وكذلك اشتركت القوى اللبنانية وعلى رأسها حركة أمل والقوى الفلسطينية في تدمير وقتل الشعب الفلسطيني في لبنان، ودمر العراق قرى الأكراد، وعاش السودان سنوات طويلة في حرب مع الجنوبيين وفي صراع مع تشاد. وفي كل المناطق سجون مفتوحة لأبناء الوطن ترحب بكل معارض أو معترض.

وطرد الشعب الفلسطيني والأردني من الإمارات وقطر والكويت وليبيا والعراق، ويمنع بعض الفلسطينيين من السفر فيما يسمى بالوطن العربي لأنهم لا يملكون جوازات، ويمنعون من العمل في لبنان في كثير من الوظائف ويعيشون في سجون تسمى مخيمات، وهجر سنة العراق وحلفاء النظام السابق إلى بلاد الله الواسعة، وكل بلد من البلاد العربية والإسلامية يحتوي معارضة البلد الآخر ويتآمرون على أنفسهم خدمة لعدوهم.

هذا كله على الصعيد العربي تشريد وحروب وقتل وسجون، أما على الصعيد الإسلامي فالمسلمون محاربون في كل مكان، فهذه أفغانستان منذ ثلاثين عاما وهي تدفع القتل عن نفسها، فتارة تحت الاحتلال السوفيتي وأخرى صراعات نفوذ تخدم محاور المنطقة وأخيرا كرزاي واحتلال أمريكي.

ومثلها باكستان في صراع مع الهند على كشمير والآن تدور رحى القتل فيها استجابة للأمريكان، وصراع مع طالبان باكستان، والشيشان تقاتل الروس وتركمنستان ترزح تحت الاحتلال الصيني كما رزحت الجمهوريات الإسلامية تحت الاحتلال السوفيتي، والقتل والإبادة الجماعية في البوسنة والهرسك، وهذه إيران تهدد بضربة قريبة من قبل المجتمع الدولي، ويستخدم الأكراد والأرمن لإضعاف القرار التركي والانقسام عنها ويمنع الأتراك من العودة لأمتهم المسلمة وعمقها العربي .

أي مصيبة حلت بالأمة؟ وأي انهيار تعيشه؟ وأي دمار أمست عليه؟ ولماذا ترتضي الاستفراد بها واحدة تلو الأخرى؟ ولماذا تشارك عدوها بجيوشها وأرضها وأموالها؟ ولماذا لا تتوحد على أهداف محددة لتقليل خسائرها؟ ولتبدأ مشوار تحررها وإعادة عجلة التاريخ إلى غيمة الرشيد الذي قال لها "سيري حيث شئت فخراجك عائد إلي"، والى متى تستمر هذه المعيقات والمصائب في السيطرة على واقع الأمة؟.

خامساً: المواجهة الشاملة

تحتاج الأمة قبل الدخول في المواجهة الشاملة إلى تحليل الواقع ورسم خارطة لأحداثه ومعرفة اتجاه حركته، ومكامن القوة والضعف فيه وفي خصومها، وآليات الوحدة، وإمكانية التحرك الموحد في اتجاه واحد وإزالة المعيقات، والقدرة على إنجاز الهدف والمهمة في ظل المخاطر الداخلية منها والخارجية.

إن المواجهة الشاملة تعني: تكاتف جميع القدرات العسكرية والحضارية العلمية والثقافية والسياسية والتصنيعية والإعلامية والاقتصادية وبعد حشدها ضمن الخطة الشمولية والعودة إلى الجذور لاستشراف المستقبل والتحرك الموجه في جميع الحالات لإنجاز أهداف الأمة البعيدة والمرحلية ومواجهة المخاطرالخارجية والداخلية التي تعانيها.

كما أن المواجهة الشاملة تهتم بكل فرد من أفراد الأمة الذين ينتمون إليها في أي مكان لذا عليهم أن يكونوا مستعدين للمشاركة في مهماتها أو الالتقاء على أهدافها والأفكار التي تطرحها، كل من موقعه وضمن قدراته،مع الوعي الشامل لأهمية عمل الفرد الواحد أو المجموعة المتوافقة وتنسيق المهام التي يمكن أن يخدموا الأمة فيها في إطار أهداف الخطة العامة.

دون أن نغفل أو نتناسى أن مواجهة نوع واحد من المخاطر التي تواجه الأمة ونهوضها في بلد واحد دون البلدان الأخرى من الوطن الغربي والإسلامي يمكن الإلتفاف عليه وإسقاطه ولو بعد حين، فالمواجهات الجزئية يجب أن لا تغفل العين عن المشروع الأكبر ضمن دائرة المواجهة الشاملة بل إن المواجهات الجزئية عليها أن تكون خطة مرحلية في المواجهة الشاملة وخطوة على طريق إنجاز مشروع الأمة .

أيضا لا نغفل أن تحقيق نصر هنا أو هناك أو دحر العدو وطرده من موقع ما لا يعني انجاز المشروع لأن المشروع يجب أن لا يغفل الأنواع الأخرى من المخاطر الست الدائمة إضافة للمتغيرة المحيطة بالأمة وأدوات تنفيذها بالمنطقة، وخاصة التي في داخلها لذا فعين الأمة على الخارج وعينها الأخرى على الداخل وعليها أن توزع أدوارها على الكفاءات الصادقة والأمينة للتحرك بجميع الإتجاهات.

ومن أجل تسريع تحقيق الإنجاز ورد المخاطر لا بد من توفير الأرض الآمنة للحراك وحتى تكون آمنة يجب أن تخدم المشروع الكلي لبرنامج الأمة لا مشروع التجزئة واحتياجاته وعليها أن تتحمل التدافع الكلي ضدها في حال ما تبنت العمل وأعلنت عن حقيقة وجهها ولتقليل الأثر الواقع عليها وعلى مشروع الأمة لا بد من زيادة وتوسيع العمل المشارك في المناطق الأخرى مع رفع سرعته وقوته.

ومع ذلك فإن أي إنجاز مرحلي للأمة يعتبر قوة دافعة لتحقيق الإنجاز في المراحل الأخرى وصولا إلى نجاح المشروع، ولتحقيق الإنجاز تحتاج الأمة إلى نشر الفكرة وحشد الطاقات حولها وإشراك هذه الطاقات في المشروع ومن ثم توجيه هذه الطاقات لإزالة العقبات والمعيقات واستهداف أعدائها في الداخل والخارج.

مع ديمومة حماية حدود وبوابات الأمة العربية المحيطة بها والتأكيد على أن أي عملية استقلال بلد ما عن منظومة الغرب المستعمر في المنطقة يجب أن توفر له أسباب البقاء والديمومة والإقتدار على الحركة والإفلات من تهديدات الغرب والشرق وأنظمة العرب واستهدافهم المتواصل لاستعادته للمنظومة الدولية .

خارطة الوطن العربي

دائرة الصراع

دائرة الحولية والصراع الدائم

الفصل الرابع

تحديد مكان الصراع

تمهيد

إن أي خطة خالية من تحديد واضح للمكان لا يمكن تنفيذها إلا بعد تحديد أبعاده وتهيئته بما يلزم لتنفيذ عناصر الخطة الأخرى، فبدون ذلك لا يمكن لعناصر الخطة الأخرى أن تتجاوز الجانب النظري، وتبقى أهدافها سواء البعيدة المدى أو القريبة هي ضرب من المعلومات والأفكار التي لا تتجاوز البنية المعرفية الذهنية لواضعيها. وإذا كان محور البحث والإستراتيجية الموضوعة هو الأمة الإسلامية ونهضتها بمكوناتها البشرية على اختلاف مواقعها ولغاتها ووجهات نظرها والمقيمة في هذا الكون المتسع، فلا غرابة أن يكون البحث في المكان يشمل تواجد هذه الأمة الإسلامية على اتساعه.

ولكن حتى لا يضيع البحث في المساحات المترامية للأرض، فإننا نحاول تحديد المنطقة والبعد الجغرافي لـ - مركز الصراع - في هذه الخطة من خلال تحليل مفردات الآية الأولى في سورة الإسراء التي تمثل محور الصراع الأبدي والدائم بأنواعه المختلفة من (صراع العقول، وتداول السلطة بالاحتلال الجغرافي، صراع بين الهدى والضلال، وصراع الإرادات والسلوكيات والمرجعيات، صراع الحشد للأغلبية، ومنهجيات العمل، والقناعات والأدلة العقلية، وصراع العقائد وما يرتبط فيها من قدرات، وصراع الخاتمة والنهايات .

صراع شامل بين الفئة المؤمنة "عبادا لنا أولي بأس شديد"، والفئة الكافرة ممثلة ببني إسرائيل الذين يفسدون في الأرض من خلال دويلتهم التي يبنونها بإعلان استعلائي على عباد الله، كما توضح لنا السورة مراحل زوال هذه الدويلة وزوال علوها في ختام هذا الصراع عندما تتحقق الخصائص الكريمة في الفئة المؤمنة بوصفهم "عبادا لنا".

قال الله عز وجل في الآية الأولى من سورة الإسراء: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾[الاسراء: 1].

في هذا الفصل نتناول كل كلمة من كلمات الآية الأولى بالبحث والوقوف على دلالاتها والمعاني التي تربط أي كلمة ومثيلاتها في السور الأخرى من القران، وكذلك التي تربط بينها وبين مشتقاتها في السورة نفسها في محاولة لسبر أسرارها واستخلاص مكان الصراع ودائرته التي لا تهدأ.

1- سبحان الذي: "تهيئة النفس والعقل لاستقبال الحدث والبشائر"

وردت كلمة سبحان في مواقع عدة من سور القرآن وفي ثمانية عشرة آية دون إضافتها إلى الهاء والكاف ومع أنها وردت في أكثر من موضع مضافا إليها كلمة ربي، ربنا، الله، ربك، رب. إلا أنها وردت في ثلاث مواضع غير موضع سورة الإسراء "سبحان الذي" في كل من سورة يس وسورة الزخرف:

- ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة يس: 36].
- ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة يس: 83].
- ﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ [سورة الزخرف: 13].
- ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[سورة الإسراء: 1].

هذه الآيات أوردت نفس المصطلح "سبحان الذي" وكلمة "سبحان" تعني التسبيح والتمجيد لغة، وهي الكلمة الأولى في السورة - وقبل استقبال أي قول أو حدث أو فعل لاحق فيها، فما الذي يتهيأ العقل والوعي لاستقباله بهذا التعظيم ومنذ البدء.

معلوم لكل مسلم أن التمجيد والتسبيح هو لله عز وجل، لكن لم يرد هذا التسبيح باستخدام اسم الجلالة "الله" مباشرة، وإنما استعيض عنه باستخدام الاسم الموصول "الذي" ليترك تفكير القارئ في حيرة، ويثير في العقل التساؤلات التي تنبعث من أعماق النفس مباشرة بعد هذا التمجيد والتعظيم للبحث عن الفاعل، وما هو هذا الفعل الذي يستحق من قام به التمجيد والتنزيه والثناء منذ اللحظة الأولى في الدخول إلى عالم سورة الإسراء؟.

عند مراجعة الآيات الثلاث السابقات التي استخدم فيها الاسم الموصول "الذي" والبحث عن العلاقات الرابطة بين هذه الآيات نخلص إلى أنها تشير إلى عظمة الفعل والحدث وعظمة الفاعل "الله" الذي يستحق التمجيد والتسبيح. ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ﴾، ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾.

إن خلق الأزواج كلها على تنوعها في عالم الكائنات الحية وفي الجمادات ،كل ما خلق واندثر، وكل ما خلق وبقي منها، أو ما سيكون في المستقبل من خلائق نكتشفها ولا نعلمها في واقع الأرض والكون هي مما تنبت الأرض، والأرض تتكون من التراب الذي ينمو فيه النبات ويستفيد من مكوناته من عناصر كيميائية، ثم يأتي الإنسان وآكلات العشب لتتغذى عليه، وهي تمثل بذلك المستهلك الأول في السلسلة الغذائية، ثم تتحول هذه العناصر والمركبات الكيميائية إلى بروتينات ودهنيات وكربوهيدرات في أجسامها لتصبح صالحة لآكلات اللحوم (المستهلك الثاني) وهكذا حتى تكتمل الشبكة الغذائية.

إذن جميع الأزواج من الكائنات الحية على تنوعها وكثرة عددها الذي لا يحصى، هي من التراب وتتغذى على النبات الذي ينمو على مكوناته، ولو حللنا أجسامنا وأجسام

الكائنات الحية والنباتات لوجدنا أن مكوناتها جميعا من التراب، وهي جميعا عائدة للتراب أليس في هذا الأمر إعجاز وعظمة للخالق؟ يستحق تمجيده وتعظيمه بتسبيحه .

ثم في الآية الثانية ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ندرك هنا أن الفعل فعل القدرة المتناهية والسيطرة الكاملة والشاملة على هذا الكون بكل مكوناته من نجوم وكواكب ومذنبات وتوابع وكويكبات وسديم وما تحتويه والتي تتحرك بانتظام متناهي الدقة إضافة إلى حيه وميتة، جديده وقديمه، مستقبله وحاضره وماضيه، قبل لحظة البدء في الخلق إلى ما بعد المنتهى، بيده كل شيء، وكل هذه الخلائق في طاعة مطلقة وإليه راجعة بعد وفاتها وموتها، فسبحان الله على هذه العظمة والقدرة.

أخيرا الآية الثالثة التي تشير إلى الفلك وما سبقها من آيات في سورة الزخرف.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ [سورة الزخرف: 9-13].

نجد في الآيات السابقة توطئة حول عظمة الخالق وقدرته بخلق السماوات والأرض وتمهيد الأرض وتسخير سبلها للحركة وتنزيل المياه وإحياء موات الأرض بها وخلق جميع الأزواج قبل تذكيرنا بخلق الأنعام التي نركبها وكذلك الفلك التي نصنعها، وما يمكن أن نصنعه على الدوام في المستقبل البعيد من أنواع الفلك المختلفة التي تجوب البحار والسماء والأرض مذكرة بنعمة الله علينا ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ ومذكرة

بضرورة تمجيد الخالق ﴿وَتَقُولُواْ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾. كمفتاح آمن للحركة عبر الزمن.

ثم تأتي الآية الكريمة في سورة الإسراء ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ لتشير بالتوافق مع الآيات الأخرى إلى عظمة الفعل والحدث القادم فابتدأت السورة بـ "سبحان" لتهيئ النفس و العقل لاستقبال حدث الإسراء بعظمته، ولتستوعب الحدث بما ارتبط به من أفعال ومعاني تتجاوز حدود الزمان والمكان كما في الآيات الأخريات.

وباستمرار البحث عن اللفظة سبحان ومشتقاتها في السورة وما تشير إليه من عظمة نجدها قد وردت في الآيات التالية :

1- ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولاً﴾ [سورة الإسراء: 93].

2- ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً﴾ [سورة الإسراء: 108].

3- ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [سورة الإسراء: 43].

4- ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [سورة الإسراء: 44].

تظهر الآية الأولى أن الرسول محمد عليه الصلاة والسلام أراد أن يرد القوم إلى رشدهم بعدما قايضوه على الإيمان به كرسول، من خلال وضع قدرته موضع الاختبار بالنسبة للقدرة الربانية، ومن خلال مساومته على العديد من المطالب المادية التي بنظرهم إن فعلها ترفع قدره إلى المستوى الذي يستحق منهم الإيمان به، مع أنهم يعرفون جيدا أن محمدا

ﷺ ليس إلا بشرا، وأن مطالبهم بدأت بحرف "لن" التي تفيد التأبيد أي أنهم لن يؤمنوا به رسولا حتى لو استجاب لشروطهم ومطالبهم.

﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [سورة الإسراء: 90-93].

إنها حالة من حالات الصراع بين الأفكار والماديات، بين المشاهد المحسوس والغيبي، بين الرسول وما حمل من رسالة السماء، وبين القوم وما يحملون من مطالب أرضية، إنها حالة الإعجاز في إسراء الرسول وحالة العجز في عقول القوم، فهم يدركون أن من يخاطبونه بشر، لكن قلوبهم المغلقة وعقولهم الرافضة أوحت لهم بهذا الخطاب التعجيزي فجاء التذكير بعظمة الخالق وتنزيهه عن المخلوقات، وبقدرته وأفعاله التي يؤمنون بها سابقا والتي لا ينازعه بها احد، ويعمل الرسول الأعظم لاستعادة الخطاب إلى الواقع والممكن والإمكانات البشرية وعالم العقائد والأفكار ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾. فما الذي تقولونه وتطلبونه من الرسول البشري ولماذا تريدون منه أن يكون بمستوى الإله وما هو إلا عبد الله ورسوله ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 43].

ثمّ ونحن نبحث في أول كلمة من كلمات الإسراء "سبحان" فإنها تنتقل بنا عبر بوابة الزمن إلى النهايات الحتمية لمجريات الأحداث الثابتة بالدلالة النقلية وتواترها على الأرض ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾ [الإسراء: 108]، وتنقلنا إلى الوعد المفعول الرباني الأكيد، الوعد المخبوء في قراطيس الذين أوتوا العلم من قبل أن يتنزل هذا القران من اليهود والنصارى، الوعد الظاهر للعيان في واقع المكان في ارض الأقصى الخفي

في عالم الزمان لزوال دولة إسرائيل، انه الوعد بحشد الفئة المؤمنة والكافرة للإعلان عن انطلاقة البدء للصراع الختامي مع الكفر والفساد، إنه الوعد المفعول منذ زمن بعيد في صحائف كتاب سيدنا موسى عليه السلام في أعماق التاريخ كما ورد في الآية الثانية من الإسراء، حدث في الماضي وانتهى، ويحدث الآن ، ومعالم جريانه قائمة في مستقبل ومجريات الأحداث القادمة على الدوام، ما دام كتاب ربنا ينطق بالحق بين أيدينا نقرأه، إنه وعد الأولى ووعد الآخرة ووعد باستئصال حالة الإجرام من أرض بيت المقدس وأعوانها.

ويؤكد ما سبق مدى التوافق والترابط في سورة الاسراء في الآيات "5 و 108" لغلق موقف الصراع من بداية السورة في منتهاها ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً﴾ [سورة الإسراء: 5].

و﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُواْ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأٓخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلاً ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ سورة الإسراء: 104- 109].

إذن هذا تصوير لمجريات نهاية الصراع والأحداث، خطاب موجه لبني إسرائيل بالسكن والانتشار في الأرض على وسعها أينما شاءوا، لكن عندما يأتي الوعد الذي وعدوا به بالدمار الشامل، سيتم جمعهم من أصقاع الأرض لكن إلى أين؟ إلى الأرض التي نجمعكم وعدوكم معا فيها لتحقيق البشرى بالنصر وزوال دويلة بني إسرائيل، كما يقول بن كثير: "جمعناكم وعدوكم".

إنها تهيئة لمكان الصراع من حيث المنطلقات والمعتقدات والجغرافيا والشخوص وترتيب الأحداث والحشد لها لتحقيق الوعد المفعول، وهذا الوعد ورد ليس في قرآننا فقط

وإنما في كتب الذين أوتوا العلم من قبل - التوراة والإنجيل - ، لذا فانه عندما يتلى عليهم هذا القرآن وتتلى عليهم سورة الإسراء ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ ويذكرون عظمة الله السميع البصير ووعد الله المفعول ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ [سورة الإسراء: 107-108]

أي عظمة وأي قدرة وأي علم لله العلي القدير، مالك الملك، الحي القيوم بمجريات الأحداث؟ إنها حالة التدبير والتصرف الشاملة لمن بيده ملكوت كل شيء وتحت إمرته كل شيء، وعليه فكل ما في الكون وكل من في الكون إلا ويقر ويسبح بعظمته ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [سورة الإسراء: 44].

السماوات السبع وما بها من مجرات وأشياء وأحياء والأرض وكل ما فيها من كائنات وجمادات إلا ويسبح بحمد الله ونحن لا نفقه تسبيحهم لأننا لا نسمعه، ولكن عندما يلتقي تسبيحنا كبشر مع تسبيح هذا الكون لله، فإن طاقة الأشياء المتحركة – الكون ونحن – تنطلق باتجاه واحد، يستشعرها المؤمن كقوة دافعة تدفعه بشكل كبير لخوض الصراع مهما كانت القوى البشرية والمادية الكافرة التي تقابله، لأنها لا شيء أمام اندفاعات الكون وطاقته ،وأمام قدرة الخالق الذي أسرى بسيدنا محمد من البيت الحرام إلى المسجد الأقصى في لمحة العين، ولم تستشعر أم هانئ بغياب الرسول عن بيتها، إنها كلمح بالبصر.

2- "أسرى" البشرى الأولى من بشائر النصر

نتابع ما جاء في الآيات التي تشير إلى فعل الإسراء في القران:

1- ﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ﴾ [سورة هود: 81].

2- ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَٱتَّبِعۡ أَدۡبَٰرَهُمۡ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٞ وَٱمۡضُواْ حَيۡثُ تُؤۡمَرُونَ﴾ [سورة الحجر: 65].

3- ﴿وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ﴾ [سورة طـه: 77].

4- ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ [سورة الشعراء: 52].

5- ﴿فَأَسۡرِ بِعِبَادِي لَيۡلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ [سورة الدخان: 23].

أتت هذه الآيات لتأمر أنبياء الله بأن يسروا بقومهم ،بفعل الامر "أسر":

فالآيتين الأولى والثانية تتحدث عن تحرك سيدنا لوط وقومه أما الآيات الأخرى فهي تتحدث عن سيدنا موسى وقومه واللفظ المستخدم هو فعل الأمر "أسر"، وهو أمر بالتحرك ليلا من الله الآمر الناهي للنبي المرسل ومن حوله من المؤمنين الذين صدقوا الله ورسله بإيمانهم.

وبمتابعة الأحداث التي سبقت حادثة الإسراء لنبي الله لوط، نجد أن اللحظات الأخيرة في القصة تمثل درجة عالية من التهديد لشخص الرسول ولضيفه من الملائكة مع حالة من الاختراق الأمني الداخلي من زوجته التي أخبرت القوم عن الضيوف، والضعف الكبير لرسول الله في مواجهة القوم ﴿قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾

[سورة هود: 80]، إضافة إلى انغلاق العقل والفكر لدى الفئة الكافرة، وعدم الاستجابة للحلول النبوية المقبولة شرعا وواقعا، والتي تمثل مخرجا لحالة التأزم بين الفئة المؤمنة ممثلة بشخص الرسول والفئة الكافرة ممثلة بكبراء القوم من أهل المدينة المستبشرين بنيل الفاحشة بضيف الرسول لوط ﷺ: ﴿قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾ [سورة الحجر: 71]، و ﴿وَإِن كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ لَظَٰلِمِينَ﴾ [سورة هود: 78]، إلا أن القوم الذين يعيشون سكرتهم يتوعدون ويخوفون نبيهم مذكرينه بما قالوه له سابقا ﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الإسراء: 70].

في هذه اللحظة الصعبة يأتي التدخل الرباني بالأمر بالحركة ليلا لنبي الله لوط ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡ﴾ [سورة هود: 81]، إيذانا بالدمار المقبل مع الصبح القريب للكفرة المكذبين ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ﴾ [سورة هود: 82]، ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ﴾ [سورة الحجر: 73]، دمر الله القوم، أما الفئة المؤمنة التي استجابت لأمر ربها بالإسراء والخروج عن بيئة الكفر وأهلها فقد نجت من العذاب ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [سورة الحجر: 59].

ويتكرر المشهد مع قصة سيدنا موسى ﷺ ﴿وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ﴾ [سورة طه: 77]، فبعد أن خاض سيدنا موسى صراعا ومعركة علنية مع فرعون وملئه ليصل بهم إلى الإيمان إلا أن فرعون كذب وأبى ولم يقبل بنتائج المعركة العلنية الجماهيرية التي أرادها فرعون بين سيدنا موسى ﷺ وبين السحرة، ومع أنه هو الذي حدد موعدها والأشخاص الذين يقفون إلى جانبه من السحرة، وهم الذين بدءوا بعرض قدراتهم وإمكاناتهم في السحر ﴿قَالَ بَلۡ

أَلْقُواْ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ [سورة طـه: 66-67]، بدأ الخوف يتسرب إلى النفس البشرية أمام قدرة السحرة ومن احتمالية خسارة المعركه معهم أمام الناس التي حشرت بأمر فرعون للاحتفال بالنصر على نبي الله موسى، إلى أن جاء التثبيت الرباني ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [سورة طـه: 68]، ثم يحدث ما لم يكن بحساب فرعون وزمرته وينتصر موسى عليه السلام في المعركة ويخر السحرة سجدا ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ [سورة طـه: 70].

عندها تكشفت الطبيعة الإجرامية لفرعون فبعد فشله في الصراع الفكري وفي معركة الإيمان وبشكل علني وأمام الشعب يلجأ إلى تفريغ غضبه باستخدام القوة المفرطة والجيش والأمن مع الفئة المؤمنة ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾ [سورة طـه: 71]، ويجمع جنده لملاحقة الفئة المؤمنة وإلقاء القبض عليها في القرى والمدائن ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ [سورة الشعراء: 53]، فيأتي التوجيه الرباني بالأمر بالتحرك المباشر والخروج ليلا ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ [سورة الشعراء: 52]، ولما رأت الفئة المؤمنة جيش فرعون خلفهم بدأت مشاعر الخوف تتسرب إلى نفوسها وهي الهاربة بدينها من هول الجند وعددهم وأدواتهم خشية على الإيمان والنفس فقالوا: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [سورة الشعراء: 61]، ثم تأتي التطمينات من قبل القيادة الحكيمة المطلعة المتصلة بربها، ممثلة برسول الله موسى ﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[سورة الشعراء: 62]،ثم يتغير المشهد وينقلب السحر على فرعون وملأه وتحصل المفاجأة بالتدخل الرباني المباشر لإحداث الدمار في الكفر المطلق وتنجوا الفئة المؤمنة التي أعلنت مفاصلتها الإيمانية والشعورية مع الكفر

وأهله، حتى أن السحرة تخلوا عن فرعون ﴿قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾ [سورة طـه: 72]، فما الذي حدث؟ ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة الشعراء: 65]

هذه هي الحال قبيل إسراء سيدنا لوط وسيدنا موسى عليهما السلام ، ضعف الفئة المؤمنة وضعف الرسول، واستقواء الفئة الكافرة ولا حلول واقعية في الأفق ولا تغير محتمل في سلوك الفئة الكافرة تجاه الواقع أو اتجاه الفئة المؤمنة لا في الحاضر ولا في المستقبل، فيأتي التدخل الرباني المباشر لنصرة وحماية الفئة المؤمنة، وتدمير الفئة الكافرة تدميرا شاملا.

وفي مرحلة ما قبل إسراء نبينا محمد عليه الصلاة والسلام تشير السيرة النبوية إلى حجم الإيذاء الذي تعرض له الرسول وصحبه من قريش إضافة إلى موت زوجه خديجة وعمه أبي طالب في عام الحزن مما أفقده سنَدَين في عام واحد، الأول: كان يدفع عنه إيذاء قريش خارج بيته، والثاني: كان يخفف عنه آلام المواجهة مع قريش داخل بيته، كما أشار الدكتور غازي التوبة، إضافة إلى الحصار الشديد على مدار ثلاث سنوات من عمر البعثة وقلة السند من المؤمنين و التعذيب والقتل لأتباع الرسول وقلة الاستجابة من الأقوام التي ترد الحجيج، والدعاية والتشويه من أهل مكة ومن أقرب الناس إليه، بني عمومته، والتآمر في نادي قريش على الرسول وكيف يمكن إيقاف دعوته سواء بالقتل أو الأسر أو التهجير وسوء معاملة عمة أبي لهب وزوجته وهكذا.

ضمن أجواء هذه الحالة الصعبة في السنوات العشر الأولى من عمر الدعوة تأتي حادثة الإسراء بتشابه مع إسراء قوم موسى وقوم لوط لتبشر ولتعلن أن النصر قادم، وان الانسداد في أفق وعقل قريش وانعدام تقبلها ومحاربتها للدعوة قد أذن بفتح الأفاق وتغيير الموازين الطبيعية في التعامل مع الرسول والدعوة، فقد تجاوز حدث الإسراء الحالة الزمانية والمكانية مما لا يمكن أن يتصوره عقل بشري في تلك الساعات، إن لم يكن امتلأ قلبه إيمانا وتصديقا، كما حدث مع الصديق أبي بكر عندما قال لأهل الكفر من مكة إننا نُصدقه بأبعد

من ذلك نصدقه بخبر السماء". في حالة من الوعي والإدراك الذي يمتد بامتداد الإيمان برسالة محمد وتصديقه لها.

إلا أن ثمة اختلاف بين إسراء الرسل السابقين وبين إسراء الرسول محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين:

1- فالرسل في الآيات السابقة طلب إليهم أن يسروا ليلا بمن آمن معهم من قومهم والله عز وجل هو الذي أسرى بنبيه محمد ﷺ تكريما ومواساة وتبشيرا "سبحان الذي أسرى بعبده" بغض النظر عن الكيفية والأداة المستخدمة لذلك.

2- كما أن إسراء الأنبياء كان في حدود الزمان والمكان وسيرا على الأقدام في حين أن إسراء رسولنا الأعظم تجاوز حدود الزمان والمكان والحركة والسرعة فشاهد من سبقه الأنبياء في الماضي جميعا، وهو في لحظته يصلي بهم، وشاهد المستقبل من الأحداث "لنريه من آياتنا" فكان ينظر إلى الأحداث وأبعاد المكان والزمان ماضيه وحاضره ومستقبله في لحظة واحدة.

3- إضافة إلى أن إسراء الأنبياء السابقين تبعه انتصار النبي ومن آمن معه الذين كان يتهددهم الخطر بتدخل رباني مباشر ولحق الدمار والفناء بالفئة الكافرة وديارهم وأنجى الله النبي ومن معه.

- إلا أن طبيعة الرسول الرحمة المهداة محمد ﷺ خاتم الأنبياء والرسل الذي دعا لقومه "اللهم أهد قومي فإنهم لا يعلمون".
- وطبيعة المكان "بيت الله الحرام" الذي سيصبح قبلة الأمة الإسلامية
- وطبيعة أهل مكة الذين سيحملون على عاتقهم هذه الدعوة مستقبلا.
- وطبيعة هذه الدعوة التي تنتصر بسنة التدافع وتثبيت المؤمنين، أو كما يقول سيد قطب رحمه الله "أن هذه الدعوة لا تعتمد على الخوارق، إنما تعتمد على طبيعة الدعوة ومنهاجها المستمد من الفطرة القويمة المتفقة مع المدارك بعد تصحيحها وتقويمها" كل هذه اللأمور جعلت من إسراء رسولنا محمد ﷺ نصرا قريبا ولكن

بانتصار الدعوة وحملتها من خلال الفعل البشري والتدافع مع الكفر وليس بالتدمير والإفناء بالأمر الرباني المباشر.

4- كما أن هذه الدعوة هي ختام الدعوات ورسولنا خاتم الرسل وللدعوة دور مستقبلي يمتد إلى يوم القيامة هو تحرر البشرية جمعاء ولذا يجب أن يقوم أهلها عليها وان يحافظوا عليها ويجاهدوا الباطل وأهله على مدار التاريخ البشري في سبيل تحقيقها.

5- كما إن الإسراء حالة من اختبار الصبر والثبات وبراءة الإيمان الصادق، إنها حالة الإعداد والتجهز بالإيمان المطلق الذي لا تشوبه شائبة وهي تمحيص كامل باستخدام حدث فوق الماديات المحسوسات والمقبولات العقلية لهذه الفئة استعدادا لما يستقبلها من أحداث جسام لذا كان لا بد أن تكون هذه الفئة بمستوى الإيمان والمسؤولية ومستوى الأحداث وأن تعتمد بعد الله على نفسها بتحقيق النصر للدعوة وأهلها.

إنها حالة تمتاز بها دعوة رسولنا محمد ﷺ، إسراء دون دمار رباني، إسراء يتبعه نصر الدعوة وإيواء أهلها وقيام نواة الحكم ودولة النبوة الإسلامية في المدينة المنورة.

لهذه الأمور وغيرها مما هو في علم الله لم يأت الدمار والهلاك بالفئة الكافرة – قريش – بعد أو أثناء الإسراء وإنما جاءت حادثة الإسراء حالة تحد أخرى للعقل البشري، مع بعد حديث الرسول لقريش عن أحداث قصة صادقة مفصلة تشمل الطريق والمكان والزمان الذي تجلى للرسول محمد عليه الصلاة والسلام وعن القافلة القادمة إلى قريش ومتاعها وعيرها ومن يقدمها وقد تحقق ذلك بالعيان لقريش التي ازدادت غيا وكفرا.

وقد ذكرت كتب الحديث والسيرة أنّ الإسراء كان قبل الهجرة بسنة وأنه كان في نهاية شهر رجب، ونحن نعلم ما للهجرة من أثر في بناء المشروع الإسلامي وإيجاد الأرض الآمنة لانتشار الدعوة وبناء مركز القيادة وتحريك السرايا والغزوات والتحصن ضد الأعداء وعقد المعاهدات التي تفرض السلطة والسيادة لنبي الأمة ومن معه من المؤمنين الذين تحملوا العذاب في رمضاء قريش وتركوا المال والأولاد والضياع فرارا بدينهم.

إذن حدوث الإسراء بعد هذه الصعوبات هي البشرى الأولى من بشائر النصر القادم لهذه الدعوة فكما انتصر أنبياء الله السابقين موسى ولوط ونجوا هم والفئة المؤمنة بعد إسرائهم فإنك يا محمد يا عبد الله ونبيه منصور بإذن الله أنت ومن معك من المؤمنين وان المدينة المنورة دولتك القادمة لتحكم العالم وتحرره من العبودية للبشر آتية في القريب العاجل.

3- "بعبده" البشرى الثانية من بشائر النصر

عند البحث في الآيات القرآنية في سورة الإسراء التي وردت فيها لفظة "عبد" نجد أن هذا الوصف: "بعبده" في الآية الأولى: أي بمعنى مطلق التلقي والإتباع لله هو زيادة في تكريم الله لرسوله في رحلة الإسراء المباركة وتنزيها لله عن أن يشرك به أحد من البشر، وهي الصفة التي خص بها واستحقها رسولنا خاتم الأنبياء الأكرم في هذه الرحلة.

- ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝﴾ [سورة الإسراء: 1].
- ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [سورة الإسراء: 3].
- ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ [سورة الإسراء: 5].
- ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ [سورة الإسراء: 17].
- ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [سورة الإسراء: 23].
- ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ [سورة الإسراء: 30].

- ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [سورة الإسراء: 53].
- ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾ [سورة الإسراء: 65].
- ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [سورة الإسراء: 96].

لكن هذه الصفة "عبده" بربطها مع الآيات الأخر في السورة تأخذ القلب والروع والعقل فهي تنطلق بنا عبر بوابة الزمن والتاريخ إلى الماضي البعيد، إلى سيدنا نوح ﵇ لتتواصل خصائص عبودية الرسل، ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [سورة الإسراء: 3].

فمنذ اللحظات الأولى للحياة البشرية تم إنقاذ الفئة المؤمنة على قلتها من الطوفان والغرق بعبوديتهم لله وإيمانهم بعبد الله نوح العبد الشكور، مرورا بسيدنا موسى ﵇ الذي أنقذ بإسرائه بني إسرائيل من جبروت فرعون في الآية الثانية وسيدنا محمد "عبده" في الآية الأولى الذي أقام دولة الإسلام وأزال ليل قريش وكفرها وكانت دعوته رحمة للعالمين ، لتعبر بنا الإسراء عبر بوابة الزمن استشرافا للمستقبل البعيد لتحدد خصائص الفئة المؤمنة التي ستقود عجلة التاريخ للقضاء على الفساد اليهودي في الأرض ﴿عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾[سورة الإسراء: 5]. إنها آيات خمس لكنها تختزل في طياتها عمر البشرية من لدن سيدنا نوح ﵇ حتى نصل إلى حالة الانتصار على الفساد وإزالة العلو المستقبلي لدويلة بني إسرائيل.

إنها حالة العبودية المخلصة لله، اشتراك في الخصائص وفي المنهج وفي التلقي وفي السلوك والنتائج وتحقيق الانتصارات، وتوضح لنا الآيات في نفس السورة خصائص هؤلاء

العباد وأكثرها تجليا في رفضهم سعي إبليس للسيطرة عليهم فجاء الخطاب الرباني موضحا ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [سورة الإسراء: 65]، إن إبليس ليس له على هذه الفئة قيادة ولا سلطان ولا جبروت فهم ليسوا ممن يتبعون أوامره إنهم ممن يتوكلون على ربهم، والله يتوكل بحفظهم وحمايتهم فأمرهم إلى الله وصراعهم المنهجي مع إبليس وأعوانه.

وحتى لا يختلط الأمر ويتكلم القاصي والداني والعالم والجاهل في خصائص العبودية لهؤلاء المنصورين وخاصة في المستقبل البعيد بعد حالة تراخي العبودية لله وطغيان الفساد، ويقال أنهم - أي عباد - على إطلاقها دون العودة إلى معتقداتهم وخصائصهم، أوردت الآيات في السورة اشتقاق كلمة (عبد) لتوضح خصائص هؤلاء العباد المأمورين بأنهم يقولون التي هي أحسن ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [سورة الإسراء: 53].

وما المقصود بالتي هي أحسن؟ لقد ورد في القرآن الكريم قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة فصلت: 33]، إذن هم من الدعاة إلى الله، وهم من المسلمين، وهم من يعملون الصالحات، ومع ذلك فهؤلاء العباد غير مبرئين من الذنوب لأنهم أحرار في التلقي والإتباع ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ [سورة الإسراء: 17].

ولضعفهم فإن كل ابن ادم خطاء" والله عليم خبير بأخطائهم إلا أن تمييز العباد من غير العباد لا يرجع للناس أنفسهم، فالله هو الشهيد العليم الخبير الذي يميز عباده من غيرهم في عالم الاعتقاد والسلوك والقيم، وهؤلاء هم عباد الله المؤهلون لتحقيق النصر في مستقبل الأيام إضافة إلى أنهم يمتازون ببأسهم الشديد على أعدائهم من أتباع الشيطان.

إذن هذه إشارة ثانية لمن يريد النصر ويعد العدة لتحقيقه فعليه أن يتصف بصفة عبادا لنا، وهذه الصفة هي الامتداد التاريخي لعبودية الرسل من الماضي إلى المستقبل فكما

نجت الفئة المؤمنة من قوم نوح بعبادتهم لله في السفينة ونجت بنو إسرائيل من فرعون بإيمانهم بربهم واتباعهم لموسى ونجا المؤمنون من بطش قريش وجبروتها وانتقلوا إلى المدينة ليشكلوا دولة امتدت لتحكم مشارق الأرض ومغاربها فان الذين يرغبون بتحقيق النصر وإزالة الكفر والفساد البشري لا بد لهم أن يتصفوا بصفات العبودية لله ولن يكون بعد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام نبي ولا رسول لذا فعلى البشر أن يحملوا هذه الصفات .

4- "ليلا" البشرى الثالثة من بشائر النصر

عند البحث عن الآيات التي تتحدث عن الليل ودلالاته في القرآن ،نجد أن الليل عنوان للسكن بذاته ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنًا﴾ [سورة الأنعام: 96]، وعنوان السكن للبشر بشكل أكثر خصوصية ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ﴾[سورة يونس: 67]، ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِيَسۡكُنُواْ فِيهِ﴾ [سورة النمل: 86]، والليل عنوان للطاعة والتعبد والقربى إلى الله ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ [سورة الطور: 49]، ﴿كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ﴾ [سورة الذاريات: 17]، ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا﴾ [سورة الإنسان: 26]، والليل يبعث على التفكر في خلق الله وملكوته ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [سورة آل عمران: 190]، ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ [سورة الأنعام : 76].

نلاحظ من الآيات عدم ثبات الليل وحركته الدائمة التي تشير إلى استمرار التحول من الليل المظلم إلى النهار المبصر وهذا التحول بين النهار والليل يوحي بالتقلب والصراع وعدم البقاء على أي حال من الأحوال.

ومع إن لفظة الإسراء تعبر عن السير ليلاً، كما أن دلالة الآية الأولى في الإسراء لا تتغير بحذف الكلمة "ليلاً" منها، إلا أن السياق في الآيات الأخر يبشر بالتحول والانقلاب إلى

النهار القريب بعد هذا الليل، نهار ستعيشه الفئة المؤمنة ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [سورة النور: 44].

وفي سورة الإسراء توضيح لهذه المعاني:

- ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِ﴾ [سورة الإسراء: 12].
- ﴿فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةٗ﴾ [سورة الإسراء : 12].
- ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾ [سورة الإسراء: 78].
- ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ﴾ [سورة الإسراء : 79].

فالليل والنهار - كما في الآية 12 من سورة الإسراء - آيتين يعلمهما الجميع، إلا أن ورودهما في الإسراء له طعم خاص ولذة تنبع بها العلاقة المترابطة بين المفردات فورود كلمة 'ليلاً' في بداية السورة وفي الآية الأولى هي استمرار لحالة الصراع والتقلب والتغير، ولكنها أيضا تشير إلى حالة الناس في المكان الذي انطلق منه سيد البشرية وكذلك إلى البيئة المسيطرة على المكان، فالليل: ظرف زمان في مكان ما يجري فيه حدث، وهذا كله يشير إلى مكة إبان حكم قريش التي يمارس أهلها التعذيب والقتل لإتباع سيدنا محمد، أنها حالة الظلام الرمزية التي تشير إلى تمام الكفر واكتماله .

لكن هل هذا الليل بعد واقعة الإسراء دائم أم أن هناك حالة أخرى؟ تشير الآيات إلى أن هذا الليل زائل فلا قوة قريش باقية ولا تعذيبها باق، وقد ورد في القرآن كلمة تدلل على عظمة هذا الدين وعلى قدرة السميع البصير "فمحونا آية الليل" محونا، ولنرى ما يقوله لسان العرب في محونا: محا الشيءَ يَمْحُوه مَحْواً ومَحْياً: (أَذْهَبَ أَثرَه). الأَزهري: المَحْوُ لكل شيء (يذهب أَثرُه)، تقول: أَنا أَمْحُوه وطيِّء تقول مَحَيْتُه مَحْياً ومَحْواً".

يا لروعة الوصف، أي زال أثره لم يبق منه شيئا ولم يترك حتى ما يدلل على وجوده، زوال تام كأنه لم يكن سابقا، وحتى يزول هذا الليل لا بد من العاملين على زواله

ومحو أثره لذا جاءت صفات من يقومون بهذا العمل في الآيات الأخرى لتأكد العلاقة الرابطة بين المفردات التي أتت في الإسراء عن الليل.

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: 78]، ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: 79].

هذه السلوكيات من أشكال العبودية لله هي التي توصل إلى محو الليل وتحويله إلى النهار المبصر، وهي الصفات والخصائص التي إن لزمها أهلها جعلت منهم أهلا لحمل المسؤولية من أجل إزالة ظلام قريش وتحقيق النصر على شاكلتها من القرى والمدن القادمة في مستقبل البشرية ما دام هذا القرآن يتلى .

اذن نستنتج من ورود لفظة الليل في الآية الأولى من السورة مع عدم تغير المعنى بحذفها وبالربط مع مشتقاتها أن لها معنى آخر غير ظرف الزمان وأنها تمثل الحالة الزائلة والبشرى الثالثة من بشائر النصر في رحلة الإسراء وما يؤكد هذا المعنى، ربطها بآية النهار المبصرة التي تمحو ليل الكفر والعقائد الفاسدة في مرحلة قريش، والنهار المبصر يشي بالحياة والحركة والإحساس والرؤية الواضحة البينة الوضاءة فهو مبصر بذاته وهو مبصر لمن عاشه ومن حمل مسؤوليته.

5- من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى: نقطة البدء والمنتهى وديمومة الصراع

تأتي لفظة المسجد هنا بما تحمله من رموز ودلالات لتعيدنا لبداية الصراع الأولي من تاريخ البشرية، فلم ترد الآية باستخدام لفظة البيت الحرام أو الجامع الحرام وإنما استخدمت كلمة المسجد، فما هي هذه الدلالة؟ إن حدث الإسراء المبشر بالنصر قد حدث وقد حددت خصائص الفئة الأولى التي حملت هذا الدين وانتصرت به ممثلة بنبينا محمد ﷺ من خلال لفظة "عبده و(الهاء) إشارة تفيد معية الله عز وجل ووقوفه إلى جانب الرسول والفئة المؤمنة.

ولفظة المسجد في الآية من الفعل الثلاثي (سجد) ومصدرها السجود، والسجود هو أول فعل خلافي بين إبليس قائد الكفر وبين آدم أبو البشر، وهو أول معصية علنية لله عز وجل.

- ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [سورة ص: 73].
- ﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [سورة الحجر: 33].
- ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [سورة ص: 75].

فانقسمت البشرية بعد هذه المعصية بين طائع لله وطائع لإبليس وبينهما حروب وقتل منذ قابيل وهابيل في البشرية الأولى، مع أن الكون كله بما يحويه من مادة وكائنات يأتمر ويسجد ويسبح بحمد الله

- ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾ [سورة الرعد: 15].
- ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سورة النحل: 49].

والمسجد الحرام كما المساجد الأخرى من خلال الآيات التي وردت في القرآن: يدل على أنه عنوان الطهر، والزينة، والتقوى، ورفض الشرك وزوال الرجس، وعنوان الأمن والوحدة والبركة، والسجود والطاعة المطلقة لله، وسكن البشرية الأولى ومنطلقها وبداية هجراتها من وإلى المسجد ومن هذا البيت الحرام يبدأ تاريخ الإنسانية.

- ﴿أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ [سورة آل عمران : 96].

وقد وردت اشتقاقات كلمة "سجد" في سورة الإسراء استكمالا لمفهوم الصراع الذي تتبنى أحداثه السورة منذ بدايتها إلى منتهاها مع بني اسرائيل وفسادها العالمي:

- ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾ [سورة الإسراء: 1].
- ﴿وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا﴾ [سورة الإسراء: 7].
- ﴿قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا﴾ [سورة الإسراء: 61].
- ﴿إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا﴾ [سورة الإسراء: 107].

فبعد الخروج الأول من بيت المقدس وبعد ابتعاث عباد الله أولي البأس الشديد لمواجهة بني إسرائيل شجرة الفساد والإفساد في الأرض يعود بنو إسرائيل مرة أخرى بالقضاء الرباني لامتلاك مصادر القوة ﴿ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ أَكۡثَرَ نَفِيرًا﴾[سورة الإسراء: 6] ويعودون للعلو والإفساد في الأرض فترة زمنية محدودة من عمر البشرية، تختبر بها سلوكياتهم ومعتقداتهم هل يحسنوا بعد العلو أم يفسدوا في الأرض؟ ﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَا﴾ إنها فترة امتحان عملي من خلال التجربة الحية لطريقة وآليات الحكم والتصرف في مرحلة العلو، مع العلم الرباني المسبق بأن ساق وفروع هذه الشجرة كجذورها شجرة ملعونة ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾ [سورة المائدة: 78]، شجرة جذرها إبليس ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾[سورة الحجر: 35]، وساقها أصحاب السبت ﴿أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِ﴾ [سورة النساء: 47] وفروعها أنظمة الحكم التي توالي بني إسرائيل وتلحق ببرامجهم وتحمي وجودهم.

في هذا الجو من تداول السلطة والصراع الدائر على الأرض المباركة وقبيل وعد الآخرة يتحرك أهل المسجد الذين يقصدونه لتحريره وخدمته وحمايته طاعة لله، ويمارسون عبادتهم فيه، يسجدون و يطيعون الله ﴿عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ ﴿وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا﴾ [سورة الإسراء: 6-7] عاد عباد الله ليدمروا علو الفساد وليدمروه تدميرا وليعيدوا لهذا المسجد بهاءه ونصاعته ودوره في حمل مسؤولية بحماية الأمة وحفزها على الجهاد ونشر الدعوة إلى الأرض.

وتتواصل الآيات التي وردت بها كلمة "سجد" في سورة الإسراء مذكرة بالعداوة الأولى والصراع الأبدي في الكون منذ اللحظة الأولى للتواجد البشري ممثلا بسيدنا آدم عليه السلام وقصة المعصية الأولى العلنية من قبل إبليس لخالقه ورفضه الأمر الرباني بالسجود لآدم ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [سورة الإسراء: 61].

ويظهر التهديد المباشر لآدم من خلال خطاب إبليس بالاستيلاء على ذريته واستخدامهم واستئصال شأفتهم بالمعاصي والذنوب "لأحتنكن ذريته إلا قليلا" وتشتعل المعركة وتتحول مباشرة من عالم السلوكيات الفردية إلى عالم الوقائع والأحداث في تصوير حي لمعركة الكفر مع الإيمان، موضحة خطوات و أدوات إبليس في معركته لمواجهة المؤمنين مستخدما أهل الكفر ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [سورة الإسراء: 64].

إنها المعركة، تستخدم أبواق الإعلام، وصوت الباطل يستنفر ويحشد ويستفز قوى الظلام لتحريك الخيل السريعة المعدة للمعركة وما شابهها من أدوات مصنعة في المستقبل، والرجال محشودة تتشارك في دفع الأموال للمعركة وجمعها، والشيطان يراقب ويعد أعوانه بالمغنم والنصر وما وعده إلا غرورا وخداعا وباطلا.

وما هي إلا فترة زمنية بسيطة وينكشف القناع المزيف وتظهر الحقائق وينجوا عباد الله الذين ليس لإبليس عليهم سلطان ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾العباد الذين إذا سمعوا كتاب الله سجدوا طاعة له ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [سورة الإسراء: 107]، ومع ذلك لم تنته المعركة فلها جانب غيبي عند الله، فمن تبع إبليس في معركته ﴿فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾. خسارة في الدنيا وخسارة في الآخرة.

6- المسجد الاقصا " عنوان الصراع"

فالمسجد الأقصا هو عنوان الصراع الدائم في ما يستقبل من أحداث ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً﴾ [سورة الإسراء: 5]، ﴿وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا﴾ [سورة الإسراء: 7] إنها حالة من التحول في تداول الحكم والسيطرة على هذا المسجد، احتلال وفساد وعلو لبني إسرائيل، ثم دولان دولتهم على يد عباد لله أولي البأس الشديد الذين لا يخافون في الله لومة لائم، وطريقهم ووجهتهم واضحة باتجاه المسجد الذي دخلوه أول مرة وثاني مرة وفي كل مرة ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ [سورة الإسراء: 8].

وبالعودة إلى لفظة الأقصا يشير لسان العرب: قَصا عنه قَصْواً وقُصُوًّا وقَصاً وقَصاء وقَصِيَ: بمعنى بَعُدَ" والقاصي والقاصِيةُ والقَصِيُّ والقَصِيَّةُ من الناس والمواضع: المُتَنَحِّي البعيدُ. والقُصْوَى والأَقْصَى كالأَكْبر والكُبرى. والأقصا بمعنى الأبعد.

أي عظمة و دلالة رمزية يشير له المعنى، فعلى الرغم من أن المسجد الأقصى يقع في قلب الحدث ومركز الجغرافية الإسلامية وعلى رغم أن أرض العرب والمسلمين تحيط به من كل جانب، إلا أن الناس تقطع آلاف الكيلومترات من أقصى الشمال وأقصى الجنوب إلى البيت الحرام وغيره من الأماكن ، لكنهم لا يستطيعون الوصول إلى بيت المقدس والمسجد

الاقصا، فهل هو الأبعد على وجه الحقيقة؟! أم أنها الظروف المحيطة به دوما والطبيعة الإجرامية لمن يحتل هذا المسجد هي التي تجعل منه الأبعد؟ وجعلت من عباد الله المؤمنين أحيانا حتى الذين يعيشون على أرض بيت المقدس لا يستطيعون الوصول إليه على قربهم منه؟.

ونستنتج دلالة أخرى في جو هذا الصراع لهذه الكلمات الربانية حيث تفيد الكلمة الأولى نقطة الانطلاق في رحلة الإسراء لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام من "المسجد الحرام الذي منه بدأت الدعوة وانتشرت لتعم العالم بخيرها" والثانية نقطة المنتهى وهي "إلى المسجد الأقصا" الذي سيكون مركزا للخلافة الإسلامية في المستقبل، وعلى أرضه وفي دائرة الحولية سيكون الصراع الذي لن يهدأ .

7- "الذي باركنا حوله": تحديد مكان الصراع

عند البحث عن الآيات التي وردت فيها لفظة "باركنا" في القرآن والسورة نجد الآيات التالية:

- ﴿وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا﴾ [سورة الأعراف: 137].
- ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء: 71].
- ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ﴾ [سورة الأنبياء: 81].
- ﴿وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً﴾ [سورة سبأ: 18].
- ﴿إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾[سورة الإسراء: 1].

نلاحظ استمرار الإشارة والتأكيد على حالة الصراع للسيطرة على هذه الأرض. ففي الآية الأولى ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ﴾ وهم قوم سيدنا موسى عليه السلام وأنجيناهم من الفئة الظالمة المستكبرة إلى الأرض ﴿ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ والآية تحمل دلالة أوسع من بقعة أرض هنا أو هناك أو مدينة واحدة أو جغرافيا بسيطة.

إنها تتسع إلى مشارق الأرض ومغاربها ، فللأرض المباركة ليس مشرقا واحدا أو مغربا واحدا بل هي مشارق ومغارب، مما يدلل على اتساع الرقعة الجغرافية لهذه الأرض على خطوط الطول، وأن فارقا زمنيا بين أول وآخر مشرق لها، فاستحقت بذلك كلمة مشارق، وهذه الأرض أيضا تبدأ بالبركة من لحظة أن أنجاهم الله من فرعون وجنده بقطعهم النهر، ومع لحظة غرق فرعون وجنده ورث القوم المستضعفون أرضه مصر والأرض التي هربوا إليها وتاهوا حولها وفيها – وهي بلاد الشام وأرض بيت المقدس التي تتضمن المسجد الاقصا –.

ورغم أن القوم لم يدخلوها بداية لأن فيها قوما جبارين وعاشوا فترة في حالة من التيه بلغت أربعين سنة أخرى، إلا أن إرادة الله وقضاءه سمحت لهم بالدخول إلى بيت المقدس لاستكمال دائرة الصراع ليأخذ مداه المستقبلي إلى يوم الدين ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ [سورة الإسراء: 8].

وكذلك بالنسبة للآية الثانية التي تتحدث عن سيدنا إبراهيم وسيدنا لوط عليهما السلام في عمق التاريخ البشري لما هربوا بدينهم من الأقوام الكافرة التي أرادت قتل وحرق سيدنا إبراهيم، وفي معجزة غير مسبوقة ينجوا سيدنا إبراهيم ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [سورة الأنبياء: 69]، وكذلك سيدنا لوط إذ أنجاه الله من القرية التي كانت تعمل الخبائث ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾.

وإلى عمق التاريخ البشري الحضاري والعلمي والجغرافي إلى سبأ في قلب اليمن الأرض الطيبة وأرض الحضارة، وإلى سيدنا سليمان وإمكاناته وقدراته كل ذلك في حالة ارتباط عضوي مع الأرض التي بارك الله فيها.

وهذه الأرض ليس لها حدود معينة ففي العالم القديم لم تكن للدولة حدود معلومة من الناحية الفعلية، فالحدود كانت تعبيرا عن امتداد القوة والتواجد البشري والولاء فيها لصاحب القوة والسلطان.

وقد جاء استخدام الكلمة في القرآن في الآية الأولى ﴿بَٰرَكۡنَا فِيهَا﴾ على الاتساع الذي أشارت إليه ﴿مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا﴾، ﴿وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا﴾ فهي قرى عدة وليست قرية، يفصل بينها وبين سبأ في قلب اليمن قرى ظاهرة بمعنى دول ومدن، إذن إلى أين تمتد هذه القرى التي باركنا فيها؟ وكيف يمكن أن نستفيد من الدلالة ﴿حَوۡلَهُۥ﴾التي وردت فقط في سورة الإسراء، وإلى أي مدى تتسع هذه الحولية؟.

ندرك نقلا أن رحلة الإسراء بدأت من البيت الحرام ﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا﴾[سورة آل عمران: 96]، برسولنا محمد البركة والرحمة المهداة إلى الأمم ووريث الرسل وإمامهم، في رحلة مباركة تبشر بالخير وبالنصر القريب بعد عناء الدعوة وصدود قريش ومحاربتهم لها إلى المسجد الذي باركنا حوله، إنها رحلة مشمولة بالبركة من نقطة البدء إلى نقطة المنتهى. ومن خلال هذا التحرك المبارك يتم تحديد خط البركة بين النقطتين مكة والقدس ليكون نصف قطر الحولية حول المسجد الأقصى، لتمتد دائرة البركة "حوله" للقرى والمدن التي تقع ضمن الحركة الدائرية لنصف القطر بين المسجدين لتصبح هذه المدن جميعا في دائرة البركة حول هذا المسجد.

وعند تتبع خط محيط الدائرة "حوله" بالانطلاق من نقطة المنتصف في المركز - المسجد الأقصى - إلى نقطة المماس الأولى على حدود الدائرة - البيت الحرام - وباكتمال الدائرة نرى العجب العجاب.

فدائرة الحولية والصراع تشمل جزيرة العرب وتشمل العراق والأهواز وتركيا إلى النقطة الثانية على مماس الدائرة اسطنبول "القسطنطينية" التي قال الرسول ﷺ عنها وعمن تفتح على يديه "نعم الجيش جيشها ونعم القائد قائدها" مرورا بالبحر المتوسط مشمولا بها جزيرة قبرص ثم تمتد إلى الحدود الغربية الليبية والشرقية المصرية وشمال السودان - مصر قديما - ومن ثم عودة إلى البيت الحرام.

هذه هي معالم دائرة الحولية ومكان الصراع ودائرة البركة وهي أرض العرب مادة الإسلام وأرض أهل السنة المتبعين لرسول الله وآل بيته وهي دائرة الاستخلاف على مر العصور السابقة وهي بيضة الخلافة وحمى دولة أمة محمد ﷺ.

وتوافق الأمر على أنه على مر تاريخ الأمة الإسلامية كانت جميع هذه المدائن تابعة إلى الخلافة والقيادة التي تمركزت إما في المدينة وجزيرة العرب في عصر النبوة والخلافة الراشدة ثم خرجت إلى الشام في العصر الأموي ثم إلى بغداد والعراق في العصر العباسي ثم إلى مصر في عصر الفاطميين والمماليك ثم إلى تركيا في عصر الخلافة العثمانية.

لم تتعد مراكز الخلافة هذه المدن والبلدان الظاهرة المسيطرة في دائرة الحولية، ومنها انطلقت مسيرة الدعوة والإسلام إلى الأمم الأخرى، ويقع في مركزها بيت المقدس والمسجد الأقصا الذي يعتبر قلب الصراع ومركزه حتى هذه اللحظة، بل إن المسجد الأقصا عبر التاريخ قديما وحديثا غدا بلا منازع يمثل مؤشر عزة الأمة ومقياس نهضتها ومجدها.

ففي الفترات التي عاشها المسجد تحت الإحتلال كما هو الحال الآن كانت الأمة ذليلة مستباحة الدم والأرض والعرض، وفي الفترات التي كان بها المسجد الأقصا عزيزا محررا تحت السيادة الإسلامية وفي حضن خلافتها كانت الأمة عزيزة، ولسنا نبالغ إذا ما قلنا أن الألف سنة الماضية بل منذ فتح القدس على يد خليفة الأمة وإمامها عمر بن الخطاب ﷺ كان تاريخ الأمة الإسلامية يدور حول المسجد الأقصا سواء بالهزيمة أو النصر، ودائما ما كتبت قصصه بكلمات مدادها الدماء وأوراقها جلود الشهداء وحتى اليوم لا زال ينبوع الدم فيه نازفا يروي أشجار الزيتون المباركة.

إذن لمن أراد أن يبحث عن تحديد المكان في بناء الخطة للأمة الإسلامية عليه أن يدرك أن الحشد والرباط والإستعداد في هذه الدائرة التي تعتبر دائرة الحمى الأولى للمسلمين والتي تمتد من اسطنبول شمالا إلى البيت الحرام جنوبا، إضافة إلى اليمن التي خصت بالدعاء والبركة ليمتد خط البركة ليصل إلى بحر العرب جنوبا ومن حدود الأهواز والعراق الشرقية إلى حدود ليبيا الشرقية أيضا.

ومن ثم يبني إجراءاته وخطواته بناء على هذه الرؤية، وبعدها يحشد الجهود ويوجهها إلى المركز والقلب ليواجه دولة الفساد ورجسة الخراب دولة بني صهيون، التي وضعت لنفسها شعارا يتضمن احتلالها أرض أمتنا أمة الإسلام عن فهم ووعي تلمودي تاريخي وعقدي من خلال شعار "أرضك يا إسرائيل من الفرات إلى النيل".

ومن المركز، أرض البركة في بيت المقدس، يبدأ الانطلاق إلى القرى الظالمة من أجل تحرير البشرية من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا وفسادها وعلو المفسدين إلى سعة الدنيا والآخرة وإقامة العدل في الحياة على أساس مقولة سيدنا عمر ﷺ وأرضاه "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا".

8- لنريه من آياتنا" هدف الرحلة:

إن رحلة الإسراء بهذا المستوى من التكريم لرسولنا محمد ﷺ والسرعة المتناهية عبر الزمن والمكان، والالتقاء مع الأنبياء جميعا من لدن آدم إلى سيدنا عيسى عليهم السلام، ثم الصلاة بهم في المسجد الأقصى وإمامته لهم، لا بد لها من هدف وغاية، وتطلعنا الآية على هدف هذه الرحلة وعلتها ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ﴾.

فما الآيات التي شاهدها الرسول عليه الصلاة والسلام في رحلة الإسراء؟ وما أثر هذه الآيات في واقع الأمة الإسلامية القادم؟ وهل تشكل الرحلة رؤى ومشاهدات حية عن مستقبل الأمة للرسول والفئة المؤمنة في صراعهم القادم؟.

لنريه

لقد خص الرسول محمد ﷺ في هذه اللفظة "لنريه" في القرآن، فهل لهذه اللفظة أيضا اعتبار خاص لهذه الرحلة الفريدة؟ "لنريه من آياتنا"، إذ توحي هذه الكلمة بالقرب، وتوحي باختصاص الرؤيا والمشاهدة للشخص الرائي محمد علية السلام وحده، وكذلك توحي بجلال الله الذي أراد لمحمد دون غيره من الرسل أن يرى هذه الآيات على اتساعها وتنوعها عن قرب، في حادثة فريدة من نوعها، ويبقى الحال أن نحاول التعرف على ما تشير إليه هذه الآيات المرتبطة بالرؤية التي رآها هذا الضيف الكريم:

- ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة الإسراء: 62].
- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ [سورة الإسراء: 99].
- ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا﴾ [سورة الإسراء: 60].

إنها إشارة أخرى لاستمرار صراع الإرادات بين البشر الذين جاءهم الكتب والرسل، وبين إبليس وأتباعه، وفيها إطلاق التهديدات العلنية من إبليس الذي يعتبر جذر شجرة الشر الملعونة لدفع البشرية كلها للانقياد له في معركته على البشرية التي تؤمن بربها ورسله وترى خلق الله وقدرته في السموات والأرض وترى الأقوام التي قضت نحبها ودالت وماتت وهي تقرر وبشكل ذاتي من يقودها في الصراع الدائر بين الخير والشر.

وفي الآية الأخيرة خطاب مباشر للرسول عليه الصلاة والسلام ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾ وبه تقديم واسع الإطار شامل الإحاطة بالناس قبل الخلق وأثناء حياتهم وبعد الممات وعند البعث والنشور وعند الجزاء والحساب والجنة والنار، إحاطة في عالم الوجود المادي والمعنوي في عالم الأفعال والأقوال وعالم التفكير والنوايا، إحاطة على مستوى الفرد والعائلة والمدينة والدولة والكرة الأرضية والكون، إحاطة بتعاقب الدول والأنظمة والحكومات والقوانين والتشريعات، إحاطة بالفساد والمفسدين ،وبعباده المؤمنين، إحاطة بالمادة وتغيراتها وبالكائنات دقيقها وعظيمها وبكل شيء وكل ما يجري أثناء دوران الكون وتعاقب الليل والنهار.

إحاطة تتناسب مع جو النص وتتناسب مع حالة الضعف التي يعاني منه الرسول محمد وأتباعه وحالة الحزن الشديد على فراق العون والسند، إحاطة تبشر بالخير من خلال قدرة الله وعلمه فيما يختص بالناس وتقلباتهم وشؤونهم وتغيرات أحوالهم، المذنب والعاصي، القاتل والمقتول، التابع لإبليس في معركته والمؤمن التابع لله ورسوله، المنتصر والمهزوم، الدول الدائلة البائدة والدول القائمة، الحكام والمحكومين كل باسمه ونسبه ولونه ومعتقده وسلوكه وزمنه وإحاطة بقيام دولة الإسلام مستقبلا وظهورها على الأمم.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا﴾ [سورة الإسراء: 60].

في هذا الجو من الإحاطة الشمولية يأتي الحديث عن الرؤية لنريه من آياتنا، فإلى جانب أن الإسراء بذاته من ناحية الزمان والمكان والسرعة آية من آيات الله، وكل كلمة من كلمات الآية الأولى تختص بالصراع الأرضي وتبشر بالنصر، إضافة إلى أن رؤية الأنبياء والصلاة بهم ورؤية ملكوت الله إلى سدرة المنتهى، فهناك رؤية الماضي والمستقبل من الأحداث. الأحداث كلها بشخوصها وأماكنها وأسبابها ونتائجها وتغيراتها ومصارع الأقوام وأحوال الأمم، وأحوال أمة محمد في حالة النصر والهزيمة التي تتسق مع حالة الصراع التي

تشير إليها الكلمات منذ الآية الأولى في هذه السورة، وهي رؤية تحمل وتؤكد البشرى القريبة بعلو شأن هذا الدين وانتصاره بعد سنوات قلة من الإسراء.

لكن من يصدق هذه الرؤية؟ من يمتلك الإيمان الكافي ليستوعب هذا الحدث؟ على الرغم من قلة الزمن الذي تمت به المشاهدة، إنها فتنة عظيمة لا ينجو منها إلا كل ذو إيمان بعيد ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [سورة الإسراء: 60]، امتحان واختبار عالي المستوى لتمحيص الفئة المؤمنة، وكذلك الشجرة الملعونة في القرآن في نفس الآية فتنة للناس، إنها شجرة الكفر وأهله، جذرها إبليس الذي يغذي الفساد وساقها بنو إسرائيل ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ﴾ [سورة النساء: 47]، وفروعها وأوراقها أعوانهم من ملل الكفر الأخرى وثمارها فساد في البر والبحر والدنيا وهلاك في الآخرة، إنهم الفتنة للناس في الأرض على مدار التاريخ البشري.

إذن الإحاطة والرؤيا المستقبلية مرتبطة بالناس وتقلباتهم وعلى الخصوص بالشجرة الملعونة من بني إسرائيل ملة الكفر الأبدي وملة الإفساد البشري، وهذا ما توحي به الآيات مباشرة بعد الآية الأولى من سورة الإسراء، إذ تتحول للحديث عن سيدنا موسى ﷺ وعن بني إسرائيل وزوال دولتهم التي ذكرت في كتاب موسى ﷺ ومن ثم ذكرت بهذا القرآن ومع أن الله يخوف هذه الملة الفاسدة في آياته، ألا أنهم يزدادون طغيانا وظلما وإجراما وقتلا وكفرا ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾ [سورة الإسراء: 60].

9- "إنه هو السميع البصير":

قد يتبادر لذهن القارئ بعد هذا الحدث الخارق لقواعد المعرفة البشرية في عصر النبوة وما تلاها من عصور أن تنتهي الآيات بـ - إن الله على كل شي قدير- تأكيدا وإثباتا للقدرة الربانية على فعل الإسراء، وقد يقول قائل لو أن النبي محمدا ﷺ أخفى الحديث عن القوم حتى لا يرتد البعض من المؤمنين عن رسالته الجديدة ، وحتى لا تستخدم قريشا

الحادثة إعلاميا بالسخرية والاستهزاء من محمد ﷺ ومن أصحابه واستخدامها كأداة ودليل في إقناع من تراودهم أنفسهم للإقبال على الإسلام ليردونهم عنه.

لكن الرسول محمد ﷺ الذي عاش حادثة الإسراء وعيا كاملا بجميع حواسه، حيث تمت الإشارة لهذا الوعي باستخدام حاستي السمع والبصر في ختام الآية، ومحمد عليه الصلاة والسلام الذي شاهد المبشرات المستقبلية، لا يسعه إلا أن يعبر عن فرحته إلى الملأ من القوم الذين كذبوا الرسالة، والرسول يطلعهم على هذا الحدث من مشهد القوة والتمكين والانتصار القريب، ولأنه الصادق الأمين أراد بصدقه أن ينذر القوم بان النصر آت لأمة الإسلام والمستضعفين من المؤمنين ، وينذر قريشا وأهل مكة أن عليهم إتباع الإسلام الذي به ينجون ويسعدون قبل أن يروا ويعيشوا الآيات التي رآها في الإسراء.

وإذا ما أرادت قريش أدلة مادية على صدق إسراء محمد عليه الصلاة والسلام وصدق الحادثة فلتسأل عن أي أمرمتعلق بها، إضافة إلى أنه يمكنهم أن يروا شيئا منها بأم أعينهم، وستكون نتائج الخير على مر السنوات القادمة وسترى قريشا كيف تصبح جزيرة العرب كلها تدين بالإسلام وكذلك يسودون الروم وفارس عما قريب.

أيضا إن الله ربي وربكم – السميع البصير- يسمع ويبصر هذا الجمع، ويسمع ما أقوله لكم، ويبصر الحدث، ويسمع ما تقولون ويبصر الذي تتآمرون، وهو "سميع بصير" يشاهد الأشياء حاضرها وماضيها ومستقبلها، كلها معا ظاهرها وخافيها بغير جارحة.

وهذا تعبير يتناسب مع جو الليل الذي أسري الرسول ﷺ به حتى لا يتم التساؤل كيف رأيت الأشياء في هذا الليل الداجي؟ لتجيب الآية عن نفسها " أنه هو السميع البصير" وتقديم السمع على البصر صورة أخرى من الصور الرائعة تتناسب مع قدرة استخدام حاسة السمع بالليل أكثر من البصر، فجاء التقديم متوائم مع ظلال الليل في حالة الإسراء.

وبمتابعة الآيات التي وردت في سورة الإسراء والتي أوردت السمع والبصر: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [سورة الإسراء: 36] تظهر مرة أخرى تقديم السمع على البصر في حالة توافقية مع أجواء

الإسراء في الآية الأولى، ولكنها خطاب مباشر إلى سيدنا محمد بأن يتحدث بما حصل معه من الأحداث فقط، الذي أطلعك الله عليه، ولا تقف ما ليس لك به علم، فالله سميع بأقوالك بصير بأفعالك مطلع على قلبك وأنت مسئول عن نقل ذلك الحدث ومن بعدك أمتك مسئولة والبشرية كلها مسئولة.

وخلاصة القول وما يستنتج من الآية الأولى من سورة الإسراء:

1- أن سورة الإسراء هي السورة الوحيدة التي بدأت بـ (سبحان) والوحيدة التي تتحدث عن حادثة الإسراء وهي الوحيدة التي يكرم بها نبي بأن يسري الله به، ويريه وحده الأحداث والآيات التي ستمر على مستقبل أمته في حادثة واحدة، وهي الوحيدة التي تتضمن الحديث المباشر عن المسجد الأقصا لفظا ومعنى وما يدور حوله من صراع وهي السورة الوحيدة التي تتحدث عن مراحل زوال دويلة بني صهيون (إسرائيل) رجسه الخراب في الأرض.

2- وهي سورة اختزلت حالة الصراع ومكانه ونتائجه في آية واحدة، ويظهر فيها مدى الترابط العضوي بين العبودية لله وزوال أهل الكفر في الماضي، وكذلك العبودية لله وزوال دولة الكفر والفساد في الأرض دولة بني إسرائيل في المستقبل.

3- وهي السورة الوحيدة في القرآن التي تربط بين مشهد الإسراء في الآية الأولى، ومشهد العلو الإسرائيلي وزوال دولة إسرائيل في الآيات التي تليها مباشرة، فكما رأينا أن الإسراء كانت حادثة غير متصورة بالعقل البشري صعبة على التقبل أو التصديق إلا من الفئة التي امتلأ قلبها إيمانا وتصديقا، فان الواقع المستقبلي لزوال دولة بني إسرائيل سيكون كما الإسراء غير قابل للتصديق وغير متوقع بالعقل البشري، إلا أن الربط بين المشهدين يذكر العقول اللاهية عن تحمل مسؤولية الجهاد والدفاع والمواجهة من أبناء الأمة في جميع مستوياتها وصولا إلى قياداتها، والتي تدعي أنها آمنت بالإسراء وآمنت بخبر السماء والتي ترى العلو الإسرائيلي علوا أبديا لا يمكن إزالته، تذكرهم أنه كما آمنتم بالإسراء قلبا وعقلا وأنه مشهد واقعي حسي عليكم الإيمان بزوال دولة إسرائيل "وكان وعدا مفعولاً. وكما حدثت الإسراء بالسرعة المتناهية وفراش الرسول

محمد لا زال دافنا عند عودته، فان زوال دولة إسرائيل القادم سيحصل بالسرعة المتناهية التي لا يتوقعها فرد.

4- ويستفاد من الآية تحديد مكان الصراع الدائم وتحديد مقر دولة الخلافة الإسلامية وأين يجب الحشد والرباط والدفاع إلى يوم الدين وقد أوضحت الآية دائرة الحولية وامتدادها من استانبول في تركيا شمالا إلى مكة ومن شرق العراق والأهواز إلى شرق ليبيا في توافق كلي مع تقلبات، التاريخ الإسلامي في الخلافة والقيادة و حماية الإسلام والأمة الإسلامية وأراضيها.

5- توحي الآية بأن الأمم قد تتداعى على المسجد الأقصى بدواعي الاحتلال وبدفع مباشر من بني إسرائيل وبحالة ضعف من الأمة وبشكل دائم - ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [سورة المائدة: 82]، ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[سورة البقرة: 120] - أو بدواعي محاربة الإيمان والإسلام وأهله لكنها على الدوام في عرف المنطقة غازية، والأمة تتحد دائما في المنطقة العربية لمواجهة الغزاة وتستمر في جهادهم حتى ينحسروا ويتراجعوا عن أرض الإسلام { وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا } (8) سورة الإسراء، إنه وعد على الدوام فان عدتم للاحتلال والفساد عدنا لقتلكم وإزالتكم ومحو أثاركم.

وقد يتبادر إلى الذهن تساؤل ضروري، إذا كانت هذه دائرة الصراع فما على الأمة الإسلامية التي تقع خارج هذه الدائرة من مسؤوليات؟ وما هو دورها؟.

فنقول: إننا نعرف من أجسامنا التي أمرنا الله أن نتفكر بها - ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [سورة الذاريات: 21]، أن الدماغ محاط بجمجمة تحميه وتدافع عنه وتتلقى عنه

الصدمة الأولى، قبل أن يأمر الدماغ الأطراف بالدفاع عن المحيط الجمجمة، وكذلك القلب يحيط به قفص صدري يدفع عنه الصدمات والكدمات، وهكذا... فإن لكل جزء من الجسم دور فاعل يساند الأدوار الأخرى وعلى أمة الإسلام أن تكون جسدا واحدا يسهر بعضه على راحة البعض ويساند بعضه بعضا، فلكل خليه في الجسم دور وهي تعمل بانتظام مع الخلايا الأخرى، ثم تتخصص الخلايا المتشابهة لتشكل نسيجا متماسكا من الخلايا ذات الوظيفة المحددة، ثم تتطور الأنسجة إلى أعضاء متخصصة ثم أجهزة تشكل جسد الأمة وهكذا تبنى المهمات والبنى التنظيمية.

والبلدان الأخرى التي تحيط بالأمة الإسلامية هي كطبقات الجلد التي تمنع دخول الجراثيم لجسم الأمة الداخلي، وكلما كانت الطبقات أصلب كلما كان الجسم محميا، وفي حالة إصابتها بجرح أو اختراق فإن الجسم بكامله يقاوم ويدافع بواسطة خلايا الدم البيضاء لعلاج جرحها ويدافع عن الجلد وطبقاته، كما أن الجلد يحتوي على مجسات عصبية حساسة للظروف البيئية المحيطة بالجسم وينقل أخبار البيئة الخارجية للدماغ، و يشارك بالضربات الخارجية مع الأطراف عندما يلزم، إنها صورة تكاملية تبادلية لا أفضلية بها للداخل على الخارج ولا أفضلية للخارج على الداخل وإنما على الكل أن يعرف الدور الذي يقع على عاتقه ويقوم بواجبه تجاه الأجزاء الأخرى.

فيا أيها المسلم يا عبد الله هنا أو هناك، بعيدا أو قريبا كنت، اعلم أن لك دورا عظيما، وعليك أن تعرف النسيج الذي يمكنك أن تعمل فيه ومن خلاله، حتى تكون خلية فاعلة في جسد الأمة، الذي يتعرض اليوم إلى الجراثيم الاستعمارية الخارجية والداخلية، فأين أنت وهو وهي من جراثيم الغرب والشرق التي تتداعى على الأمة؟ وما موقعك في معادلة الصراع والدفاع عن أمتك وهل أنت جاهز للقيام بواجبك لحماية أمتك؟.

تحديد مكان الصراع

ب- بؤرة الصراع في بلاد الشام

أوضحنا انه من أراد البحث عن تحديد المكان في معالم خطته، عليه أن يدرك أن الحشد والرباط في الدائرة التي تعتبر دائرة الحولية وحمى الخلافة ودائرة البركة للمسلمين والتي تمتد من اسطنبول شمالا إلى البيت الحرام جنوبا - وخصت اليمن بالدعاء بالبركة ليمتد خط البركة ليصل إلى بحر العرب جنوبا- ومن حدود العراق الشرقية مرورا بالأهواز إلى حدود ليبيا الشرقية .

وعليه أن يبني إجراءاته وخطوات عمله بالتوافق مع هذه الرؤية، ثم يوجه جهوده إلى مركز وقلب الأحداث ليواجه دولة الفساد ورجسة الخراب دولة بني صهيون، التي وضعت لنفسها شعارا يتضمن احتلال أرض أمة الإسلام فلسطين وبيت المقدس من فهم ووعي تلمودي تاريخي وعقدي واضح "أرضك يا إسرائيل من الفرات إلى النيل". ومن المركز- بيت المقدس - يبدأ الانطلاق إلى القوى الظالمة لتحرير البشرية من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا وفسادها وعلو المفسدين إلى سعة الدنيا والآخرة وإقامة العدل في الحياة على أساس مقولة سيدنا عمر ﷺ وأرضاه "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا".

ومع استمرار البحث في الأدلة القديمة في زمن بعثة الرسول محمد ﷺ وقبل البعثة عن مقصود بلاد البركة "الشام" التي ينتمي لها المسجد الأقصى، من خلال الآيات والأحاديث وقبل التحولات التي جرت عليها بفعل الحروب والتقسيمات الإدارية الجديدة. فإننا نجد أن الدلالات التاريخية لجغرافيا المنطقة تشير إلى أقدم استخدام لمصطلح سوريا المرادف لبلاد الشام "بلاد أشور" والذي كان مستخدما أيام اليونانيين.

فهي تمتد لتشمل بلاد ما بين النهرين، أو العراق الحالي وكامل الهلال الخصيب وصولا إلى أجزاء من أرمينيا كما ورد في وصف المؤرخ الروماني "فيلونيوس الأكبر" وامتدت

إلى جنوب تركيا وصولا إلى جبال طوروس، كما شملت الأجزاء الغربية لما يسمى إيران (الأهواز) حاليا، وامتدت إلى مصر القديمة - مصر والسودان - في زمن كل من الملك الآشوري أسرحدون ابن سنحاريب و آشور بانيبال ابن أسرحدون.

هذا هو المعنى الذي عرفه العرب- الشام أو سورية الكبرى أو بلاد آشور- قبيل الإسلام وقبل الانتصارات الفارسية على الرومان وهذه الشام التي لا يزال القوميون العرب يتغنون بها حتى أن الفهم اليوناني القديم للاسم يشمل القرين - الكويت حاليا - وفي القاموس المحيط ولسان العرب "(الشَّامُ): بِلادٌ سميت كذلك لأنها تقع عن مَشْأَمَةِ القِبْلَةِ" وتبوك وتيماء من أرض الشام.

في زمن الرسول ﷺ فإن الشام كانت تعني من الجزيرة الفراتية إلى العريش هذه بلاد الشام التاريخية التي يتم الحديث عنها في الأحاديث والآيات، لا بلاد الشام التي نشأت بفعل تآمرات سايكس بيكو 1، ولا المفردات الناتجة عنها من أنظمة مجزأة وحدود مصطنعة وشعوب مختلفة الأسماء والقادة والجنسيات والجيوش والإعلام، مع أنها تتكلم لسانا واحدا ولها دين واحد ورسول واحد ورب واحد.

بركة بلاد الشام في القرآن:

وردت العديد من الآيات التي تشير إلى بركة بلاد الشام في القرآن منها:

1- قول الله تعالى في قصة سيدنا موسى: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ﴾ [سورة الأعراف: 137].

2- وقـول الله تعـالى: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الاسراء: 1].

3- وقول الله تعالى في قصة سيدنا إبـراهيم: ﴿وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ۝٧٠ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: 70-71].

4- وقول الله تعالى في قصة سيدنا سـليمان: ﴿وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَـٰلِمِينَ﴾ [سورة الأنبياء: 81].

5- وقول الله تعالى في قـصة سبأ: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَـٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ [سورة سبأ: 18].

ونستنتج من النظر في هذه الآيات:

- أن هذه البركة مستمرة عبر التاريخ لم يجر عليها تغير ولا تحـول منـذ سـيدنا إبـراهيم ولوط وسليمان وموسـى عليه السلام وصـولا إلى سـيدنا محمـد آخـر الرسـل عليـه الـصلاة والسلام وحتى الآن في قرآننا الكريم هي أرض مباركة ومبـارك فيهـا ومبـارك حـول مسجدها. قال ابن جرير الطبري: "أي جعلنا فيها الخير ثابتاً دائماً لأهلها".
- وإن بلاد الشام على مر العصور هـي مـأوى ومـلاذ الأنبيـاء وأرض منجـاتهم وهـي مأوى المستضعفين المؤمنين من البشرية على اختلاف العصور وأنها معمورة منذ فجـر التاريخ تسكنها الأمم وتتغير ممالكها وأنبيائها وأديانها وأحوالها وذرية أهلها باقية على طول الزمان.
- أن أهم الأحداث التاريخية للأنبياء والرسل كإبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب وأيوب وداود وسليمان وزكريا ويحيى عليهم السلام دارت علـى هـذه الأرض المباركـة وقـد

سطرها القرآن الكريم زيادة في التكريم وتأكيدا على أهميتها كما سطرت بالكتب الربانية الأخرى.

- أن بلاد الشام تقدم ميراثاً وهدية من الله لمن آمنوا وصبروا وتحملوا المشاق وجاهدوا وهربوا من الظلم والاضطهاد حفاظا على دينهم (أورثنا القوم...).

بلاد الشام في الحديث النبوي:

أشارت أحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام إلى هذه البركة، ولا زال أهل الشام يستشعرون بها متأثرين بدعاء رسولنا محمد عليه الصلاة والسلام الذي يتفاعل مع أرضها وأهلها وسمائها ونباتها وترابها وكل من عليها ومن فيها وما فيها.

- عن عبدالله بن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال: "اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا"، قالوا: وفي نجدنا قال: "اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا"، قالوا يا رسول الله: وفي نجدنا، فأظنه قال في الثالثة: "هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان.

- عن زيد بن ثابت الأنصاري ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "يا طوبى للشام يا طوبى للشام يا طوبى للشام، قالوا: يا رسول الله وبم ذاك؟ قال: "تلك ملائكة الله باسطو أجنحتها على الشام".

- قال ﷺ: " عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ فَإِنَّهَا صَفْوَةُ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ بِلادِهِ، يَسْكُنُهَا خِيرَتُهُ مِنْ عِبَادِهِ، فَمَنْ أَبَى فَلْيَلْحَقْ بِيَمَنِهِ وَلْيَسْتَقِ مِنْ غُدُرِهِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ تَكَفَّلَ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ". صحيح

- عن أبي هريرة ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إذا وقعت الملاحم خرج بعث من الموالي من دمشق، هم أكرم العرب فرسا، وأجوده سلاحا، يؤيد الله بهم الدين". صحيح البخاري

هذه هي مناقب الشام ومناقب أهلها الذين تناولتهم دعوة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام في أحاديثه "اللهم بارك لنا في شامنا" وهذه الملائكة باسطة أجنحتها على الشام بما تعنيه من ظلال الرحمة والجاهزية للتدخل السريع والرباط، وما تحمله من معاني الدفء للقلب والنفس للذين يستشعرون القرب والأمن والحماية في بلاد الشام، أيضا تفيض الأحاديث بمعاني الكرم والأخلاق الحميدة والخيرية إضافة إلى معاني القوة والاستعداد والتدريب والجهاد.

يضاف إلى هذه المناقب قدسية المكان ووجود المسجد الأقصى أحد المساجد الثلاثة التي تشد الرحال إليها ووجود طور سينين "والتين والزيتون وطور سينين" وبها الشجرة المباركة التي تخرج من طور سيناء، كما أنها مهوى الأفئدة وبها عاش الأنبياء وماتوا، وهي أرض الحشر والمنشر، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في مجموع الفتاوى: "والنبيﷺ ميَّز أهل الشام بالقيام بأمر الله دائماً إلى آخر الدهر، وبأن الطائفة المنصورة فيهم، فهو إخبار عن أمر دائم مستمر فيهم مع الكثرة والقوة، وهذا الوصف ليس لغير أهل الشام من أرض الإسلام، فإن الحجاز التي هي أصل الإيمان نقص في آخر الزمان منها: العلم والإيمان، والنصر والجهاد، وكذلك اليمن والعراق والمشرق، وأما الشام فلم يزل فيها العلم والإيمان، ومن يقاتل على أرضه منصوراً مؤيداً في كل وقت".

وقد اختار الله سبحانه وتعالى نبينا محمداً ﷺ، خاتما للأنبياء والمرسلين، وجعل الإسلام خاتمة الشرائع، وجعل أمته خير الأمم التي أخرجت للناس، واختار منها الطائفة المنصورة وجعلها في بلاد الشام، وجعل بلاد الشام في آخر الزمان مهوى أفئدة المؤمنين وأرض الحشد والرباط، وليس أدل على ذلك من حديث الرسول ﷺ عن عبدالله بن عمرو قال: "ستكون هجرة بعد هجرة فخيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم ويبقى في الأرض شرار أهلها تلفظهم أرضوهم...". ومهاجر سيدنا إبراهيم هي الشام والحجاز ومشارف مصر.

لهذه الأسباب وغيرها من القضايا الجغرافية والتجارية ووحدة البلاد العربية والإسلامية ومؤشرات العزة والكرامة والمنعة، كانت بلاد الشام أرض الصراعات التاريخية منذ فجر الإسلام ومنذ بعثة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام وقد أوضحنا فيما سبق أن

الإسراء إلى بلاد الشام والى المسجد الأقصى ورؤية الرسول محمد ﷺ للآيات وتطورات الأحداث على الأرض في بلاد الشام وصراعاتها وانتصارات المؤمنين وهزائمهم التي وردت في سورة الإسراء وتعاقب العلو والإفساد الإسرائيلي - الشجرة الملعونة - تشكل دائما المحفزات الطبيعية لبقاء أهل الشام على ذروة سنام الدين متحملين مسؤولية الجهاد يدافعون عن الأمة ويدفعونها إلى تحمل مسؤولياتها في الجهاد في كل مكان لاستعادة مقدساتها وديمومة عزتها.

فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أبواب دمشق وما حوله، وعلى أبواب بيت المقدس وما حوله، لا يضرهم من خذلهم ظاهرين على الحق إلى أن تقوم الساعة".

ولقد صح عن المصطفى ﷺ قوله: "فسطاط المسلمين يوم الملحمة الكبرى على أرض يقال لها الغوطة، إلى جانبها مدينة اسمها دمشق، هي خير منازل المسلمين يومئذ".

معركة مؤتة في بلاد الشام كنموذج للخطة للعامة

بتحليل واقع وأحداث معركة مؤتة التي تعتبر من أهم المعارك الأولى في تاريخ الأمة الإسلامية على أرض الشام وقد حدثت في عهد النبوة في عام (629 م، 8 هـ) وذلك بسبب قتل رسول رسول الله الحارث بن عمير الازدي على يد ملك بصرى شرحبيل بن عمرو الغساني، إضافة إلى كثرة مضايقات الروم في التعرض لتجارة المسلمين في الشام، مما دفع رسولنا محمد ﷺ للاستعداد والتجهيز لخوض معركة مع الروم للأسباب والدوافع التالية:

1- لأن شيم وقيم العرب تمنع قتل المبعوثين والرسل إلى الأمراء والقادة، والقتل يعني إعلان الحرب على من أرسله والاستهزاء به.

2- ولتأديب قبيلة غسان

3- ولتطلعات الرسول المبعوث للعالمين والأمم كافة لتحرير بلاد الشام وبيت المقدس وأول الحشر.

4- ولعلمه عليه الصلاة والسلام بأن هذه المعارك هي مفاتيح النصر القادم

5- ولتعلم الروم أن على أرض العرب من يتطلع لمقاتلتها.

6- وأن ثمة لاعبين جدد على ساحة المعركة من غير فارس والروم، .

7- وأن المسلمون جادون في الدفاع عن أنفسهم بل وجادون في خوض المعارك لنشر دين الله على قلة العدد والعدة.

وبمتابعة المشهد قبيل المعركة الأولى مع الروم، أعتى دول الأرض وأقواها، نرى كيفية تحضير واستعداد الرسول والصحابة لخوض المعركة ونلاحظ ماذا حصل فيها؟ وماذا حصل بعدها؟ مسترشدين بما أوردناه في ملامح الإستراتيجية والخطة العامة:

القائد الأعلى محمد عليه الصلاة والسلام: يضع الخطوط العريضة لخطة المعركة.

1- **الهدف العام:** نشر الإسلام على الأرض القريبة من جزيرة العرب أرض الروم

2- **هدف المعركة المرحلي:**

- حماية المسلمين وتجارتهم من أذى الروم.
- الرد على مقتل رسول رسول الله.
- وتحرير العرب من ظلم الروم.

3- **الكفاءات البشرية:** قادة المعركة في الصف الأول وهم: زيد بن الحارثة، جعفر بن أبي طالب، عبدالله بن رواحه، ثم يختار جند المسلمون المشاركون في المعركة - الهيئة العامة - من يقودهم.

4- **الإمكانات المادية والبشرية:** ثلاثة آلاف من الجند بسلاحهم وما توفر لديهم من خيول.

5- **المكان:** أرض الروم

6- **الزمان:** يحدده القادة التنفيذيون عند الوصول إلى أرض المعركة

7- **الإجراءات التحضيرية التي قام بها القائد العام:**

- حشد الجند الذي وصل عدده ثلاثة آلاف مقاتل.
- تعيين القادة بناء على الخبرة

- تقديم الوصايا للجند قبل المغادرة: "أغزو بسم الله عدو الله وعدوكم".
- تحديد المكان: في الشام ، آتوهم في أرضهم
- وضع المبادئ الأساسية للمعركة: ادعوهم للإسلام، فإن أبوا فالجزية، وإلا فالقتال.
- التأكيد على قيم المعركة: ستجدون رجالا في الصوامع معتزلين فلا تتعرضوا لهم ولا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تقتلوا وليداً ولا امرأة، ولا كبيراً فانياً، ولا تقطعوا نخلاً ولا شجرة، ولا تهدموا بناء.
- الأمر بالبدء والتنفيذ بعد التأكد من التجهيزات، وقد أنكر الرسول على زيد تخلفه عن القوم بعدما أمر بالتنفيذ من أجل صلاة الجمعة مع الرسول (لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما أدركت غدوتهم)،
- الملاحظة والتغذية الراجعة: يتابع الرسول ﷺ الأحداث أولا بأول وينقل الصورة الصادقة لأهل المدينة باستشهاد من استشهد. - أي يعيش القائد مع الحدث وهو جزء منه -.
- تقييم الوضع الختامي "ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله محفزا الجند لتحقيق الهدف العام ألا وهو نشر الإسلام دين الله على أرض الروم بلاد الشام.
- متابعة ورعاية أهل الشهداء والجرحى بعد المعركة.

دور القادة التنفيذيون (قادة المعركة):

- الاستماع إلى أوامر القائد العام وطاعته وتنفيذها بالتراتبية التي أرادها.
- تنفيذ الوصايا التي أرادها وعدم الإخلال بأي منها.
- العمل والإلتزام بالقيم والمبادئ التي يطلبها القائد في المعركة
- اختيار التوزيعات و الزمان والموقع الأنسب لبدء المعركة.
- الاستمرار في تحفيز الجند لخوض المعركة ببسالة كقول عبدالله بن رواحه: إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون – الشهادة- وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة،

ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنين، إما الظهور وإما الشهادة".

- ضرب أروع الأمثلة في التضحية أمام الجند كقصة جعفر بن أبي طالب ﷺ.
- سرعة اتخاذ القرار ومحاربة التردد كما حصل مع "عبدالله بن رواحه" وخالد بن الوليد رضي الله عنهما.
- استخدام التكتيكات المختلفة بما يحقق مصلحة المسلمين "خالد بن الوليد" ﷺ.
- تقييم الموقف العام من المعركة وأداء الجند
- توزيع الأدوار على الجند والقادة بما يتناسب مع الإجراءات التكتيكية.

دور الجند

- الإقدام وخوض المعركة دون خوف أو وجل.
- صدق الجند مع أنفسهم ومع القادة .
- تكليف واختيار القادة في حال موت القيادة بناء على الكفاءة والقدرة وتسليم الراية لأهل الخبرة والاقتدار دون تصارع عليها.
- طاعة القيادة المنتخبة والعمل بالأوامر بالاستجابة السريعة.

دورا المجتمع المحلي والاهلون:

- توديع المجاهدين بالدعاء والتشجيع.
- المساعدة في تجهيز الجيش بالدعم المالي والمعنوي.
- إبداء الرأي في نتائج المعركة والتصرف مع القادة والجند بناء على نتائج المعركة "يا فرار فررتم في سبيل الله".
- التشارك في رعاية وعناية أهالي الجند في غيبتهم.
- التكافل الاجتماعي مع أهالي الشهداء والجرحى.

8- نتائج المعركة "التقييم الشامل"

- تم اختبار قدرة المسلمين على خوض معارك بعيدة عن المدينة، وتم اختبار قوة الروم في أول مواجهة.
- تم إظهار قدرة المسلمين على توفير القيادات العديدة دون أن تتوقف المعركة وتستمر على نسق واحد ودون أن تتأثر معنويات الجند بموت القيادة.
- تم إظهار قدرة المسلمين على خوض المعارك وتحقيق المخاسر الكبيرة في أعدائهم دون أن يخسروا إلا القليل من القادة والجند رغم أنهم يقاتلون على أرض عدوهم وبين قبائله وفي مواجهة أكثر من مائتي ألف من جنوده.
- تغيرت معايير المعركة، فلم تعد نتائج المعركة مرتبطة بالعدد والعدة وأرض المعركة. وإلا فكيف ينجو ثلاثة آلاف من العرب أهل الصحراء الذين لا خبرة لهم بقتال الدول من بين مائتي ألف من جنود الروم المزهوين بنصر قريب على فارس.
- ظهور المسلمين كلاعبين جدد في الأرض وهم لم يكونوا من قبل في حسابات المعركة فلفترة قريبة لا تعرف الأرض إلا كسرى الفرس وهرقل الروم، فقط إمبراطوريتان تحكمان الأرض دون منازع، أما اليوم فقد ظهر أتباع الله من جند محمد على الأرض، وهزموا أعتى الدول على الأرض.
- هزت المعركة مشاعر العرب التابعين لفارس والروم وعقولهم وبالتالي خياراتهم فقد ظهر لهم من العرب من يهزم هذه الدول ويصر على مواجهتها ويحدث فيهم الخسائر ويعود سالما.

لقد تحققت أهداف الغزوة - ولكل غزوة خطتها - وتحققت هيبة الدولة الجديدة بقوة الردع لجنود محمد عليه الصلاة والسلام الذين وصلوا ديار الروم وقاتلوهم وأوقعوا بهم الخسائر وعادوا سالمين إلى المدينة، وقد أذاقوا الروم مرارة الهزيمة، لذا عليهم أن يحترموا العرب والمسلمين الذين أصبح لديهم سند وظهر يلجئون إليه بعد أن كانوا بلا قيادة.

هكذا ظهر رسول الله محمد وأتباعه كقيادة جديدة للعرب وغيرهم، ولمن أراد أن يتحرر ويتخلص من استعباد الروم والفرس، فليقدم ويتوجه إلى رسول الله العربي القرشي الهاشمي المكي ليعلن إسلامه لله، وله ما لجنود محمد وأتباعه وعليه ما عليهم، إنها بارقة الأمل الأولى لمن عانوا من بطش الروم ومن العبودية المطلقة لقيصرها متحملين الأذى وفواحش السلوك والسيطرة الاقتصادية والعسكرية عليهم ليعلنوا حريتهم، وهذا ما أدركه مباشرة بعد هذه المعركة فروة بن عمرو الجذامي حين أعلن إسلامه وقد كان أحد قادة فرق الروم ولكنه عربي، وذلك لإعجابه ببسالة جند محمد في المعركة وإدارتهم لها ونجاحهم في تحقيق أهدافها.

بعد هذه المعركة أصبحت بلاد الشام حلبة صراع جديدة بين أتباع محمد عليه الصلاة والسلام وبين إمبراطورية الروم، قبل إمبراطورية فارس التي تقيم إلى الشرق خلف الفرات وذلك:

- لأن قلب الرسول يهفوا لتحرير مهاجر أبيه إبراهيم ، وأرض الأنبياء وأرض الإسراء والمعراج، وأرض المحشر والمنشر وأرض الرباط.
- ولأن هذا الإسلام دين الله يجب أن يصل إلى البشرية كافة لإنقاذها من ظلمات الكفر وظلم الممالك.
- ولن يتأتى لهذا الإسلام الانتشار دون إزالة معيقات الأنظمة القائمة.
- ولا بد من الوصول إلى حالة المواجهة الشاملة والتصادم المباشر الدموي، لإرغام منظومة الكفر الجاهلي من عرب ومن روم وفرس - التي تمنع انتشار الإسلام - للإنصياع إلى خطاب العقل، من خلال تعاليمه السامية وصدق أخلاق متبعيه وسلوكهم القيمي التربوي حتى في ذروة المعركة ومع عظمة النصر.
- ومن أجل الإنصياع لدين الله ولهذا فرض الجهاد بمبادئه السامية الإسلام، فالجزية، فالقتال وليس أدل على هذه المبادئ من العهدة العمرية التي على الأمة أن تتذكرها وتذكر العالم بها .

مبادؤنا في الحرب يرسمها سيدنا عمر ﷺ في العهدة العمرية

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى عبد الله أمير المؤمنين أهل إيليا من الأمان: أعطاهم أمانـًا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمهم وبريئهم وسائر ملتهم؛ أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها، ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضام أحد منهم، ولا يسكن بإيليا معهم أحد من اليهود، وعلى أهل إيليا أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيليا من الجزية، ومن أحب من أهل إيليا أن يسير بنفسه وماله مع الروم (ويخلى بيعهم وصلبهم)، فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم، حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيليا من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية". شهد على ذلك: خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان.

هذا هو التسامح الإسلامي العظيم الذي اعتبره المؤرخ الإنجليزي الكبير "أرنولد توينبي" ظاهرة فريدة وشاذة في تاريخ الديانات. وهذه هي القدس التي زارها برنار الحكيم وذكر "برنار الحكيم" أن المسلمين والمسيحيين النصارى في القدس على تفاهم، وأن الأمن مستتب فيها، وأضاف قائلا: وإذا سافرت من بلد إلى بلد ومات جملي أو حماري، وتركت أمتعتي مكانها، وذهبت لشراء دابة من البلدة المجاورة سأجد كل شيء على حاله لم تمسه يد.

وهذا هو المسجد الأقصى الذي قال فيه أبو ذر ﷺ عن الرسول ﷺ: تذاكرنا - ونحن عند رسول الله ﷺ أيهما أفضل مسجد رسول الله ﷺ أم بيت المقدس؟، فقال رسول الله ﷺ:

"صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه ولنعم المصلى هو، وليوشكن أن يكون للرجل مثل شطن فرسه من الأرض حيث يرى منه بيت المقدس خير له من الدنيا جميعاً". أو قال: "خير له من الدنيا وما فيها".

وفي العام الثامن نفسه يسير الرسول إلى فتح مكة ويحقق نصرا مؤزرا ثم مع نهاية السنة الثامنة يسير الرسول في غزوة العسرة إلى تبوك التي قال فيها الرسول "نصرت بالرعب مسيرة شهر"، وفي السنة العاشرة كانت حجة الوداع وفيها وفاة الرسول الأعظم محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة والسلام بعد أن أكمل الله الدين له ولأمته "اليوم أكملت لكم دينكم".

ثم تتابعت الغزوات في عهد أبي بكر ﷺ فقد نفذ أبو بكر ما عقده رسول الله قبل وفاته "بعث أسامة" الشاب الذي لم يتعدى العشرين من عمره سنة (631 م، 10هـ) وقال: "والذي نفس أبي بكر بيده، لو ظننت أن السباع تخطفتني لأنفذت بعث أسامة، كما أمر به رسول الله ﷺ، ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته". وما هي إلا أيام، كان جيش أسامة بن زيد يفاجئ تخوم الروم بقضاعة، وايت ابل، ليغنم ويسلم ويقاتل الجيش أربعين يوما لا يفقدون شهيدا واحدا من المسلمين، ليعقد بعدها هرقل اجتماعه في حمص ويصيح في البطاركة "أليس هذا الذي حذرتكم فأبيتم أن تقبلوا مني، قد صارت العرب تأتي مسيرة شهر فتغير عليكم، ثم تخرج من ساعتها" .

وقد تأثرت قبائل العرب التي دخلت الفتنه والردة أبوابها من هذه المعارك خائفة من قوة المسلمين الذين أنفذوا البعث مباشرة بعد موت الرسول ليغنموا من الروم ويحدثوا فيهم ويعودوا سالمين مما دلل على قوتهم وبأسهم.

ثم فتحت الحيرة وفتحت الأنبار ودومة الجندل وتهيأت الظروف لمعركة اليرموك التي تعتبر أهم معركة في تاريخنا الإسلامي الأول، فقد فتحت اليرموك الباب أمام هزائم الروم واندحارهم من بلاد الشام وانتصارهم في المعارك المتتالية في دمشق وحمص وبعلبك وفتحت القدس ودانت لهم قنسرين وقيسارية وغزة واللاذقية وحلب، وحيفا ويافا وغيرها.

وما أن أتت السنة الثانية والعشرون للهجرة إلا ومصر وبلاد الشام وبلاد فارس والمدائن ونهاوند وخرسان تحت الراية الإسلامية.

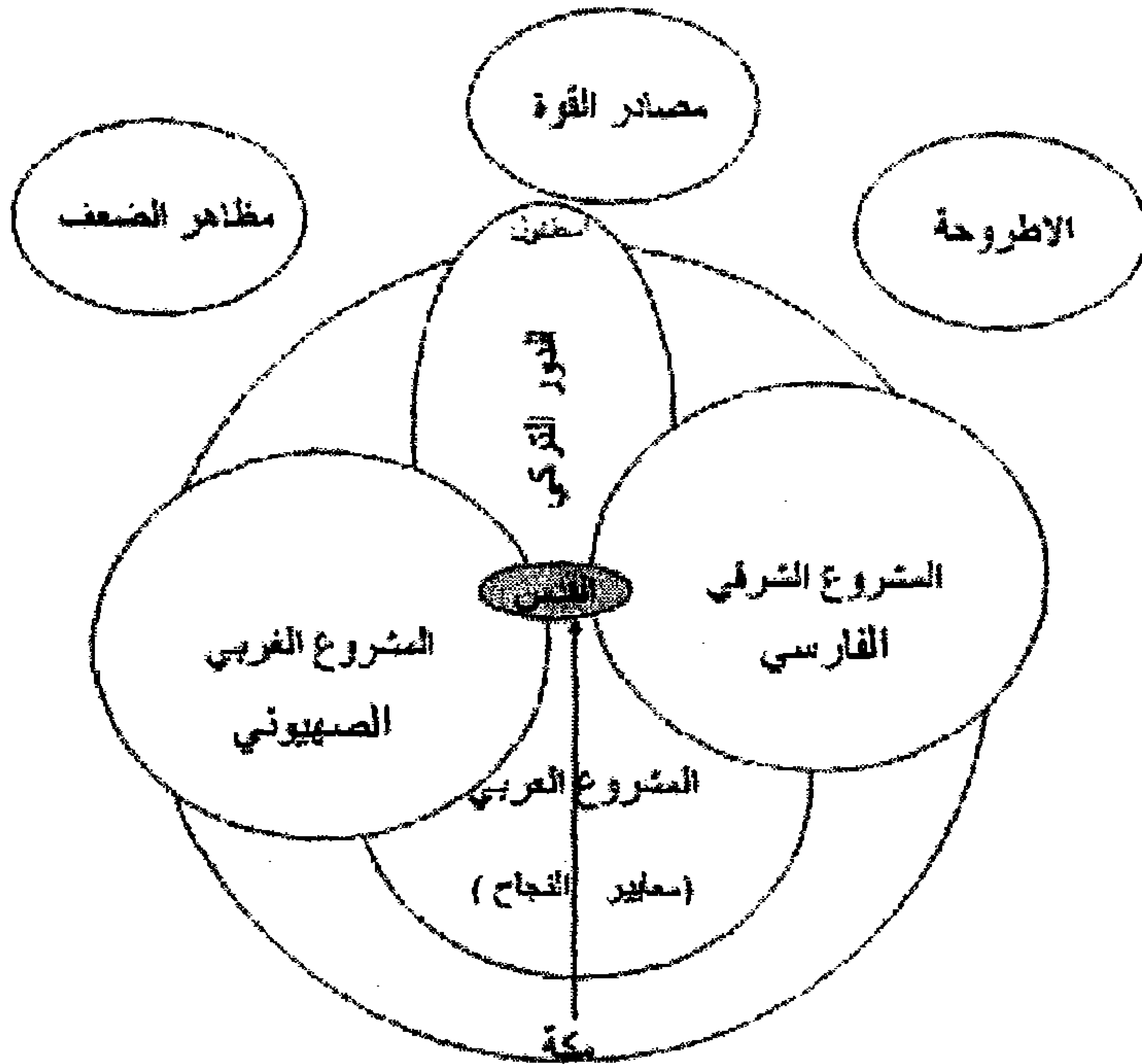
هذه بلاد الشام التي قال فيها أبو بكر الصديق: "لأن أفتح كفراً من كفور بلاد الشام أحب إلي أن أفتح مدينة من بلاد العراق"، التي دخلها عمر فاتحا، وفيها حتى اليوم أضرحة قادة الجهاد الإسلامي من الصحابة وأرضها مجبولة بدماء الشهداء الطاهرة على مر التاريخ الإسلامي وعلى أرضها معركة حطين وعين جالوت وفيها دحر الصليبيون والتتار وكل الحضارات التي أرادت شرا بالإسلام المسلمين وعلى أرضها سيهزم اليهود ويدمر كيانهم، وعليها سيقتل الله المسيح الدجال وعليها سيبيد الله جحافل يأجوج ومأجوج. عن أبي هريرة ﷺ .... ويأتي المسيح من قبل المشرق، وهمته المدينة، حتى إذا جاء دبر أحد تلقته الملائكة فضربت وجهه قبل الشام، هنالك يهلك، هنالك يهلك.

هذه الشام لمن أراد أن يعرفها، يقول أبو ذر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال له: "يا أبا ذر كيف تصنع إن أخرجت من المدينة؟ قال: قلت إلى السعة والدعة، أنطلق حتى أكون من حمام مكة، قال: كيف تصنع إن أخرجت من مكة؟ قال: قلت إلى السعة والدعة إلى الشام والأرض المقدسة، قال: وكيف تصنع إن أخرجت من الشام؟ قال: قلت والذي بعثك بالحق أضع سيفي على عاتقي".

فماذا تفعل الأمة الإسلامية وقد أخرجت من قلب الشام من القدس والأقصى فهل حملت سيفها على عاتقها أليس من الواجب على الأمة أن تعمل بحديث الرسول ﷺ؟ "سيصير الأمر إلى أن تكونوا جنودا مجندة جند بالشام وجند باليمن وجند بالعراق قال ابن حوالة خر لي يا رسول الله إن أدركت ذلك فقال عليك بالشام فإنها خيرة الله من أرضه يجتبي إليها خيرته من عباده فأما إن أبيتم فعليكم بيمنكم واسقوا من غدركم فإن الله توكل لي بالشام وأهله".

فيا أمة الإسلام هذا رسول الله قد اختار لكم من بداية نشر الإسلام في الأرض، أن تكونوا في جند الشام وجيشه فهل تعملون بما اختار لكم الرسول وهل ترون أهمية ذلك في

هذا الزمان الذي علا به أعداء الله ورسوله من بني صهيون وروم وفرس، وهلا أتيتم إلى الشام علكم تكونوا من خيرة عباده.



المشاريع المتصارعة على المنطقة

الفصل الخامس

المشاريع المتصارعة في المنطقة:

بين النقد الذاتي وإمكانية النهوض

تمهيد

إن أمتنا منذ مئة عام وأكثر وهي تواجه كثيرا من المصائب والمخاطر، لكنها كانت قاصرة الرؤيا عن منظومة المخاطر الشاملة التي تحيط بها، وركزت بداية على مواجهة الخطر العسكري الخارجي على الرغم من ضعفها، ثم تحولت للدفاع عن محاولات تغريبها عن دينها، واستمرت بمحاربة الوجود الأجنبي ولكن ضمن دوامة التبعية للأنظمة والمحاور الإقليمية التي ثبت بالتجربة أنها أنظمة وظيفية لدى المستعمر الذي أوجدها ومدها بأسباب البقاء.

والأمة بكل تنظيماتها لم تستطع الخروج على هذه الانظمة أو إقصاء نفسها بعيدا عنها لقوة جيشهم وأمنهم، ولأنها كشفت أوراقها بالكامل - أفرادها، وقدراتها، وتحركاتها، وأماكن تواجدها- لهم. وإذا ما حاولت الخروج عليهم ،فإنهم يعيشون في بنيتها الإجتماعية والتنظيمية وحراكها خرابا وفسادا وإرهابا وقمعا، لتجد نفسها غير قادرة على الإنجاز، بعد أن تفقد من قوتها وعمرها الكثير ،وتجد نفسها مضطرة أخيرا للسير في ركاب هذه الانظمة، وتصبح أداة من أدواتهم ، وبالتالي أداة من أدوات عدوها، وتغدو عائقا وثقلا على حركة الأمة.

ومن خلال البحث ومتابعة ما جرى ويجري على الساحة العربية الآن، نجد أن الواقع محكوم في إطار الأخطار الستة الدائمة السابقة الذكر، وما يضاف إليها من إجراءات تتعلق بالأخطار التكتيكية المتغيرة. فإسرائيل لا زالت تحتل أرضنا فلسطين، وما زالت تهدد وتتوعد وتستوطن وتقتل وتغتال ولا رادع لها، ولا من يقف في وجهها من الأنظمة العربية

والإسلامية ولا زال بيت المقدس محتلا ومأسورا . والجيش العسكري الكوني الصليبي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية يحتل ويدمر ويهاجم في العراق وأفغانستان والصومال واليمن والسودان وليبيا ولبنان على مرأى من العالم ومسمع، وبمشاركة جيوش وأنظمة عربية وإسلامية، مستخدما القانون الدولي وقرارات الأمم المتحدة الظالمة لتغطية عملياته في استهداف الدول المعادية له ولإسرائيل، ولا زالت الأمة في حالة من التجزئة ومنقسمة على ذاتها، ويزداد انقسامها حدة سنة تلو الأخرى، وقادة البلاد في تبعية مطلقة لا حول لهم ولا قوة، يشاركون عدوهم في عملية التقسيم كما يحدث في السودان واليمن والعراق. وشعوب الأمة تراوح مكانها كثور الرحى دون طحن ولا تنال إلا الجوع والمهانة والذلة و التعب. وأعداء الأمة من المشرق والمغرب تداعوا إلى مذبح هذا الثور بعد أن أنهكته الجراح وأضعفت أوصاله حوادث الزمن، ولم يحقق أي إنجاز يخرجه من أسره أو على الأقل يحافظ على قوته في ظل أنظمة الانقسام والتجزئة.

وقد عملت أمتنا في القرن الأخير ضمن أشكال مختلفة من العمل التنظيمي الذي يحاول مواجهة هذه المخاطر الست لكن بدون نظرة شمولية لها، ودون إدراك أن هذه المخاطر هي أدوات الكفر العالمي في مواجهة أمتنا ودون حشد كاف وشامل للمعركة ، فبعد أن وظف العدو عائلات ورجالات تقود وتحكم المنطقة، وتنفذ برامج التجهيل والترهيب والإفقار للشعوب، وبعد أن جزأ المنطقة ووضع الكيان الإسرائيلي حارسا وشرطيا يشرف عليها، ويشغل المنطقة في صراعات ثانوية تفشل الأمة وتؤخر تطورها ، ويقدم التقارير عن حالة المنطقة وتطورها، وعن أداء الأنظمة في الإبقاء على الأمة في حالة ضعف ووهن وانقسام وجهل؛ عمل على إنشاء التنظيمات المرتبطة بأفكاره المعادية للأمة وربط رجالات التنظيمات بالدوائر الأمنية وأصبحت التنظيمات وأفرادها عبارة عن مؤسسات أمنية مجانية لصالح المؤسسات التي تخدم أمن النظام، النظام الذي يخدم مصالح الغرب والشرق ولذا انكشفت الأمة وانكشفت قدراتها وأصبح من السهل على الأعداء استخدامها وتحريكها لخدمة أجندات هنا وهناك.

وقد نتج عن هذه المخاطر مظاهر عدة من الضعف والوهن في واقع أمتنا منها:

تغييب الحكم بكتاب الله وشريعته عز وجل، وضعف القرار السياسي السيادي لقادة الأنظمة وذلك لحالة التبعية المطلقة والاعتمادية الإقتصادية والعسكرية والسياسية على الغرب والشرق، واستعداءِ الأنظمة العربية والإسلامية بعضها بعضا ، عدا عن الاستهداف الخارجي لها أمنيا وعسكريا واقتصاديا واستمرار الإنشغال العسكري والخوف من الخطر الصهيوني الإسرائيلي العسكري والأمني ومن قدرته على استنفار الأمم . مع عدم توازن القوى والاستفراد الدائم بأجزاء من الوطن العربي تنفيذا لمخطط سايكس بيكو(1)(2) واستفراد الأنظمة والأعداء بقوى النهوض والجهاد واحدة تلو الأخرى، مع تحطيم أي تحرك أو تنظيم أو أي بناء نهضوي بغض النظر عما يحمله من أفكار وملاحقته بالسجن و القتل و التشريد و تجفيف موارده المالية والبشرية مما أدى إلى انتفاء الأرض الآمنة التي يمكن الانطلاق منها أو الاعتماد عليها لاستنهاض الأمة وتحريرها .

إضافة للاختراق الكامل لبوابات العالم العربي البرية والبحرية كمضيق باب المندب ومضيق جبل طارق ومضيق هرمز وعدم حماية أراضي الأمة والسماح بتواجد القواعد العسكرية والبوارج الحربية الغربية، وغياب القوة العسكرية النظامية لحمايتها وذلك لغياب التنسيق والوحدة و القيادة الأمينة على جانبي هذه البوابات للتحكم بها ومنع الأعداء من التواجد فيها.

عدا عن اختلاف الشيوخ وعلماء السلاطين والمشرعين في الفقه الإسلامي تجاه القضايا الكبرى والنوازل الطارئة في واقع الأمة مما فرق وجزء الأمة على أكثر من فتوى وسمح لكل فرد بتبني ما يراه مناسبا دون شعوره بالتقصير أو النكوص عن واجباته مما أضعف المناعة في جسم أمتنا اضافة إلى قعود مأجور وذنب مغفور وضياع تدريجي للبلاد والعباد.

مع غياب التخطيط وغياب النظرية الشمولية للأمة لمواجهة أعدائها، ورصد إمكاناتها البشرية والمادية لتحقيق أهدافها، مع عدم تدعيم وتحديد مواطن الضعف التي

تفرقها وقلة حشد القدرات البشرية الفكرية و العلمية والعسكرية والأمنية الكامنة فيها في بوتقة واحدة تعمل بشكل منتظم من أجل دفع العدو ومخاطره عنا وعن أرضنا.

وانشغال القوى الحزبية بشؤونها الداخلية على حساب القضايا العامة وفي بعض المناطق في صراعات ثنائية مثل ما حدث ويحدث في العراق، فلسطين، لبنان، أفغانستان، الصومال، مما جعل هذه الأمة تظهر في حالة ضعف دائم، وجعل من جماهيرها في حالة جهل مستمر تتحرك بشكل عشوائي بالعمل على نظام الفزعات والهبات الجماهيرية.

وقد نشأت في واقع العمل الإسلامي العديد من التنظيمات منها ما سمي بالإصلاحية التي تريد إحياء الدين وتوسيع قاعدة الناس المرتبطة به إلا أنها بقيت محصورة فقط وعلى مدار القرن الماضي في معالجة نوع أو نوعين من المخاطر السابقة.

فنرى مثلا جماعة الإخوان المسلمين ورغم الدور البارز لحسن البنا في إحياء وربط الأمة في دينها إلا أنها لم تر الخروج على النظام طيلة ثمانين عاما. ولم تعمل لإنهاء التجزئة ولم تتدخل حتى الآن في مواجهة المد الاستعماري، بل إنها متهمة بمشاركة المد الاستعماري في المنطقة كما حصل في أفغانستان والعراق والصومال، وبدل أن تستغل الفرصة في عملية التحول التي حدثت في الجزائر، وقف الإخوان مع العسكر والجنرالات في مواجهة جبهة الإنقاذ الجزائرية، ومع دخول عصر الثورة العربية لجدهم على تنسيق وتوافق مع الخارجية الأمريكية ليصنعوا لهم دورا في المنطقة حسب متطلبات الشرعية الدولية ومدنية الحكم وبالتالي حسب متطلبات المشروع الغربي لزيادة تقسيم المنطقة، وكذلك حزب التحرير الذي يعتبر اكثر اصالة وثباتاً على أفكاره ومنهجيته من الاخوان، على مدار نصف قرن وهو ينادي بعودة الخليفة ويطرح مشروعا وبرنامجا للخلافة دون قتال أو نزال إلا عندما يعود الخليفة وهم يشاهدون المسلمين في كل مكان يقتلون ويذبحون وتحتل أراضيهم ولا حراك لهم، وكذلك جماعة التبليغ بلا برنامج سياسي والصوفية وكثير من السلفية، فهم جميعا يعملون ولكن لا يأخذون بعين الاعتبار إتساع المعركة ولا المخاطر التي تواجه أمتنا.

وأغلب هذه التنظيمات وغيرها من التنظيمات القطرية في كل بلد تعاني من إشكالية التبعية لولي الأمر ووجوب طاعته وعدم الخروج علية مهما كانت صفاته

وخصائصه وطريقة قدومه للحكم، لذا نراهم عندما يداهم الأمة خطب من الخطوب في أرض ما فان الجميع على عددهم وإمكاناتهم يقفون متفرجين دون حراك وكأن القتل في غير أهلهم من المسلمين أو العرب ، وقد أصبح حالهم وهم في تجزئتهم وصراعاتهم عقبة في وجه انتفاضة الأمة بل غدوا أدواتا لمحاربة مشاريعها النهضوية.

أما التنظيمات الجهادية في المنطقة فقد رأت على أغلبها كفر الحاكم ورأت الخروج عليه ولكن هذه التنظيمات وقعت في حبال التجزئة القطرية، ووقعت في مصيدة الحراك الوطني ، فحركة الجهاد في مصر في القرن الماضي رأت تحرير مصر أولا، وغرقت في وحل العمليات البسيطة الداخلية دون أن يكون لها إمتداد خارجي، ودون أن يكون لها خطة عمل تأخذ بعين الاعتبار ظروف الواقع وإشكالاته، أو أولويات المعركة مع العدو الخارجي، فحوصرت وتم زجها بالسجون وعانت ما عانت من التنكيل والتعذيب تحت سياط النظام، وكذلك حركات المقاومة الفلسطينية سواء التي تبنت العمل الإسلامي أو الإطار الوطني كلها وقعت بنفس الشرك وهو العمل فقط على القضية الفلسطينية دون غيرها فظهرت وكأنها حركات وطنية محلية وتعاملت مع الحكام العرب وغيرهم على أنهم جزءا من معركتها ضد العدو، مع أن شواهد التاريخ تظهر عكس ذلك وما زالت التجارب تكرر نفسها منذ فتح وصولا إلى حماس.

ومع أن القاعدة وأخواتها في افغانسان وباكستان والصومال واليمن وفي المغرب العربي وغيرها من الساحات تبنت خطابا أكثر شمولية في مواجهة المخاطر التي تعاني منها الأمة في العقدين الأخيرين من القرن العشرين، وأوضحت أن معركتها ومعركة الأمة مع الغرب وجيوشه وقواعده العسكرية وبوارجه البحرية التي تدور في المنطقة، و مع الأنظمة العميلة التي تدور في فلك الغرب، وأعلنت بخطابها مواجهة شرطي المنطقة - العدو الإسرائيلي المتصهين - وهاجمت فكريا واعلاميا المنظومات والتنظيمات التي لا تعي ضرورة التحرك ضد أنظمتها وقوانينها، و ضد حالة التجزئة والفرقة التي تسيطر على المنطقة، إلا أن أعداء الأمة تنبهوا إلى هذا البرنامج الشمولي في رؤية القاعدة، وتدخلوا بشكل عسكري مباشر لحماية المنطقة وقادتها وتركيبتها الضعيفة، ومارسوا الدعاية المشوهة للقاعدة في كل

المناطق، وشغلوا القاعدة في مواجهة لون واحد من المخاطر، ألا وهو الجانب العسكري الذي يستنفذ قدراتها مع الأيام ويشغلها عن إدارة برنامج سياسي في أي بلد من البلدان التي تتواجد فيها.

وأهم ما يميز حراك القاعدة أنها تبنت طرحا لم تتطرق له الأطر التنظيمية السابقة، من خلال العمل الجهادي الشمولي الذي مهد لحركة عالمية للجهاد في المناطق المختلفة من العالم دون حدود ولا قيود، مما جعل التجزئة التي يحميها العدو في مهب الريح، في حال نجاح برنامج القاعدة، من خلال فتح الجبهات في مختلف البلدان وفي كل مكان من الوطن العربي والإسلامي وحتى العالم، إلا أن عملية إشغال القاعدة في المواجهة العسكرية فقط، مع السعي لتجفيف منابع التمويل لها ماليا وبشريا وفكريا، ومواجهة التنظيمات الفكرية الإصلاحية الإسلامية والأنظمة لعناصر القاعدة ومجاهديها، وإنشغالهم بالصراعات الداخلية مع الأنظمة على مستوى الوطن العربي دون العالمي، سيؤثر لا محالة على برنامجها وعلى الحاضنة الاجتماعية لها، وقد تتراجع مع الأيام ما لم تحقق انجازا سياسيا ، ليس فقط في طرد العدو من المنطقة ولكن في إدارة شؤون الدولة وفي تطبيق النموذج السياسي الإسلامي في العلاقات الداخلية والخارجية، ومع ذلك تبقى القاعدة مدرسة في العمل العسكري الشمولي التي توسعت في فهم وشرح المخاطر التي تعاني منها الأمة ودعت لمحاربة التجزئة، ومجاهدة أنظمة التبعية كجزء من خلاص الأمة في إطار من التوحيد الخالص لله.

لذا لا بد من النظرة الشمولية للمخاطر التي تعاني منها الأمة، وحتى لا يختلط مفهوم العدو على الناس ليصبح العدو العسكري فقط ، فإننا نشير إلى أن العدو يشمل: (العسكري الخارجي، التغريب الفكري، تبعية الأنظمة للمستعمر، وتجهيل الأنظمة وإرهاب الشعوب، وتجزئة الأمة ووطنها العربي، والإحتلال إسرائيلي) فكل هؤلاء عدو واحد مشترك، وكل واحد منهم عدو فردي بذاته، ولن تفهم معادلة انهيار الأمة إلا إذا أخذت هذه الرؤية للأعداء في الإطار الشمولي الموحد وبالمنظار الدقيق.

ولا بد أيضا من وضع هذه المخاطر الستة على الطاولة كوحدة واحدة، والعمل الدائم على توحيد جهود الأفراد والتنظيمات العاملة لخدمة الأمة وشعوبها وتوزيع الأدوار

في جميع مجالات المواجهة، والتحرك ضمن قيادة موحدة تخطط وتوجه الطاقات وتنظر إلى أي منظومة ودولة وشعب وإطار تنظيمي يستخدم لونا من ألوان هذا العداء ضد أمتنا العربية المسلمة على أنه في معركة معها، وقد أصبح واضحا ضرورة مواجهته، فغاية أعدائنا النهائية في مواجهتهم لأمتنا اصبحت مكشوفة و معلومة لكل عاقل، فهي معركة مستمرة لاضعافنا واحتلالنا ونهبنا ولتحييدنا عن دين ربنا "ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا".

مع إدراكنا الكامل بأن العدو يستخدم كل أنواع المخاطر ويحرك كافة أدواته العاملة لتكون جزءا من المعركة عند الحاجة لذلك، وما قانون الإرهاب وأدواته والحرب الصليبية الأمريكية وتمزيق البلاد والتشيع بألوانه السياسي والأمني والاقتصادي والعسكري في المنطقة وتبديد الأموال ونشر الفساد والسجون والإعلام المرتزق في هذه المرحلة إلا دليلا على محاولة منع هذه الأمة من النهوض الذي تنتظره قريبا بإذن الله.

ولفترة قريبة كدنا نصلي صلاة الجنازة على أمة تغيب بالكامل عن الفعل البشري بفعل هذه المخاطر، وتنقاد من رأسها إلى أخمص قدمها لجزاريها، لأن بعض أمتنا يتبع المشروع الشرقي القومي الفارسي الإيراني واغلبها يتبع المشروع الغربي الصليبي المتصهين وكلا الفريقين في نظر الصادقين من أبناء الأمة وشعوبها في التبعية سواء.

وبين هذه المشاريع نرى هذه الأيام مشروعا آخرا غير واضح الملامح ينتفض على نفسه تقوده الأمة العربية بثورتها من الداخل، وفي محيط هذه المشاريع تتمحور منظومات من الدول التي توافقت معا على الأطروحة والحاجات والمصالح والتنسيق المستقبلي لتقاسم الثروات وديموغرافيا المنطقة العربية.

وحتى نفهم ونقيم الواقع والأحداث والتغيرات وتقلبات المنطقة في عصر الثورة لا بد من البحث في أطروحات هذه المشاريع وآليات عملها ومصادر قوتها وأشكال ضعفها ومن ثم في كيفية مواجهتها وانجاح ثورة أمتنا العربية المسلمة.

أولا: المشروع الغربي في المنطقة

لم تتوقف المعركة مع الغرب الصليبي الرومي منذ حروب بلاد الشام في عهد النبوة والخلافة الراشدة الأولى، وفي كل مرحلة من المراحل التي يجد فيها الغرب نفسه قويا يعدو على منطقتنا محاولا تدمير ما توصلت إليه الأمة من حضارة، دافعا بقوته العسكرية لتدمير أرضنا ونهب ثرواتنا، وهو اليوم يرى أنه الأقوى والأقدر على حشد العالم ضد أمتنا وهو يسعى لاستعادة السيطرة علينا. ولكي نفهم مخططه، علينا أن نبحث في المفاهيم والأطروحة التي يستند إليها للسيطرة على العالم وأمتنا العربية وأهم هذه المفاهيم:

1- حرب صليبية شاملة على الأمة العربية والإسلامية بجميع جوانبها العسكرية والاقتصادية والسياسية والإعلامية والأمنية يقودها الأنجلو سكسون البروتستانت بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية.

2- خارطة شرق أوسط جديد تعمل على تقسيم الوطن العربي إلى دويلات صغيرة ضعيفة مرتبطة بالأعداء متقاتلة ومتنازعة على الماء والنفط والثروات على أسس طائفية وقبلية وحزبية.

3- الفوضى الخلاقة بمفهوم الهدم وإعادة البناء بما يخدم مصالح الغرب وبالتوافق مع بعض القوى الحزبية على الأرض ومنها أحزاب ليبرارية و إسلامية لا ترى غضاضة بالتعاون مع المستعمر الغربي أو الشرقي.

4- من ليس معنا فهو ضدنا: قسم العالم على هذا الاساس الإجرامي والذي دفع قادة الأمة العربية علنا بعدما كان سرا إلى وضع جميع بيضاتهم في السلة الأمريكية والمشاركة الفاعلة في القتال معها كما في العراق وأفغانستان وحتى بالحرب على لبنان وعلى غزة.

5- تشكيل الحكومات اللينة الطرية التي لا تملك من أمرها شيئا، وترتبط كليا مع الغرب في جميع مجالات الحياة السياسية والعسكرية والأمنية والتربوية والأخلاقية والإعلامية.

6- العولمة للفكر والقانون والاقتصاد والتربية والأخلاق في إطار مركزي تتحكم به دول الغرب، وتصدره الى الدول المرتبطة.

7- الحرب النظيفة: التي لا يخسر فيها الغرب أيا من جنوده وأمواله في المعركة مستخدما جنود غيره وشعوب المنطقة لتحقيق أهدافه.

ويستمد هذا المشروع قوته من القدرة العسكرية والأمنية والمالية والزخم البشري وتواصله القديم مع أنظمة المنطقة الذين وظفوهم على رقاب الأمة، وقد ظهر هذا واضحا وجليا بعد 11 أيلول عام 2001، ويتميز أيضا بتطور أدواته وسلاحه وخبراته البشرية وجاهزية التحرك البحري والجوي والبشري وانتشار قواعده العسكرية في المنطقة، إضافة إلى أن قادة الجيوش والأمن والكثير من الضباط الذين تدربوا على أيديهم ومروا من خلالهم يدينون لهم بالعرفان والتبعية، وكثير من عائلات المنطقة التي عملت لحسابه قديما، اضافة إلى مجموعة من الشخصيات المنظمة والتنظيمات والوزراء والنواب الذين يعملون لحسابه ايضا، ويتغطى هذا المشروع بمفاهيم عامة لتحسين صورته مثل الديمقراطية والحرية والعولمة.

وقد حاول المشروع الغربي فرض أجندته باستخدام القوة العسكرية كما في العراق وأفغانستان وتفعيل شبكته المترامية الأطراف واستغلال مجلس الأمن لتشكيل أوسع جبهة من الشركاء في حربه على المنطقة، إلا أن القوى الجهادية الفاعلة والناشئة في جسم الأمة والتي خرجت على طوق الأنظمة، مرغت أنفه بالتراب وأجبرته على التراجع عن المد العسكري، وخلطت أوراقه، إضافة إلى أنها أضعفته عسكريا واقتصاديا وسياسيا وأصبح انسحاب جيوشه من المنطقة مسألة وقت، يجر أذيال الخيبة خلفه.

وفي مرحلة انشغال المشروع الغربي في الصراعات الخاسرة بمساندة النظام العربي والمنظومة الإسلامية وعلى رأسها إيران وباكستان، ولحاجة الغرب لمن يساندهم في الملفات المعقدة في مختلف الساحات، فقد تقدمت إيران للعب دور أكبر في إنجاح العملية العسكرية الأمريكية في كل من العراق وأفغانستان، إضافة إلى حلحلة بعض الملفات العالقة ما بين أذرعها الممتدة كحزب الله وحماس مع العدو الإسرائيلي.

كما أن قدوم المشروع الأمريكي إلى المنطقة أضعف المشروع العربي وضربه في مقتل وشل حركته بعدما احتل العراق وفرض أجندته على الأمة وقادتها مما أضعف الأمة حتى

أصبحت نهبا للغرب والشرق تتمدد فيها أمريكيا وإيران بشكل سهل عبر أذرعهما القوية بشكل ممنهج لزيادة إضعاف المنطقة تمهيدا للسيطرة عليها.

أما المشروع الشرقي الإيراني الفارسي

فقد أصبح قوة لا يستهان بها في المنطقة بعدما احتاج الغرب العملاء الإيرانيين لدخول العراق وحكمه وتقسيمه ومواجهة أشكال الجهاد والمقاومة المختلفة ومحاولة القضاء عليها وتشكيل القوى العسكرية التي تعيث خرابا ودمارا في العراق بدعوى الطائفية وبتغطية من رجالات الحكم والمال والدين؛ وهذه القوة ظهرت بفعل العوامل التالية:

1- القيادة المجربة التي خاضت غمار الثورة والحكم معا وهذه القيادة الآن هي التي تسيطر على مقاليد الحكم وتدير دفته وتملك قراراها المستقل تجاه نفسها والقضايا المحيطة بها وتبادر في إبداء الرأي وصناعة القرار.

2- القوة الاقتصادية الناتجة عن بيع كميات كبيرة من البترول، إضافة إلى الخمس الذي تأخذه من إيرادات أفراد الشيعة والاستغلال الأمثل لهذه الأموال في التطوير الاقتصادي والعسكري.

3- الجاهزية الدائمة لدعم قوى تنظيمية فاعلة على الأرض من أجل تحقيق مصالح إيران في المنطقة، وتقديم التسهيلات العسكرية والمالية لها، وتدريبها حسب حاجات المشروع الإيراني، واستخدامها كأوراق ضغط ولإضعاف الدول المحيطة ولتحقيق ذلك:

- ربطت أفراد الشيعة في العالم بالمركز الإيراني.
- قدمت لهم الدعم المعنوي والمادي
- جمعتهم حول قيادات مرتبطة في مناطقهم مما أظهرهم موحدين أقوياء
- استخدمت الإمبراطورية الإعلامية المرتبطة بالشيعة للدفاع عن الأقليات الشيعية في المنطقة.
- اشترت ذمم كثير من فلول التنظيمات والطموحين من أبناء السنة والعرب بالمال والوعود وألحقتهم بمشروعها.

- بنت عقيدة عسكرية لدى الشيعة في المنطقة...دربتهم وسلحتهم في إطار ما يسمى المظلومية التاريخية لتستخدمهم عند الحاجة.
- حاربت التنظيمات المعادية لها بقوة مستفيدة من دعوى الحرب على الإرهاب.
- لم تسمح لنمو أي إطار تنظيمي عربي أو سني على الأرض الإيرانية.
- حاربت قوى المعارضة الشيعية في الداخل الإيراني بقوة وحزم بدعوى العمالة.

4- طورت مشروعها النووي ونمت قدرتها العسكرية الذاتية وأخذت تتدخل بشؤون الدول العربية والإسلامية ومحاولة بسط نفوذها عليها من خلال التهديد والوعيد وتوظيف القوى الداخلية للأنظمة بما يخدم مصالحها، وهكذا ظهرت إيران خلال عقد من الزمان قوة كبيرة تتدخل بكل شؤون المنطقة.

5- وطورت إيران خلال هذه الفترة اذرعا قوية صلبة في المنطقة والعالم مثل حزب الله في لبنان وحماس وحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين والحوثيين في اليمن وشيعة البحرين والعراق والسعودية والكويت واليمن وباكستان، وأصبحت سوريا في حالة تبعية مطلقة لإيران وشكلت تنظيما دوليا سريا كان يقوده الراحل عماد مغنية.

6- ووظفت إيران بشكل كبير وناجح الصراع الإسرائيلي العربي لاستمالة الكثير من الشعب العربي والفلسطيني لما يخدم صالحها.

إلا أن أطروحات هذا المشروع الطائفية العدائية والقومية الفارسية، والإساءة الدائمة إلى الرسول وصحابته الكرام وأهل بيته والسنة عموما، مع عدم وضوح برنامجه وطبيعة علاقاته الخفية مع الغرب والتي تتعارض مع ما يقوله، إضافة إلى عدم انسجامه مع مطالب المنطقة وطموحاتها، وممارساته الدموية ضد العرب والسنة في العراق إضافة إلى أطماعه في السيطرة العسكرية على المنطقة العربية وتدخله المباشر وغير المباشر في شؤونها، والنظرة السلبية في التعامل مع السنة في كل من لبنان واليمن والبحرين والعراق جعل هذا المشروع مكروها، حتى وصل الامر الى أن خاضت دول الخليج معركة عسكرية مفتوحة مع

أذرعه في اليمن والبحرين ومعركة اخرى سياسيه في لبنان للحد من نظرته الطائفية، وتوسع تدخلاته في الشؤون العربية.

أمام هذه الحالة من الصراع بين البرنامجين والمخططين الغربي والشرقي على المنطقة وأمتنا ومقدراتها، يطل مشروعها العربي السني بعد أن نفض يده من قادة الأمة العربية وتنظيماتها، وأيقن أن الرؤساء جزءا من المشكلة وبضعفهم وتبعيتهم جزءا من أعداء نهضتها، كما أيقن أن التنظيمات المختلفة العاملة في المنطقة منذ أكثر من نصف قرن أضعف من أن تقدم شيئا لشعوبها، عدا عن أنها للحفاظ على وجودها وعلى اقتصادها ومؤسساتها بنت علاقات توافقية مع النظام العربي والغربي والشرقي وشاركت في مشاريعهم ضد المنطقة.

لذا لم تجد الشعوب إلا الانتفاض بنفسها ضد الحكام وإجرامهم في بلدانها، وقد نجح الشعب التونسي في إزاحة زين العابدين، ونجح الشعب المصري في إزالة مبارك والحزب الحاكم، ونحن نرى ثورة في اليمن تكاد تحقق أهدافها وكذلك في ليبيا ، وتململ في الجزائر والمغرب وحراك في سوريا والأمة جميعها تغلي ومن تحتها نيران الذل والمهانة والإحتلال والفقر وعدم الاحتكام لدينها وشرعها على مدار قرن من الزمان.

ولعل أهم الأسباب التي دفعت الأمة العربية لإعلان ثورتها على الأنظمة الفاسدة التي لم يعد لوجودها أي مبرر او حاجة:

1- واقع الحال المزري الذي وصل إليه الإنسان العربي سياسيا وعسكريا واقتصاديا وإعلاميا وفكريا بفعل تبعية النظم الحاكمة للغرب واستهدافها الشعوب والعلماء وقادة الفكر فيها.
2- نهب أموال الأمة الشامل من قبل المؤسسات الحاكمة وإفقار الشعب العربي.
3- تغييب الحقيقة عن المواطنين في كل ما يجري من أحداث في المنطقة العربية والعالم.
4- تغييب الجماهير العربية عن الحرية والعدالة والفعل السياسي وتزوير الإنتخابات.
5- العمل على توريث مؤسسات الحكم والشعوب والأراضي والمؤسسات والقانون والشرعية للأبناء وأحفاد الملوك والرؤساء والوزراء .

6- تعامل الأنظمة مع قضايا الأمة بلا مسئولية بل وتآمرهم على القضايا الكبرى مثل القضية الفلسطينية والعراقية والسودانية واليمنية والصومالية وكل القضايا الطارئة في واقع أمتنا.

7- غياب حقوق المواطن العربي والتعامل الدموي معه وامتلاء السجون لسبب ودون سبب بالمفكرين والدعاة وحملة الشهادات من الأدباء والشعراء والمهندسين والأطباء وغيرهم.

8- انتشار الأمراض النفسية بين المواطنين وغياب الشعور بالثقة نتيجة الخوف المتراكم والمتزايد من قوى الأمن حتى أصبح الفرد غير قادر على التعبير عن نفسه وعن حاجاته وما يريد.

9- انتشار الظلم والمحسوبية والرشا في جميع الوظائف وفي جميع المستويات، مما أفسد الواقع والعلاقات بين الناس التي أصبحت تقوم على المنافع الشخصية والتملق والنفاق

10- وأخيرا غياب الحكم بما أنزل الله وشريعته عن كامل الأرض

هذه الأسباب وغيرها ضمن خصوصية التعامل في كل بلد من البلدان العربية هي التي أشعلت الحراك والثورة العربية الجارفة التي بدأت من تونس مع نهاية عام 2010 ومن ثم مصر مع بداية عام 2011 وتوقدها في ليبيا واقتراب نجاحها في اليمن وانفجارها في سوريا وتململها وتحركها في كل المنطقة العربية من المحيط إلى الخليج والتي أدت الى إسقاط زين العابدين ومبارك في لحظة تاريخية سريعة ومفاجئة للمجتمع الأوروبي والعربي والعالم دون الإستعانة بالأنظمة العالمية الكبرى التي سارعت بتحريك البوارج البحرية إلى السواحل الليبية في محاولة منها لوقف امتداد نار الثورة العربية الذاتية باتجاه الغرب ولكسب الوقت لترتيب الأوراق في المنطقة العربية، ومن ثم محاولة إيجاد حلول تخدم المشروع الغربي وتطلعاته في المنطقة

لكن انفجار الثورة السورية على الواجهة الشرقية العربية وانكشاف الموقف الغربي للناتو وآلية تعامله مع الثوار في ليبيا أعاد خلط الأوراق مرة أخرى، وحسن من شروط استمرار الثورة العربية وأظهر تصميم الشعب العربي على الخروج من الاستعباد بكافة أشكاله.

وتبرز أهمية الثورة في سورية كدولة حدودية مع الكيان الإسرائيلي، ومع أنها الدولة الأعرق والأكبر في بلاد الشام إلا أنها تعتبر أكثر الحدود الآمنة مع العدو الإسرائيلي، وعلى الرغم من الضربات المؤلمة للشعب السوري وقيادته من قبل هذا العدو على مدار أربعين عاما خلت، اضافة إلى احتلال مرتفعات الجولان، وضربه مشروع المفاعل النووي واغتياله قيادات المقاومة على الأرض السورية إلا أن الجواب المحزن الشهير للنظام العلوي النصيري السوري "سنرد في الزمان والمكان المناسبين" ولم يأت الزمان والمكان المناسبين رغم كل هذه السنين الطويلة.

وعلى العكس من ذلك فان سورية الأسد أوغلت بالدم السوري والفلسطيني منذ منتصف السبعينيات، وقتلت الآلاف في حلب وحماة وتدمر ، وسجنت حتى الموت الآلاف منهم أيضا، إضافة إلى سجلها الأسود في لبنان واحتوائها المقاومة الفلسطينية من أجل تذويبها واستخدامها كأوراق ضغط على المنطقة وكشف هذه التنظيمات وبيعها للمشاريع الكبرى كلما لزم.

وهي بهذه التصرفات لا تختلف كثيرا عن باقي الأنظمة إلا في الدور الذي تلعبه كمركز ثقل في المشروع الشرقي الصفوي الفارسي وأداة مستخدمة من قبل المشروع الغربي لإضعاف المنطقة العربية.

وتأتي أهمية انتفاضة وثورة الشعب السوري المسلم وضرورة دعمها بكل الوسائل الممكنة حتى تحقيق أهدافها باستعادة سوريا إلى الحاضنة العربية في ما يلي:

1- تراجع المشروع الشرقي الصفوي الإيراني عن المنطقة وانكماشه على نفسه.

2- ضعف الأذرع الإيرانية مثل حزب الله وحماس والحوثيين وغيرهم، مما قد يؤدي إلى عودة ارتباطهم بأمتهم العربية والإسلامية ورفد قدراتهم لصالح الامة.

3- انشغال المشروع ألصفوي بداخله بسبب ارتفاع شعبية الإصلاحيين ومساندة العرب والسنة والبلوش والأكراد لهم في مشروعهم غير المعادي للعرب والمسلمين.

4- كما أن انكفاء المشروع ألصفوي على ذاته سيساعد بالتفرغ للثورة في الخليج ومن ثم مواجهة المشروع الغربي الصليبي وقاعدته المتقدمة إسرائيل.

ولذا فان نجاح الثورة السورية في إسقاط النظام العلوي الصفوي سيفتح الباب على مصراعيه لإضعاف النظرة العدائية للعرب في إيران ولإشعال انتفاضة فيها يقودها الاصلاحيون وبموازاتها انتفاضة وثورة في العراق تسعى لاسترجاعه موحدا لامته العربية الإسلامية، وهذا الأمر سيقوي من عزيمة العرب والسنة لاستكمال مشروعهم الأوسع باستعادة الخليج العربي إلى حاضنته العربية.

إن سيطرة الإصلاحيين على إيران لن يترك مبررا لدول الخليج للتحجج بأن إيران كمشروع طائفي قومي فارسي يسعى للسيطرة على الخليج ودوله، مما سينعكس أثره على إشعال الثورة في السعودية والتوحد مع اليمن الذي اقترب من إنجاز مهمة التحرر من الظلم، وعلى أثر ذلك تتحرر باقي مشيخات الخليج، مما سيكون له الأثر الكبير في زيادة ضعف المشروع الغربي وانكفائه، وعندها سيكون من السهل حشد الأمة وتوجيهها عبر الأردن ومصر لإسقاط العدو الإسرائيلي مهما تكلفت الأمة من أثمان.

ومع بوادر ظهور الضعف في المشروع الغربي اقتصاديا وعسكريا وأمنيا وسياسيا وتراجع هيبته أمام الدول، خاصة بعد خسارته الحرب على أفغانستان والعراق بفعل ضربات المجاهدين التي لم و لن تتوقف إلا بطرد الغرب عن أرضنا، والاستيلاء على إمكاناته وقواعده العسكرية في الخليج، بعدما كان يريد السيطرة بقوته العسكرية على المنطقة والعالم من خلال منظومته المفاهيميه التي شملت حربا صليبية نظيفة على الأمة الإسلامية وقلبها العربي من خلال الفوضى الخلاقة لتقسيم المنطقة حسب خارطة شرق أوسط جديد وإنتاج الحكومات الطرية بشعار من ليس معنا فهو ضدنا.

إضافة إلى ظهور بوادر الضعف في المشروع الصفوي وضعف أذرعه، فالحوثيون لم ينجزوا انتصارا لمشروعهم في اليمن، ولم يتمكن شيعة البحرين من السيطرة على السلطة وبدأ سنة لبنان بالتجمع والتوحد بعد انكشاف طائفية مشروع المقاومة، وها هي سوريا فرس رهان المشروع الإيراني تعاني تحت حراك الثورة من أجل استعادتها لواقعها العربي، وها هو العراق يتلمس طريقه من خلال الخيار السلمي الشعبي في المظاهرات، وحماس والجهاد والتنظيمات الفلسطينية في حالة قلق حول خيارتهما في المرحلة المقبلة بعد أن وضعت المقاومة الفلسطينية بيضاتها في السلة السورية الإيرانية، إضافة إلى التحرك والتململ لدى العرب والسنة في إيران من أجل المطالبة بحقوقهم وحريتهم.

ومع كل مظاهر الضعف والتغيرات التي تجري في المنطقة العربية وحولها إلا أن الامة العربية وأهلها من السنة الذين يسعون للحرية وبناء مشروع نهضة ليسوا الوحيدين على الأرض فالمشروع الغربي يعمل ضمن خطة لتقسيم المنطقة إلى دويلات أصغر حسب خارطة شرق أوسط جديد، وكذلك المشروع الشرقي الذي يريد تصدير الثورة والسيطرة على المنطقة والجميع يعمل لتحقيق أهدافه ونجاح مشروعه.

ومع إرتفاع أصوات الحرب وبدء قرع طبولها، والتحضير لخوضها ، والكل يعمل لحشد الحلفاء ويحرك السفن ويجري المناورات والمشاورات لتأمين احتياجات المعركة من الإمدادات التي يؤمن استمرارها تحقيق النصر على الرجل الضعيف - الأمة العربية — الذي يعاني من تغيرات وتقلبات واشكاليات عديدة منها:

1- سرقة الثروات التي تمتلكها هذه الأمة وخاصة التي في باطن الأرض المكتشف منها وغير المكتشف او المستخدم
2- غياب الوحدة السياسية بين أنظمة النظام العربي مما يظهر المنظومة العربية مفككة مقطعة الأوصال ضعيفة محتاجة إلى الرعاية الخارجية.
3- تنامي حركة الشعوب الرافضة لحالة الإذلال والهوان التي يفرضها النظام الدولي وينفذها قادة العرب.

4- ضعف النظام العربي واستقواء المجتمعات العربية على أنظمتها مما يهدد مصالح الدول الغربية والشرقية في المنطقة.

5- البحث عن استمرارية حماية العدو الإسرائيلي من تصاعد المطالبة بإزالة هذا المشروع من ابناء المنطقة.

6- النظرة التلمودية للحالة الراهنة وضرورة التخريب والدمار وعلاقة ذلك بانتظار المسيح الدجال وارتباط ذلك بقيام دولة اسرائيل الكبرى.

7- المخططات الموضوعة منذ زمن لإضعاف بنية الأمة العربية وإشغالها في ذاتها وتقسيمها.

8- الإبقاء على حالة الضعف في جميع المجالات، وحاجة الأمة للمستعمرين، والابقاء على حالة السيطرة على المنافذ البحرية وحرية التنقل والإستثمار في الميادين المختلفة.

9- محاربة التطور في فكر الأمة نحو الإلتزام في الفكر الاسلامي الذي يرفض الخنوع للأمم الاخرى .

10- التأخير ما أمكن من نهوض الأمة لان ذلك مرتبط بأحاديث الرسول محمد ﷺ بأن الدين الاسلامي العالمي سيصل كل بيت على الكرة الارضية.

ومما لا شك في أن لكل دولة أو أمة من الأمم احتياجاتها وتطلعاتها في الإبقاء على حالة الضعف والإنقسام السياسي والجغرافي لهذه الأمة، بل إن التطلعات تصل إلى أكثر من ذلك ألا وهي إعادة تقسيم المنطقة لتصبح اكثر ضعفا واعتمادا على الخارج و بدل أن تتعاون الأمة العربية معا وتتوحد لمواجهة المخاطر التي تحيط بها نجدها تتصارع لأسباب تافهة.

ولذا فاننا نحكم في حال ما تقسمت الدول العربية إلى أجزاء أصغر مما هي عليه على أسس عرقية واثنيه وطائفية في إطار خارطة شرق أوسط جديد، فان المشروع الغربي مبدئيا سينجح في تحقيق برنامجه وخطته على الأرض، أما إذا رأينا تمددا لإيران عبر الأرض العربية فان المشروع الشرقي سينجح في حكم المنطقة والسيطرة عليها، وإذا ما تحققت رؤانا من

خلال ما يطرحه مؤتمر الأمة وتياراته وتنظيماته لحركة الثورة في الوطن العربي، فإن المشروع العربي سينجح، وبالتالي فإن الحكم على نجاح أي من المشاريع الثلاثة يبدو مبكرا واحتمالاته متساوية ولا بد من انتظار النتائج التي ستظهر قريبا وحتى يستكمل المشروع العربي نجاحه لا بد له من:

1- استمرار الثورة العربية في كل الوطن العربي حتى تستكمل دورتها ونجاحاتها مهما كانت التضحيات في كل من العراق ومصر وجزيرة العرب والمغرب العربي وفتح ثورات جديدة في العالم الإسلامي في باكستان وإيران وإنجاز النصر في أفغانستان والصومال واستنهاض السودان واريتريا وموريتانيا....

2- توحد التكتلات العربية الكبرى بقيادة واحدة تحت راية واحدة ودمج الجيوش وتوحيد خطة التحرك تمهيدا للوحدة الشاملة فالمغرب العربي - الجزائر وتونس وليبيا والمغرب وموريتنيا - تكتلا واحدا والجزيرة العربية تكتلا وبلاد الشام وهكذا.

3- إزالة الحدود الوهمية بين الدول العربية والسماح بحرية الحركة والتنقل والتجارة بينها، تمهيدا لتشكيل الدولة المتكاملة الموحدة الراشدة في إطار الخلافة الإسلامية.

4- استخدام معادن وثروات المنطقة كمدخل من مدخلات المعركة الشاملة لمواجهة الغرب والشرق.

5- تحول إيران لتكون جزءا من منظومتها الإسلامية وتوقفها عن محاولات إضعاف المنطقة بإثارة القلاقل التي تخدم المحتل الغربي وتطيل أمد الاحتلال الصهيوني والتواجد الغربي وعليها تجنب التعاون مع المشروع الغربي في مثل هذه اللحظات الحرجة حتى لا تصمم الأمة على دخول طهران مستقبلا كما دخل العثمانيون تبريز.

6- رجوع التنظيمات التي تعمل ضمن محاور إقليمية كحزب الله والجهاد الإسلامي وحماس وغيرها من التنظيمات لحضن الامة وخدمة مشروعها بعيدا عن المحاور الإقليمية و الدولية.

7- التزام الأقليات في الوطن العربي الأكراد والشيعة والمسيحيين وغيرهم بعروبتهم التي حمت وجودهم على مدار عقود طويلة.

8- استعداد القدس وأهلها لاستقبال المجاهدين من كل مكان والتهيؤ لإعلان القدس عاصمة للخلافة الإسلامية.

9- دمج الدور التركي الشعبي بالمنظومة العربية وحراكها الثوري والعمل على ابعاده عن المشاريع الخارجية الغربية التي لم تقدم للأتراك سوى المهانة والذلة على مدى قرنين من الزمان.

وهنا لا بد من الإشارة الى الدور التركي.

الدور التركي

قد يتساءل البعض في هذا الحراك الثوري العربي العظيم من المحيط إلى الخليج عن الدور التركي وأين موقعه من معادلة الصراع؟ ولماذا لا يعتبر مشروعا جامعا حتى هذه اللحظة؟

وعلى الرغم من أن الدور التركي ليس سهلا في معادلة الصراع إلا انه ليس واضح المعالم والأهداف و الدوافع بعد، وعلى الرغم أن الأتراك عانوا كما العرب من التهميش، ولم يكن لهم أي دور ظاهر للعيان خلال القرن الماضي، وهم في غياب عن الفعل المنتج والساحة السياسية، إضافة إلى أنهم خسروا السيادة العالمية التي حافظوا عليها أكثر من خمسة قرون في ظل الخلافة الإسلامية ليصبحوا بعدها دولة هامشية من الناحية الجغرافية والسياسية والاقتصادية في المحيط العربي والإسلامي والعالمي.

ونحن ندرك أن الكثير من العوامل التي تمنع ظهور الأتراك كمشروع قوي وجاذب، منها ما هو داخلي يتعلق بتركيبة الحكم وبطبيعة القوانين والقضاء وقوة الجيش الذي يحمي علمانية الدولة، وبطبيعة المجتمع المحكوم بالعلمانية منذ أكثر من قرن، وكذلك النزاعات التاريخية الداخلية مع الأكراد والأرمن. ومنها ما هو خارجي له علاقة بتاريخ انهيار الدولة التركية ومشاركة العرب والتدخلات الصفوية لإيقاف مد الدولة العثمانية باتجاه أوروبا وانهيارها، وكذلك بالمعاهدات والإرتباطات مع العدو الإسرائيلي إبان الحكم العلماني حتى اليوم والمعاهدات والإرتباطات مع الغرب وحلف النيتو بفعل موقعها الجغرافي.

لذا يظهر الموقف التركي للمتابع مترددا ومتناقضا في كثير من الأحيان فهو يشارك في الحرب على أفغانستان ويمتنع عنها في العراق ويطالب بالإنفتاح على الغرب رغم معارضة الغرب له، ويسارع بالإنفتاح نحو الأمة العربية في سوريا والأردن ولبنان ويقف مساندا لإيران في معركة المشروع النووي السلمي، ويرفض مشروعا نوويا عسكريا، ويتعارض معها في العراق، ويرفض تحركها باتجاه البحرين، ويظهر أنه معادي لإسرائيل في خطابه السياسي إلا أنه يعتبر منسق المفاوضات غير المباشرة بين سوريا وإسرائيل، إضافة إلى العلاقات السياسية والاقتصادية والعسكرية التي لا زالت قائمة معها حتى الآن، ويشارك اليونيفيل في الفصل بين الجبهة الشمالية الساخنة لدويلة إسرائيل ولبنان، ويحرك سفنه البحرية العسكرية مع الحلف الأطلسي نحو ليبيا، مع أنه لم يحرك سفنه للدفاع عن سفينة مرمره التركية التي اغتصبها قراصنة العدو الإسرائيلي، ويشارك العالم في الحرب على الإرهاب - الجهاد العالمي - ويعتقل عددا من الإسلاميين مع أنه يتبنى الفكر الإسلامي في إطار المشروع العلماني.

إن هذه العوامل وغيرها تمنع ظهور تركيا كلاعب قوي أو قائد في المنطقة، ولكنها تقدم انطباعا عن بداية التحرك التركي للعب دور أوسع قد يكون رئيسيا في المنطقة عندما تعلن في المرحلة القادمة بوضوح أهدافها وما الذي تريده؟ والى جانب من تقف؟ وما هي اطروحتها للأمة.

ندرك أن تركيا تقع في دائرة الصراع التي مركزها القدس ومماسها مكة المكرمة واستنبول كما توصلنا في الفصل الرابع "تحديد دائرة الصراع: في الإسراء بشائر النصر"، كما أن تركيا كانت حامية الخلافة الإسلامية ومقدساتها لأكثر من خمسة قرون ومواطنيها من السنة الذين يمتازون بالشفافية والروحانية والالتزام وهم ينتظرون الخليفة الذي غاب عن الأمة الإسلامية، ولا زال الأتراك يبكون على ضياع القدس من أيدي المسلمين، وينتظرون اللحظة التي يكون لهم فيها سهم المشاركة في تحريرها وما سفينة الحرية إلا مشهدا صغيرا من طموحاتهم المستقبلية.

لكن الحكم على الشعوب يختلف عن الحكم على السياسة والسياسيين وعلاقات المصالح بين الأنظمة والارتباطات المتشابكة والمعاهدات وحسن الجوار والتطلعات المستقبلية ومدى الاستعداد للمواجهة الشاملة أو التضحية ببعض المكاسب من أجل تكريس المبادئ أو الجاهزية للخروج عن الإلتزامات الأممية المرتهنة إلى بعض الدول الدائمة في مجلس الأمن.

إن هذا الدور الهامشي لتركيا لن يستمر طويلا وخاصة أن ثمة ثورة عالمية على المستوى الداخلي للنظم الحاكمة تظهر جلية في الوطن العربي، وستمتد لتطال دول العالم ولن تكون دولة واحدة بمعزل عنها. وسيجري نهر الثورات عبر القارات الخمس حتى يستقر بالقدس ويعود الإنسان إلى الإتساق مع حركة الكون في طاعة الله والاحتكام إلى أوامره وحتى يعود الدين الإسلامي في الواقع نقيا كما بدأ.

إن خروج تركيا عن دورها الهامشي يستلزم مرحليا أن تكون جزءا من أحد المشاريع الثلاثة الغربي، أو العربي، أو الإيراني أو المحافظة بصعوبة على خط دقيق بين المشاريع الثلاثة للوصول إلى بر الأمان، وقبل تحديد الوجهة الرئيسية للمشروع التركي ولفهم وجهته مستقبلا ننظر في الاحتمالات المتوقعة لتحرك هذا البلد في المنطقة وأي المسارات سيتبع؟ وفي أي المشاريع سيأخذ دوره الحقيقي؟.

فبالنسبة إلى العلاقة التركية الإيرانية وإمكانية أن تكون تركيا ضمن المشروع الإيراني فإن ثمة عوامل مشتركة جامعة بينهما، فهما دولتان عضوان في منظومة مؤتمر الدول الإسلامية وهما جارتان وتعانيان من مشاكل مشتركة أهمها القضية الكردية، وبينهما مصالح اقتصادية مشتركة، وشاركتا الغرب في إسقاط نظام طالبان، إلا أنهما في نفس الوقت تختلفان في المذهب، وهما قوتان إقليميتان متنافستان كما أن تمدد أي منهما يشكل خطورة على الأخرى وموقعها الإقليمي، ويوجد بينهما خلاف على امتلاك السلاح النووي الإيراني، رغم تصويت تركيا ضد مشروع قرار العقوبات على إيران في مجلس الأمن كما أنهما تتنازعان بشكل واضح على ما يجري في العراق ،وتتنافسان على العلاقة مع سوريا، وكان واضحا للجميع الموقف التركي في لبنان عندما تمحور الطرف السني لصالح الجانب التركي في زيارة اردوغان، وتمحور الطرف الشيعي لصالح إيران في زيارة احمد نجاد، كما كان

واضحا الدور التركي في تأييد النظام في البحرين مع المطالبة بالإصلاحات ،وكذلك فرملة الإجراءات الإيرانية لدعم الشيعة فيها ، ويتعدى التنافس إلى الجهة الغربية من الوطن العربي لتكون الزيارة الأولى لأردوغان في عهد مصر الجديد بعد الثورة لاستطلاع الأمور عن كثب وليستبق الدور الإيراني الذي ينسق مع حركة الأخوان من عدة سنوات على الأرض المصرية.

يضاف إلى ذلك التخوف التركي من الهلال الشيعي الذي يعزل تركيا عن محيطها العربي وعمقها السني، والذي يتشكل من العراق الذي يسيطر عليه عملاء إيران، ومن ثم سوريا التي تحكم بالطائفة الشيعية ولبنان الذي يحكم بسلاح حزب الله الشيعي وجزء كبير من الثورة الفلسطينية وتنظيماتها، كل ذلك يشكل عازلا جغرافيا يغطي مسافات بعيدة المدى تشكل خطرا عسكريا إذا ما حدث اشتباك عسكري للسبب أو آخر مع تركيا ومعوقا اقتصاديا لدولة تتطلع إلى نمو اقتصادي يساعد في بناء القوة التركية الداخلية التي تحمي أمنها القومي وموقعها الإقليمي.

كما أن العلاقات التركية التاريخية إبان الخلافة العثمانية مع إيران كدولة صفوية في القرن السادس عشر شهدت معارك دامية تمثلت في محاولة إضعاف الدولة العثمانية من الداخل لحساب الغرب والكنيسة البابوية مما أوقف المد العثماني نحو أسلمة أوروبا كاملة وأضعف الدولة العثمانية وأدى إلى بدايات انقسامها على أساس مذهبي ساعد بحدوث الإنقسام الجغرافي لاحقا.

يظهر من استعراض الحالة السياسية والعسكرية والاقتصادية في المنطقة أن جوانب الإختلاف بالعلاقة بين تركيا وإيران أكثر من جوانب التوافق في كل القضايا المتناثرة وتقلباتها، وأن ثمة تنافس خفي لا يؤسس إلى علاقة سوية بين المشروع الإيراني الذي يعمل بنجاح منذ عدة سنوات في نسيج المنطقة وبين الدور التركي الذي يسابق لوضع موطئ قدم له في المنطقة دون الدخول في صراعات شاملة .

وبالنظر إلى محطات العلاقة التركية الأوروبية، فعلى الرغم من قدم العلاقة الأوروبية التركية التي تعود إلى مصطفى أتاتورك واتفاقيات الشراكة الموقعة في العقد السادس

من القرن الماضي، والموقع الجغرافي التركي للعاصمة التركية اسطنبول في القارة الأوروبية والتسهيلات التي تقدمها تركيا في إطار مكافحة الإرهاب والمشاركة الكاملة في حلف الناتو، إلا أن الدول الأوروبية ترفض دخول تركيا إلى الاتحاد الأوروبي حتى هذه اللحظة وتتعامل مع ملف دخولها على أساس ديني عنصري مهين، وترفض دولا هامة على الساحة الأوروبية مثل ألمانيا وفرنسا واليونان والنمسا والكنيسة البابوية دخول تركيا إلا بعد الانتهاء من الملف القبرصي المختلف عليه، والتأكد من أن تركيا تتجاوب مع المفاهيم الغربية الديمقراطية وتطاعلتها للسيطرة.

يضاف إلى ذلك التخوف الأوروبي من الشعب التركي المسلم وتعداده الذي قارب (80) مليون نسمة مما يرفع نسبة التواجد الإسلامي في أوروبا وخاصة بوجود حزب العدالة والتنمية ذي الجذور الإسلامية ، كما أن انفضاح الدور الأوروبي الرافض للعلاقة مع تركيا من خلال وثائق ويكيليكس ورفض تركيا المشاركة في الحرب على العراق، وتزايد سوء علاقتها مع الكيان الإسرائيلي وموقفها المحايد من المشروع النووي الإيراني السلمي إضافة إلى السجل الكبير من المعارك والحروب في ظل الخلافة العثمانية الإسلامية مع الغرب والدور البريطاني الفرنسي في تقسيم وضرب مقومات الخلافة من الداخل والخارج.

هذه العوامل وغيرها من الاستعلاء الأوروبي والتعامل بفوقية مع الأتراك خاصة المهاجرين منهم إلى أوروبا، ومع أنها تمثل ثاني أكبر الجيوش في الناتو إلا أنها تستخدم كأداة للحلف وليس شريكا؛ لا تؤسس لعلاقة طبيعية قائمة على الإحترام المتبادل بل إن العلاقة تميل إلى التباعد بفعل الدعم الأمريكي للأكراد والملف الأرمني والتعاون الإسرائيلي الكردي في العراق إضافة إلى الصمت الأمريكي عن ممارسات العدو الإسرائيلي في لبنان وغزة والقرصنة الإسرائيلية في البحر المتوسط.

من هنا نلاحظ أن العلاقات التركية الإيرانية في وضعها الحالي لا يمكن أن تشكل مشروعا واحدا تجد تركيا نفسها فيه، وخاصة أن المشروع الإيراني متفرد القومية والمذهب لا يقبل القسمة على اثنين، وكذلك في المشروع الغربي الأوروبي التركي لا يمكن لتركيا إلا أن

تكون تابعا ومنفذا لبراجه وأداة له في مواجهة المنطقة العربية والإسلامية التي تعتبر امتدادا جغرافيا ؤوبشريا واقتصاديا وعقديا لها.

ولعل أهل السنة من العرب والعجم يتطلعون إلى دور فاعل لتركيا في الأحداث فكيف سيكون دور تركيا في المشروع العربي السني؟ وما أثر ذلك عليها اقتصاديا وعسكريا وجغرافيا؟ وهل سيتكامل الدور التركي ليصبح مشروعا بالاشتراك العربي؟ ام ستؤثر العوامل السياسية وتقلباتها على الحالة التركية في بناء أحلافها؟ وما أهمية الحجم البشري العربي والتركي لصياغة مشروع مشترك هذا ما ستظهره الأيام القادمة من حراك الثورة العربية في المنطقة؟.

إن هذه الاشكالات التي نعيشها - متعددة الأوجه والأبعاد ، والبرامج في تصارعها على هذه المنطقة تجعل من الحكم على مجريات الحالة القادمة على الأمة وخاصة في ظل الثورة العربية التي تحاول النهوض بالأمة صعبا لعدة عوامل:

1- التاريخ الغربي في المنطقة ودعمه الدائم والمتواصل للدولة الإحتلالية الإسرائيلية وبالتالي لا يمكن الثقة في الموقف الغربي أو الإعتماد عليه.
2- الطموحات الغربية التي تتوافق مع الإدعاءت الصهيونية لإقامة دولة صهيونية في المنطقة قبيل ظهور الدجال والمسيح
3- اشكالات الوضع الإيراني تجاه الوضع العربي كما في العراق والبحرين واليمن ولبنان وطموحات إيران للسيطرة على المنطقة المقدسة والنفط العالمي لتشكيل دولة عظمى.
4- القناعات الايرانية بظهور المهدي المنتظر والإعداد له وهنا تلتقي وتتقارب النظرة الإيرانية والصهيونية حول المهدي مع اختلاف التطلعات.
5- الحالة التركية لا تشكل حتى الآن مركزا أو ثقلا ذاتي التحرك بحيث تستقل استقلالا كاملا في قرارها .

6- الوضع العربي الداخلي في حالة صراع بسبب تصرفات الأنظمة عبر السنوات الماضية التي أدت الى إنهيار البنية العربية الداخلية سياسيا وعسكريا وأمنيا واقتصاديا وفي جميع المجالات.

7- انشغال المجتمع العربي وشعوبه في محاولة تصحيح المسار الداخلي من خلال إزالة النظم الزائفة والقائمة على رقاب العباد منذ عقود.

8- اختراق الواقع العربي من قبل المنظومات المختلفة سواء عسكريا أو أمنيا أو تنظيميا واحزاب أو مؤسسات وغير ذلك على مستوى الأفراد والعائلات.

9- غياب التنسيق العربي والإسلامي للخروج من الأزمة والعمل الفردي لمواجهة الوضع الداخلي العربي وتراكم السجون والملاحقين من خيرة أبناء الأمة وعلمائها وبالاتفاق مع أعدائها

10- غياب مشروع نهضة الامة وغياب قيادة حقيقية حتى الآن، تخطط وتنظم الواقع وتحرك الجماهير بنظرة شمولية للواقع، تحدد أعداءها بوضوح وتعرف حلفاءها بحيث تعمل الأمة جميعا على اعتمادها من أجل الخروج من المأزق.

وهذه الاشكالات في نفس الوقت تؤسس لحرب واسعة في المنطقة بين هذه البرامج المتصارعة ضمن الاحتمالات التالية:

1- بين المشروعين الشرقي الإيراني وأذرعه، والغربي الأمريكي الصهيوني وأذرعه اضافة الى المنظومة العربية.

2- بين المشروع العربي من جهة، والمشروع الشرقي الإيراني الفارسي وأذرعه من جهة اخرى، في غياب المشروع الغربي بهدف اضعاف المنطقة بالصراعات الجانبية، وهنا يمكن أن يلعب الدور التركي أحد المسارات التالية:

أ- أن تشارك تركيا الى جانب الصف العربي بفعل الترابط التاريخي والعقدي وتتقاسم الدور المستقبلي النهضوي مع الأمة العربية.

ب- ان تشارك تركيا الى جانب الصف الايراني بحثا عن مصالحها في اقتسام المنطقة في حال ضعفت الدول العربية واعيد احتلالها.

ت- أن تبقى تركيا على الحياد محافظة على تطورها وارتباطاتها الاقتصادية من جهة واستجابة للموقف الغربي من جهة اخرى لكن قد تفقدها هذه الفرصة التاريخية في لعب دور وفي نفس الوقت لا تحميها من تبدلات المنطقة.

3- انشغال المشروع العربي بنفسه وانقضاض المشروع الغربي وإسرائيل على أجزاء من الوطن العربي من جهة وانقضاض المشروع الشرقي عليه من جهة اخرى.

4- أن تتوحد جهود المنطقة وتشترك تركيا وإيران والعرب في مواجهة العدو الإسرائيلي والغرب معا.

5- تفجر المنطقة بشكل عشوائي ومن ثم البحث عن أحلاف وترابطات جديدة تتشكل في خضم حالة الانهيار في محاولة لاعادة ترتيب المنطقة

ولا شك أن اللاعبين المحيطين في المنطقة مثل روسيا والصين وبعض الدول الافريقية إضافة إلى باكستان وافغانستان وأرمينيا سيكون لهم دور في المعركة القادمة، وقد تتوسع المعركة في حال اشتعالها.

ولتحسين شروط انتصار أمتنا العربية المسلمة في المعركة القادمة فان ثمة مبادئ ومعايير عامة تبين امكانية تجاوز المرحلة وتحقيق الانجازات المنشودة ومن هذه المبادئ قبل الحديث عن المعايير:

1- أولوية المعركة الخارجية بعد تحديد وتصنيف الأعداء على المعركة الداخلية.

2- ثروات الأمة جميعها تجمع من جميع البلاد وتسخر للمعركة.

3- الاستفادة باقصى درجة من الطاقات البشرية حسب كفاءاتها وقدراتها في جميع المجالات – بعد تحديد إمكاناتها وتوزيع أدوارها –.

4- الاعداد والاستعداد وتهيئة الناس الشاملة لخوض المعركة وبالتالي تغيير الخطاب الاعلامي والديني بما تستلزمه الحالة الراهنة.

5- اطلاق الحريات وتبييض السجون من المجاهدين والعلماء واعطائهم دورا لحماية وتفعيل الناس اثناء المعركة وقبلها.

6- كل اوراق الضغط على الأعداء أداة واحدة في المعركة و في نفس الوقت.

7- التوقف عن ملاحقة المسلمين والتعاون الامني مع الدول الغربية والشرقية.

8- مسؤولية نجاح المشروع تقع على عاتق كل فرد من للمسلمين في كل مكان في العالم ، والتمحور حول إطار الخطة العامة المشتركة للأمة المسلمة.

9- التوحد الكامل لطاقات الأمة ومنظوماتها في إطار الهدف الاستراتيجي باستعادة الخلافة الراشدة على الأرض.

10- القيادة من أي مستوى في الميدان تقود المعركة كجزء من الشعب.

11- تخاض المعركة تحت راية الاسلام والخلافة وفي سبيل الله

12- الاقصى والقدس محط رحال المعركة، والقدس عاصمة الخلافة المستقبلية.

وبالعودة إلى مفهوم الثورة: كحركة سياسية منظمة يقودها المجتمع لتغيير الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية بالخروج على الواقع الراهن من خلال حركة الشعب ونخبه القيادية لتغيير أنظمة الحكم القائمة التي تعجز عن تلبية حاجاته وإدارة موارده وبناه الداخلية وعلاقاته الخارجية بما يتناسب مع طموحات هذا الشعب.

وبمتابعة الثورة العربية "العظمى" التي تسعى لتغيير واقعها من الحالة السلبية إلى الحالة الايجابية بالإنقلاب ليس فقط على النظم الحاكمة وإنما على الظلم والتشريعات والدساتير والحالة الاجتماعية والسياسية وحالة التقسيم والتجزئة والوجود الغربي والشرقي والإسرائيلي في المنطقة بفعل الحركة المنظمة للشعب العربي ونزوله إلى الميادين والساحات الرئيسية في المدن والقرى والبادية مناديا بإسقاط النظام وملحقاته.

نجد انها وضحت حتى الآن مجموعة من القضايا التي يبنى عليها لتحقيق أهداف الامة منها:

1- بينت الثورة أن الامة تمتلك طاقة هائلة مختزنة يمكن تفعيلها لمواجهة الملمات الداخلية والخارجية.
2- كشفت الثورة النظام العربي وعلاقته الوظيفية مع الغرب ومدى إجرامه ونظرته للشعوب واستعداده للقتل المتواصل وتقسيم البلاد حفاظا على الكراسي.
3- كشفت الثورة خداع النظام الغربي وتخليه حتى عن عملائه في المنطقة لاستمرارية مصالحه وبينت مدى ضعفه إلى جانب مواصلته الصراع حتى في حالات الضعف ومحاولته استثمار الثورة لإعادة بناء ذاته.
4- كشفت الثورة مدى هزالة التنظيمات التي نشأت بفعل سايكس بيكو وكانت أحد مخرجاته وأنها تحاول اللحاق بالفعل الثوري الشعبي من اجل التسلق عليه واستثماره ولكن من خلال بوابة الالتزام مع المشاريع الخارجية.
5- أظهرت الثورة حاجة الامة إلى القيادة الموحدة والتخطيط والتوحد الجغرافي وتكسير الحدود بينها لتتحمل المسؤولية الجماعية بالدفاع عن مشروعها والتضحية لتحقيقه.
6- أظهرت الثورة حجم المؤامرة التي تعاني وعانت منها الامة طيلة قرن من الزمن على المستوى الداخلي والخارجي.
7- كما أثبتت الثورة أن الأمة وتنظيماتها وحراكها الشعبي لا يمتلكون أطروحة تغييريه على مستوى العرب وإنما ثورتهم حتى هذه اللحظة هي طلبا للحرية في إطار التجزئة.

ومع ذلك يبقى هذا الحراك كمقدمة ومرحلة انتقالية في حال توفرت القيادة ووضعت الخطة ووضحت ملامحها يمكن للامة عندها أن تصل إلى ما تصبو إليه دون الالتفاف على ثورتها من هذه الجهة أو تلك، مما ينذر بإجهاضها وفشلها، وحتى تكون أسلوبا وأداة لشعوبنا كي تحقق أهدافها الكبرى، لا أداة لتحقيق أهداف المشاريع المتصارعة على المنطقة سواء الغربي الصهيوني أو الشرقي الفارسي، ويلزمنا مجموعة من المعايير التي نحكم بها على نتاجات الثورة بالنجاح أو الفشل ونسترشد بها مسار الثورة لتحقيق أهدافها العليا بإذن الله.

وهذه المعايير تتضمن:

1- توفر القيادة الموحدة:

تكمن أهمية القيادة بأنها تحمل على عاتقها التخطيط الدائم وحشد الأفراد وتوجيه الطاقات واتخاذ القرار في الملمات والسعي الدائم لإزالة المعيقات في طريق تحقيق الأهداف، وعلينا أن نفرق بالضرورة ما بين أشكال القيادة: الجماهيرية، والدعوية، والعسكرية، والاقتصادية، والتصنيعية، والفكرية، والتنظيمية، والتخطيطية، وغيرها، فلكل واحدة سمات وأدوار تختلف عن الأخرى لكن على الجميع أن يعمل من منظور الخطة الشاملة المتطورة حسب الاحتياجات المستجدة، ويقع على القيادة التنفيذية الشاملة صهر هذه القدرات وتوجيهها لخدمة أهداف الثورة وانجاز مشروعها.

وقد عانت الأمة العربية الإسلامية إلى عهد قريب من غياب وتغييب مقصود للعنصر القيادي الفاعل على مستوى القطر الواحد، ومن تشتت العناصر القيادية على مستوى الأمة لغياب التواصل الفعال بين الأقطار المختلفة، كما عانت من تحول في سلوكيات ومعتقدات كثير من قيادات التنظيمات والمنظمات والحركات والجماعات في العالم العربي والإسلامي، مما يجعل الأمة اليوم أحوج ما تكون إلى تشكيل القيادة الموحدة للأمة جميعا على مستوى العالم العربي والإسلامي، تخطط للثورة وترشد مسيرتها وتوضح مسارها وتستثمر انجازاتها وتضع ملامح مشروع نهضتها في مرحلة ما بعد نجاح الثورة.

2- التخطيط ووضوح أهداف الثورة :

تبرز أهمية التخطيط في كل عمل يقوم به الإنسان، فالتخطيط يوضح النتاجات المتوقعة بناء على الإمكانات المتوفرة والأهداف الموضوعة، ولا يمكن للثورة العربية العظمى أن تقوم وتستمر دون خطة معلنة واعية لمجريات الأحداث وتغيراتها ومعيقاتها، لأنها دون خطة تصبح الأمور في إطار التوقعات والاحتمالات والصدفة والانحرافات المستمرة عن تحقيق الحاجات المرجوة من الحراك الجماهيري العظيم، ولتحقيق الخطة لا بد من وضوح الأهداف المعلنة سواء كانت بعيدة استراتيجية أو قريبة تكتيكية لكي توجه وتوحد سلوك

ثورة الأمة في كل أقطارها، وتنسق الأعمال فيما بينها وتساعد في تصويب العمل خلال حراك الثورة الشامل، ولا بد للأفراد والقيادة في القطر الواحد أو الوطن العربي من القناعة قبل الإلتزام بتحقيق هذه الأهداف، وحتى يستمر العاملون بتنفيذ الخطة والعمل بأهدافها لا بد للأهداف من أن تكون منطلقة من مفاهيم شرعية وواقعية يمكن تحقيقها وتعبر عن تطلعات وحاجات الامة وقيادتها.

3- رفض نجاح الثورة بالمساعدة الخارجية:

ان العلاقة القائمة بيننا وبين المشروع الغربي الصهيوني أو الشرقي الفارسي طيلة القرون السالفة قامت على العدائية والمواجهة المستمرة، وعلى الإحتلال ونهب الثروات ومحاولة الاختراق والإضعاف المستمر ، وصولا إلى محاولة حرف الأمة عن دينها وشريعتها، والغرب في حالة من الصراع المتواصل معنا في العلن والخفاء، يستخدم فيه كافة الأدوات الأخلاقية واللا أخلاقية.

وبناء عليه لا يمكن لذي لب عاقل أن يتصور أن الدول الخارجة غربية كانت أم شرقية عن إطار الأمة يمكن أن تقدم خدمات ومعونات لنا دون أن تحصل على فوائد جمة من هذه الخدمات، بل إن الأرباح المرجوة للهذه الدول من تقديم أي مساعدة قد تصل إلى الخسارة الكلية للأمة ومشروعها السياسي، بحيث ترهن الإمكانات البشرية والثروات والسياسات للغرب ومصالحه، ولذا نقول للحالمين بمساعدة الغرب في إنجاح الثورة العربية من تنظيمات علمانية أو إسلامية أو مجالس وطنية مستجدة كما في ليبيا أو بنى عسكرية وسياسية قديمة تعيش حالة التبعية كما في مصر، أنتم على الطريق الخطأ بل إنكم تبيعون مشروع الثورة النظيفة وتتآمرون عليها مقابل كراسي الحكم التي وعدتم بها.

ومن هنا فان على أمة الثورة العربية وشعوبها وشبابها أن ترفض الإستقواء بالغرب على ذاتها وبناها الداخلية وعلى هالة العيش التي تعيش وترفض محاولة إعادة الغرب والشرق إلى حالة الاستقواء على الأمة وثورتها، بعد ما بدأت ملامح الضعف تنخر في

كياناته وكذلك ترفض الذين يتطلعون إلى الغرب كداعم وضامن لمشاريعهم الذاتية المصلحية أو الحزبية.

4- سلمية ومدنية الثورة:

تميزت الفترات التي سبقت الثورة العربية العظمى من العمل التنظيمي بالإختلاف والتنوع في الطرح وتوسع الإنتاجية الشعبية الأفقية دون تحقيق الإنجازات المطلوبة فكانت البرامج الإصلاحية والبرامج الجهادية التي عملت على الحفاظ على الهوية الإسلامية للأمة ومواجهة أعدائها، إلا أنها لم تطرح رؤية متكاملة للصراع ولم تع أشكال الخطر الذي يحيط بالأمة، كما أنها كانت تعاني من حالة الاستقطاب القطري، والعيش في حالة التبعية لدوائر الأنظمة المتعادية، ولهذا كانت الأمة تقترب عاطفيا من هذه البنى التنظيمية أكثر من الانتماء لها والاستعداد للتضحية في سبيل ما تقدمه من أفكار، وخاصة مع الخوف من قوة القبضة الأمنية للنظام العربي، ومع الأيام انحرفت هذه التنظيمات شيئا فشيئا عن مبادئها الأولى وتحولت إلى أدوات بيد الأنظمة وأدوات بيد المشروع الغربي والمشروع الشرقي، تتصارع فيما بينها مما أجهض قدرتها على التغيير عدا عن التحرير.

هذا كله أدى لأن يأخذ أفراد المجتمع والشعب في كل قطر على عاتقهم مسؤولية التغيير متجاوزين الأنظمة والتنظيمات والأحزاب - التي تحاول أن تتسلق على حراك الثورة - لتحقيق الهدف الأول وهو إسقاط النظام متمثلا بالحاكم، فخرج الناس إلى الشوارع بالملايين وكل واحد منهم يحمل روحه على عاتقه غير آبه بالموت أو الاعتقال، فشكل أفراد المجتمع سيلا بشريا جارفا أسقط حتى هذه اللحظة اثنين من حكام العرب دون أن تطلق رصاصة من الشعب رغم سقوط العديد من الضحايا، مما يعزز أن الشعوب بسلمية حركتها قادرة على تحقيق الانجازات، كما أن سلمية الثورة يحافظ على مدنيتها، وبالتالي يحافظ على منجزات الشعوب وثرواتهم ومقدراتهم المتراكمة عبر عشرات السنين، وهذا ما فقدته ليبيا بسبب سوء وإجرام حاكمها واستقواء مجلسها الوطني الانتقالي بالغرب، وقد تفقده الشام

واليمن بالعقلية التآمرية للحكام وقتل شعوبهم استمرارا لتبعيتهم والتزامهم الوظيفي للمشاريع الخارجية المتصارعة على المنطقة .

لكن سلمية الثورة أيضا لا تعني أن يموت الثوار والشعب تحت قصف طائرات الحكام ودباباتهم دون مواجهة عسكرية مضادة توقف زحف الحاكم ومرتزقة الرواتب من جنده، ولكنها تعني أيضا استخدام الأدوات اللازمة والمكافئة للحفاظ على شعب الثورة وقيادته.لاستكمال التغيير العسكري والامني الاجتماعي والتشريعي والاعلامي الداخلي المطلوب على مستوى البلد الواحد، وتقديم الدعم اللازم للبلاد الأخرى بعد نجاح الثورة لاستكمال مشروعها.

5- وضوح راية الثورة :

فكما وحدت الأمة خطابها وشعارها في مواجهة رأس الحكم في المنظومة العربية، ونادت بأعلى صوتها "الشعب يريد إسقاط النظام" فإن الأمة اليوم مطالبة بتوحيد راية الصراع، كما هي بحاجة إلى توحيد قيادتها، والمقصود هنا براية الصراع: هي النهايات والنتاجات التي تريد الثورة الوصول إليها، وبمعنى آخر: المحركات الختامية والدوافع الموجهة لحركة الثورة، وليس الدوافع الأولية لأن الدوافع الأولية تشترك بها الأمة كلها والتي يمكن اختزالها بالبحث عن الكرامة العربية وحرية المواطن العربي والعدالة في توزيع الأدوار والثروات لكن هذه المحركات الأولية لا تمثل برنامجا سياسيا تستقيم عليه نتاجات الثورة ولا تهيئ لاستثمار نجاحات الثورة بما يخدم المصالح العليا للمواطن العربي.

ولما كانت الخلافة والحكومات الراشدة التابعة لها هي الوعاء الموحد والحامي والحافظ والإطار السياسي للأمة العربية والإسلامية على مدار عدة قرون، من بعد عهد النبوة الى نهاية الخلافة العثمانية، ولما كان سقوطها وانهيارها في بداية القرن العشرين سببا في إنهيار الأمة طيلة القرن الماضي، وحتى الآن لم تستطع الأمة معالجة ارتدادات هذا الإنهيار، لذا كان من الواجب أن تعمل الأمة مرة أخرى لاستعادة خلافتها ووحدتها ولتنادي بصوت مرتفع بشعار "أمة واحدة، حكومة راشدة، خلافة راشدة" كنتاج نهائي لمسار ثورتها التي

انطلقت من تونس مرورا بمصر وها هي تشتعل بالشام واليمن من الأرض المباركة وفي ليبيا بوابة الثورة إلى المغرب العربي وتباشيرها في كل العالم العربي والإسلامي بدأت تلوح في الأفق.

6- حشد الجهود باتجاه بؤرة الصراع القطرية :

تمتلك الأمة الإسلامية طاقة كبرى تستخدم جزءا منها في مشروع الثورة للحرية والانعتاق من براثن الأنظمة القهرية والجبرية الظالمة، ومع أن هذه الجهود لفترة متأخرة كانت مبعثرة ومتعارضة وباتجاهات مختلفة ودون توجيه أو توجه نحو الوحدة، مما أفشلها وأضاع قدراتها وجعلها تبذل تضحيات كبرى كان بالإمكان لو توحدت سابقا أن تحافظ عليها.

واليوم وقد توسعت دائرة الثورة وانفلت عقال الشعوب من الأنظمة باتجاه الحرية وتقرير المصير، فإن الثورة بحاجة إلى مزيد من توجيه الجهود المختلفة وبجميع المستويات ومن جميع البلدا العربية والإسلامية وتركيزها وتوجيه الطاقات البشرية والإعلامية والمادية والمالية إلى بؤرة الحدث في البلد الواحد الذي تشتعل فيه الثورة بما يخدم تحقيق أهداف الثورة المرحلية الأولى وصولا إلى الأهداف الشمولية.

إن تحقيق النجاح في قطر ما سيدفع إلى تحقيق النجاح في قطر آخر وستسمح القوة المسيطرة المتعاونة في القطر المحرر باستخدام إمكانيات البلد وقدراته لدفع مسيرة الثورة في البلاد الأخرى في صورة تكاملية تسمح بإعادة الوحدة وتوحيد راية الصراع الداخلي والخارجي.

7- استمرارية الثورة رغم التضحيات:

أي بمعنى: مواصلة الحراك والحشد الدائم حتى تحقيق الأهداف في إطار الثورة العربية العظمى الموضوعة في القطر الواحد أو الأقاليم الكبرى مثل المغرب العربي أو جزيرة العرب وبلاد الشام أو على مستوى الوطن العربي والعالم الإسلامي وصولا إلى العالمية،

وبالتالي إن نجاح الثورة في تونس أو مصر والتوقف عند حدود هذا النجاح دون المشاركة الفاعلة في إنجاح الحراك في المغرب العربي أو المشرق العربي يجعل هذه الثورة في إطار التجزئة من جهة، وفي إمكانية الإحتواء والإجهاض على المدى القريب من جهة أخرى، كما يسمح للأعداء من كافة الجهات أن يعيدوا لملمة أوراقهم وان يستخدموا الثورة لخدمة مصالحهم، لذا فان المواصلة في الخروج إلى الشوارع والساحات مهما توسعت التضحيات وزاد الجرحى والقتلى، بعد استمرار تقييم ما تحقق من أهداف مرحلية لها، من شأنه أن يؤكد نضوج الثورة ويدفع بأبناء الوطن العربي في كل مكان للنهوض من أجل استكمال مشروع نجاحها، ويزيد من خلط الأوراق الغربية الأمريكية والإسرائيلية وتشتيتها وبالتالي إضعاف إمكانية التدخل في صياغة نتائج الثورة.

8- شفافية العلاقة مع الأقليات:

الأقليات: هي المجموعات العرقية أو الدينية أو الطائفية التي عاشت وتعيش في كنف الأمة الإسلامية في الوطن العربي المترامي أو في جغرافيا الأمة الإسلامية والتي أمنت على نفسها ومالها وضيعها وأماكن عبادتها طيلة القرون السابقة وفي إطار من الأحكام الشرعية دون تجاوز لحدودها أو انتقاص من حقوقها.

لكن هذه الأقليات في كثير من الأحيان تعتبر الأدوات الأهم في مشروع الغرب لاختراق جسم الأمة العربية والإسلامية، ولزعزعة الواقع العربي وإشغاله عن التوسع وفي بعض الأحيان إفشال مشاريع نهضته، وهذه الأقليات - ويدخل فيها بعض التنظيمات التي صاحبت حالة التجزئة وعاشت في كنفها - غالبا ما ترتبط بقنوات مختلفة مع أعداء الأمة بدعاوي غير مقنعة أو مبررة، وهي تنتهز أي فرصة للانقضاض على الحكم هنا وهناك أو الإنقضاض على قطعة جغرافية من أجل فصلها عن جسم الأمة.

وهذه لأقليات اليوم هي أحد أهم أدوات إنجاح المشروع الغربي الصهيوني لتمزيق المنطقة كما أنها الأداة الأقوى في المشروع الشرقي الإيراني للسيطرة على أجزائها ومن هنا لا

بد من أخذ هذه الأقليات في الإعتبار تخوفا من استخدامها ضد ثورة الأمة أو التفاهم معها وحثها لتكون جزءا لا يتجزأ من مشروع نهضتها.

وحتى تصبح هذه الأقليات جزءا من مشروع الأمة، لا بد من تطمين هذه الأقليات على وجودها وأماكن تواجدها، وأنها ليست في صراع مع الأمة في مرحلة ثورتها، وأن هذه الأقليات في صراع مع نظام التجزئة الذي صنعه الغرب بفعل المبضع العسكري والسياسي طيلة القرن الماضي، وفي صراع مع الغزاة والوجود الإسرائيلي وأن المسلمين منهم لهم ما للأمة من انتصارات وعليهم ما عليها من مغارم، وغير المسلمين يعيشون كما عاش أسلافهم في كنف الدولة الإسلامية الموحدة براية الخلافة، والثورة وهي تراقب الاحداث فانها تحذر الذين يريدون بالأمة غدرا، أن الأمة لا ولن تنسى أعداءها من العقوبة العادلة في حال اكتمل مشروع ثورتها.

9- التصحيح المستمر لحراك الثورة :

لا يمكن للشعب العربي المغيب عن الفعل السياسي لأكثر من ستة قرون ومغيب عن الوحدة والإستقلالية، لأكثر من قرن من الزمان أن يحكم على حراكه ونجاح برنامج ثورته من خلال عدة أشهر، رغم النجاح الواضح والملموس على مستوى استخدام القدرات وطاقة الأفراد والشعب وتوجيهها في إسقاط رموز الأنظمة، ورغم التواجد الكبير لأدوات ومشاريع الشرق والغرب التي تستهدف إعاقة واعتراض وإجهاض الثورة العربية العظمى.

فإنها تعتبر مثل أي فعل بشري على المستوى الفردي أو العام، يحتاج دائما إلى النقد والنقد الذاتي و التقييم الشامل قبل وأثناء وبعد الثورة، والثورة العربية كحالة طارئة بحجمها واتساعها وتنوع برنامجها وأدواتها واختلاف طبيعة الأنظمة التي تتعامل معها وطبيعة الحالة الجيوسياسية وعلاقة ذلك بالمشروع الغربي والشرقي يحتم على الثورة والثوار في حال وجود القيادة الموحدة على مستوى القطر الواحد أو على مستوى الوطن العربي أن تجري عمليات التقويم والتصويب وإصدار الأحكام على مدى نجاحة الحراك الجماهيري ،متى تقف؟ ومتى

تتحرك؟ ومدى وضوح أهدافه وأدواته؟ وكيفية حمايته من أن يستخدم كأداة تخدم برامج هذه الجهة أو تلك من أعداء الأمة؟ في أي جهة يتوسع؟

10- بناء المجتمع الجهادي:

رغم الحاجة إلى سلمية الثورة و مدنيتها في مواجه الواقع الداخلي من أجل الحفاظ على تراكم مكتسبات الأمة، وتقليل الفاقد من الضحايا في صراع داخلي اجرامي يمثل استمرارية الدور الوظيفي للأنظمة العربية في إضعاف ومحاربة الشعب العربي من المحيط إلى الخليج، إلا أن كلا المشروعين الشرقي والغربي والعدو الإسرائيلي ينتظر لحظة ضعف تمر بها الأمة للإنقضاض على مقدراتها وعلى أرضها من أجل زيادة تقسيمها وإضعافها ، وهذا يتطلب من الشعب العربي المغيب عن الفعل الجهادي والتدريب الخاص به، أن يتحول إلى امتلاك قدرة الدفاع عن الذات ومواجهة الأعداء إذا ما أرادوا بمشروع نهضته وثورته شرا، وهنا يأتي دور القيادة العسكرية والأمنية التي تنتمي إلى وطنها وتستشعر الخطر على أمتها لتقوم بدورها وتنظم وتخطط وتوجه القدرات والإمكانات البشرية المهيأة والمدربة وتصهرها في بوتقة واحدة لما يخدم مصلحة الأمة. وبناء المجتمع الجهادي يستلزم توزيع الأدوار بين أفراد المجتمع كل حسب قدراته وطاقاته دون إغفال للعنصر النسائي الذي يمكنه أن يقوم بدور عظيم داخلي في إدارة شؤون كثير من أمور الحياة وتحول القدرة الشبابية إلى البناء العسكري والتدريب على كافة أنواع المقاومة من أجل الدفاع عن الأمة وتحقيق طموحاتها.

11- استمرار مقاومة العدو وجهاده:

لا بد من استمرار مشاغلة أعداء الأمة الذين احتلوا أرضنا عسكريا، وهؤلاء لن ينفع معهم الحلول السياسية أو المفاوضات على حالة الضعف التي تعيشها الأمة، ولذا من دخل بلادنا عسكريا علينا أن نخرجه عسكريا، وهذه هي مهمة قوى المقاومة على اختلاف مواقعها، ومنها قوى المقاومة الفلسطينية والمقاومة الأفغانية والشيشانية والعراقية والصومالية بمسمياتها المختلفة... وغيرها من أراضي الأمة العربية والإسلامية.

لكن وللأسف أن بعضا من أشكال هذه المقاومة انحرف باتجاه الحلول السلمية وتحقيق المكاسب السياسية رغم وجود الإحتلال وضمن توافقات دولية، وبعضا آخرمنها لعب دورا أكثر سلبية بأن جعل قدراته في خدمة المحتل وفي مواجهة المقاومة الحقيقية ولم يثبت حتى الآن في مواجهة المحتل إلا من ثبته الله.

وعلى رغم ما تعانيه أشكال المقاومة والجهاد من صعوبات أمنية وعسكرية وملاحقات وتجفيف للموارد البشرية والمالية إلا أنها كانت ولا زالت قادرة على مواجهة المحتل إذا ما توفرت لها البيئة المناسبة وتوحدت واستغلت الفرص التي تلوح لها بالأفق، من خلال تفاعل الثورة وحراك الشعوب وقيادات الجيش معها مما يمكنها من إنجاز ما تنتظره الشعوب من تحرير للأراضي وانهزام للأعداء.

إذن لا بد من استمرار المقاومة والمقاومة المتصاعدة المتوسعة في البلاد العربية المحتلة وعلى رأسها فلسطين كمؤشر من مؤشرات نجاح الثورة، ولا بد من دعم هذه المقاومة بكل أشكال الدعم حتى تبقي - على الأقل - مخططات العدو في حدود تواجده، الى أن يقوى ساعد الثورة المتدحرجة في الوطن العربي وتتوحد الجهود والطاقات للقيام بواجباتها تجاه تحرير الأقصى والقدس.

12- رصد المشاريع المتصارعة في المنطقة:

لا بد للعاملين الذين يقودون الحراك الجماهيري على مستوى القطر الواحد أو الأقطار المختلفة أن ينظروا للأحداث نظرة شمولية ومن زوايا مختلفة وأن لا يقصروا النظر على جانب واحد من الأحداث.

فالبعض يتهم الحراك الجماهيري العربي على أنه استجابة لرغبة الغرب في الفوضى الخلاقة التي تؤدي إلى إحداث تقسيمات جديدة في جغرافيا المنطقة وبالتالي للوصول إلى توزيعات استعمارية جديدة لخيرات المنطقة ،والبعض ينتشي لدرجة انه لا يرى سوى انتصار الثورة العربية وتحقيقها لأهدافها مغفلا حالة الصراع والأعداء الذين يتربصون بالمنطقة ويتداعون عليها كتداعي الأكلة إلى قصعتها، وآخرون يرون الثورة على أنها امتداد للمشروع

الثورة الإيرانية وأنها ترتبط مباشرة بها ،وهكذا تتباين الآراء وتختلف بشكل كبير إذا نظر إليها كحالة جزئية قطرية ويصبح الحكم على مسار الثورة مختزل ومجزوء وغير دقيق.

إن النظرة الشمولية تظهر أن الصراع من كل الجهات على المنطقة، وقد بينا فيما سبق أن ثمة ثلاثة مشاريع تتصارع على المنطقة وأن ثمة لاعبين ووسطاء ومتطلعين لأن يكون لهم دور فيها، كما تظهر النظرة العامة تساوي نسب النجاح والفشل للمشاريع الثلاث في تحقيق انتصار ينعكس إيجابا علينا في حال نجاح المشروع العربي في المنطقة وينعكس سلبا في حال نجاح المشروع الغربي أو الشرقي فيها.

وتظهر الثورة، في بداية حركتها ضعفا للمشروع الشرقي وتراجعا كبيرا في قدرته على الفعل، كما أن الثورة تزيد من احتمالات تفجر الصراع في قلب المشروع الشرقي "الإيراني" ولكنها حتى الآن لا تظهر ضعفا واضح المعالم على المشروع الغربي الصهيوأمريكي - على الرغم من استمرار ضعفه البنيوي - مما يزيد لدى العامة احتمالات الشك حول حركة الثورة ودوافعها ونتائجها وقدرتها على المقاومة حتى استكمال نجاحها، كما تظهر الثورة اتساع الدور التركي في المنطقة وتدخلا واضحا له في سياسات دول ما بعد وأثناء الثورة.

13- إزالة الحدود بين بلدان الوطن العربي:

يمكننا اعتبار إزالة الحدود بين أقطار الوطن العربي وتوحيد العالم العربي وزوال جامعة الدول العربية أحد أهم المؤشرات الكبرى على نجاح الثورة العربية العظمى، فلا يمكن أن نتحدث عن ثورة عربية عظمى تنادي بها الملايين وتتطلع إليها شعوب العالم الإسلامي والمستضعفين في الأرض ونقول أنها نجحت وهي لا تزال تحافظ على حالة التجزئة والتقسيم في الوطن العربي وتبقي على أعلام متنوعة وجيوش وأمن متصارعة، وبرلمانات ودساتير ووزارات وحكام مختلفين، وحدود مفرقة لأبناء الأمة العربية الواحدة.

كما أننا لا يمكن أن نتحدث عن نجاح للثورة ونحن نرى أن كل بلد يعاني شعبه بشكل مفرد من جبروت النظام الداخلي، أو تآمرات النظام الدولي الخارجي دون حراك من

الشعوب العربية في كل مكان من أجل حمايته ودعم شمولية مطالبه، وتوحيد الحراك ودعم الحالة الكلية للنهج الثوري فيه، مع الأخذ بعين الاعتبار تناقضات المشاريع الخارجية المتصارعة وأهدافها في المنطقة والتوقيت المناسب للخروج عليها وتركيز الجهود لإنجاح التجربة في كل قطر من الأقطار العربية ومن ثم إسقاط منظومة سايكس بيكو وما نتج عنها من اختلالات وتشوهات في جغرافيا الواقع العربي.

14- القياس الدقيق لارتدادات الثورة:

في واقعنا العربي علينا أن نعتبر الثورة شكلا من أشكال العبادة لله، بل هي من ضروريات الإيمان، وشهداؤها يرتقون إلى مرتبة سيد الشهداء لأنها ثورة على الظلم والطواغيت ولاسترجاع الكرامة والحرية والدين ليكون حاكما للأمة، ولكل طاعة من الطاعات مناسك وترتيبات خاصة بها والترتيب في الطاعات من الفروض التي لا يمكن تجاوزها، فلا يجوز أن تسجد في الصلاة قبل أن تركع أو ترمي الجمرات أو تنحر قبل الوقوف بعرفات.

والثورة كشكل من أشكال الطاعة لا بد لها من برنامج عمل يقود حراكها على مستوى القطر الواحد ومن برامج عمل على مستوى الأمة بحيث تسير حركة الثورة بالتراتبية التي تخدم مصلحة الأمة العربية والإسلامية معتمدة بذلك على عناصر المفاجئة ووضوح الفكرة وتوفر القيادة وحجم الشعب خلف الثورة وإمكاناته على الصمود وتقديم التضحيات لإنجاز أهدافها، ضمن منظومة المعايير التي تحكم على نجاحها.

ومع توسع دائرة الثورة العربية بعد تونس ومصر لتدخل اليمن وليبيا وسوريا وتتهيأ لدخول أقطار عربية وإسلامية أخرى، علينا أن نعرف تأثير الحراك هنا وهناك على المشاريع المتصارعة من جهة وعلى التنظيمات والمنظمات التي ارتبطت بهذه الجهة أو تلك وكذلك أهمية الحراك في هذا البلد أو ذاك من ناحية تسريع التحرك أو تأخيره ومدى انعكاس ذلك على المشروع الكلي للأمة.

وتكمن أهمية متابعة حركة الثورة واحتمالات انتقالها من بلد لآخر وأي البلاد ستشتعل فيه الثورة في المرحلة القادمة في تحديد الوقت المناسب لحراك الثورة بحيث تحقق أفضل النتائج للامة العربية ومن بعدها الإسلامية، لأن عملية تسريع الثورة في بلد ما قبل ضعف بلد آخر أو اشتعال الثورة فيه قد يجعل الثورة تسير في خدمة المشاريع الخارجية دون إدراك من الثوار كما أن تأخيرها في بلد ما قد يضعف نتائج الثورة أو يفشل مشروعها.

وكما أشرنا سابقا أن اشتعال الثورة في سوريا وعودة سوريا إلى الحاضنة العربية السنية وإلى مقاومة الحقيقة الجهادية سيضرب المشروع الشرقي الفارسي في العمود الفقري وسيجعل إيران مباشرة في مواجهة مع قدرها، كما أن انعكاسات الثورة وارتداداتها بدأت مباشرة مع توسع حراكها على الأراضي السورية على مجمل أدوات المشروع الشرقي وأذرعه وسيكون لها تركيز في حزب المشروع الغربي وأدواته في المطقة:

- ففي البداية تحولت حماس والجهاد الإسلامي والتنظيمات الفلسطينية إلى الواجهة المصرية وتفاجأ الجميع بالتوقيع على المصالحة الفلسطينية التي كانت لأيام قليلة مرفوضة وأكثر من ذلك كانت حالة من حالات التعامل مع الخونة من عملاء دايتون.
- ثم شاهدنا ارتباكا في مواقف حزب الله من الثورة السورية واتهامها بأبشع الصور مع أنها امتداد للثورة العربية في مصر واليمن وتونس وغيرها واتهم الحزب بالمشاركة بقمع المتظاهرين والثائرين فيها.
- ثم ارتبكت المنظمة السياسية في إيران وأصبحت الإذاعات تتناقل عن صراع بين خامئني ونجاد وبين الباسيج ونجاد وظهر انجاد في أضعف حالاته.
- وبدأ الحراك في منطقة الأهواز العربية على الجانب الإيراني.
- وخمد الحراك في البحرين وتراجع مما جعل البحرين تلغي حضر التجول والطوارئ في البلاد.
- وانطلقت المظاهرات في معظم العراق لإسقاط المالكي وزمرته وإسقاط التقسيمات التي نشأت بفعل الاحتلال.

إن هذا المثال الذي نضربه لقياس ارتدادات الثورة إنما هو لتفعيل العقل المتابع والناقد والمحلل من أجل الحسابات الدقيقة للآثار المترتبة على اتخاذ قرار الحراك المستقبلي في أي قطر من أقطار الوطن عربي أو الإسلامي بعد سوريا وهل سيكون ذلك في مصلحة الأمة ومشروع ثورتها أم لا.

كما أننا ندرك إن إضعاف المشروع الشرقي الفارسي سيؤمن ظهر الأمة في حال انطلاقها لمواجهة المشروع الغربي الصهيوني وسيجعل من ايران ومن أذرعها السابقة وقدراتهم في خدمة الأمة، إذا ما استجابت لمخططات الأمة كمشروع نهضة وليس العمل من خلال النظرة الحزبية أو الطائفية الضيقة او الإنسياق لأجندات خارجية.

إذن تظهر حركة الثورة توجها إلى إيران بعد سوريا وفيها ما يؤهل لنجاح الثورة في الواقع الداخلي إذا ما تفاعلت الجماهير المقموعة والمقهورة من أهل السنة مع الجماهير الفقيرة والمسلوبة من الشيعة بالتوافق مع الحركة الإصلاحية في القيادة الإيرانية.

كما أن مؤهلات نجاح الثورة في أي بلد عربي أو إسلامي قائمة لأن مبرراتها موجودة في كل مكان، ولكن الأهم لمن يفكرون ويقودون إطار الثورة على مستوى الأمة أن يدركوا أهمية إضعاف أحد المشاريع الخارجية التي تصارع أمتنا للتفرغ من أجل إزالة المشروع الآخر.

وبعد إيران وليس قبلها يظهر المؤشر أن دول الخليج ستكون المرشحة لانتفاضة الشعب ضد الأسر الحاكمة فيها، إضافة إلى نجاح الثورة في اليمن وبعدها تتوسع الدائرة إلى الدول الإسلامية في باكستان وأفغانستان.

وقد تنال تركيا نصيبا منها إذا لم تستقوي بأمتها وإذا ما اتجهت تركيا لتخدم المشروع الغربي على حساب المنطقة وستتجمع مشاريع الثورة العربية والإسلامية لتمر عبر الأردن في طريقها لاستهداف القاعدة الإجرامية الغربية المتقدمة في المنطقة الكيان الإسرائيلي.

ثم على الواجهة الغربية من الوطن العربي لا زالت حالة التآمر على مصر قائمة من خلال إدخال مصر في دوامة الأحزاب التي بدأت تتكشف بعلاقاتها وباتصالاتها وقياداتها

المرتبطة مع الغرب والشرق، والانتخابات، والدستور، وإعادة التقوقع على المستوى الداخلي والعزل الشعبي دون أن تمارس الثورة دورها بدعم العالم الإسلامي.

وقد تأخر حراك الثورة باتجاه الجزائر والمغرب العربي نتيجة المحاولة الناجحة جزئيا في اعتراض الثورة في ليبيا من قبل الغرب بالتعاون مع القذافي من جهة ومع المجلس الإنتقالي الذي ينسق ويتحرك بإدارة غربية من جهة اخرى، إلا أن الوقت بدأ ينفد والعملاء تتكشف مما يجعل الثورة في الجزائر والمغرب العربي وحصادها قاب قوسين.

كما ندرك أن إعصار وطوفان الثورة سيشمل العالم العربي والإسلامي، ولكن حتى لا يكون هذا الطوفان مدمرا لا بد من توجيه وترشيد حركته لينتفع به الناس، ولا بد من توقع المناطق التي سيمر بها الإعصار مسبقا، ولا بد للعاملين في السياسة من أمة العرب والإسلام أن يصبحوا كالراصد الجوي الذي يتنبأ بالأحداث ويتوقعها بناء على مجموعة المعلومات الدقيقة المتوفرة لديهم، ونحن نعلم أن ثمة أعاصير كبرى تضرب بعض المناطق تترك أثارا مدمرة لكن خسائرها البشرية تكون محدودة عندما يتم التنبؤ بها بشكل دقيق ويعرف مسارها، وثمة أمطارا غزيرة في بعض المناطق تغرق قرى لغياب الوعي اللازم لمعرفة حجمها أو لعدم المسؤولية في تحذير الناس من اقترابها أو الاستعداد لها.

15- جعل القدس قضية الثورة المركزية:

حتى هذه اللحظة لم تكن قضية فلسطين قضية مركزية للأمة العربية والإسلامية ولو تدفع شعوب الأمة ضريبة تحررها وإنما تركت القضية للحكام الذين كانوا يمارسون التجارة والقمار بها وبأهلها، وعلى الرغم من أن التنظيمات الفلسطينية أدركت هذا الأمر إلا أنها عجزت ببرامجها الفكرية أو بأدائها الوطني عن أن تدفع بطاقة الأمة نحو التحرك للمشاركة الفاعلة في عملية التحريروالانعتاق، كما أن التنظيمات الفلسطينية بغض النظر عن أفكارها كانت تتعامل مع النظام العربي الناتج عن سايكس بيكو على أنه جزء من محور الصراع والمقاومة والممانعة إلى جانبها، وتطرح ببرامجها عدم التدخل في الشأن العربي ،وأكثر من ذلك تقدم المعلومات عن حالة التنظيم أو التنظيمات الأخرى وعن نقاط القوة والضعف

لهذه الأنظمة التي أثبتت الثورة العربية والتجارب والوقائع التاريخية أن ما يسمى منها بأنظمة الممانعة هي كذبة تاريخية، كما أثبتت أن الحراك الفلسطيني على المستوى الوطني بأفكاره المختلفة وبإمكاناته المتطورة غير قادر على القيام بواجب التحرير مهما بلغت قوته بغياب المشروع العربي والحاضنة العربية والإسلامية، التي عليها أن تعتبر القضية الفلسطينية أحد أولوياتها ليس فقط إعلاميا وإنما بالمساهمة والمشاركة الفاعلة في مشروع التحرير، كما أثبتت أن التنظيمات الفلسطينية على اختلاف أفكارها لم تصل من الوعي اللازم لجمع شتاتها وتوجيه طاقاتها وتوزيع أدوارها، فهي على الدوام تظهر متصارعة مختلفة تعمل ضد بعضها البعض لصالح المحاور العربية والاقليمية والدولية حتى وصل الأمر إلى الإقتتال الداخلي بينها ومحاربتها لكل أشكال المقاومة والجهاد المختلفة حتى في مواجهة إسرائيل.

القضية الفلسطينية وإن حاول البعض التخفي عن مسؤولياته تجاهها تعتبر قضية مركزية أساسية بل هي أم القضايا في الوطن العربي، لأجلها: عمل الغرب على إسقاط الخلافة العثمانية، وقسم المنطقة، واجتاحها عسكريا لإضعافها ،واخترقها أمنيا، ولأجلها عين الأنظمة ودعمها لتبقى حامية للوجود الإسرائيلي ومتعاونة معه ،وحارب كل شكل من أشكال التطور الداخلي أو المقاومة، ولأجلها حرك الجيوش وضرب العراق وأفغانستان ولا زال يسعى لتقسيم المنطقة على أساس عرقي وطائفي ومصلحي في إطار خارطة شرق أوسط جديد "سايكس بيكو 2".

لذا لا يمكن الحكم والقول بنجاح الثورة العربية دون أن تستكمل دائرة الصراع في المسجد الأقصى بإزالة السرطان الإسرائيلي وكيانه السياسي الصهيوني عن أرض فلسطين، وهذا يستلزم ليس فقط الأطر الفلسطينية التي لم تثبت نجاعتها في إحداث التحرير، وإنما يستلزم أن تكون بوصلة الثورة العربية وحركتها باتجاه القدس والأقصى، وأن يكون شعار الثورة في كل بلد بعد التحرر "تحرير القدس وفلسطين أولا" وهذا يستلزم من قيادة الأمة حشد الطاقات والقدرات العسكرية والبشرية والمادية لمواجهة هذا الوجود الصهيوني الغريب عن أمتنا.

ثمة معايير أخرى يمكن إضافتها لما سبق وهذه المعايير تتناول حالة ما بعد نجاح الثورة وتشكيلها للحكم الراشد وآليات تعاملها مع الشعب والأمة ومنها العدالة في توزيع ثروات الأمة، ورقابة الأمة على مؤسسات الحكم، وحق الأمة في اختيار سلطتها ، التعددية السياسية التي تخدم رؤية الأمة ، الشورى في الأمور، والعدل بين الناس، وتوزيع الأدوار بين طاقات الأمة حسب الكفاءات وتفعيل هذه الطاقات وإيجاد البيئة اللازمة لتطويرها وقد وردت هذه المفاهيم بورقة الدكتور حاكم المطيري "الثورة العربية والحكم الراشدي" وفي الرسائل المهمة لمؤتمر الأمة بتوسع وتأصيل شرعي وقد شرحت وفصلت في كتبه القيمة نحو وعي سياسي راشد وكتابه تحرير الإنسان وكتابه الحرية أو الطوفان.

إن هذه المعايير تعتبر أدواتا للحكم على نجاح الثورة العربية العظمى من المحيط إلى الخليج وتعتبر أيضا مؤشرات على الطريق للإفادة منها في الحراك المستمر لتوحيد الأمة وقيادتها واستعادة خلافتها وحكمها الراشد واستئصال أعدائها من جذورهم وإنقاذ الأقصى وتحرير القدس وكامل التراب الفلسطيني والعراقي والعربي والإسلامي واستعادة مجد الأمة المستلب.

ونحن اليوم إذ نرى أمتنا مقبلة على حالة من التعافي من الأمراض التي أصابتها منذ أكثر من قرن مضى، فإن أفرادها أمام مسؤولية تاريخية كل من مكانه وبلده في البناء والدعوة والتخطيط والحشد وتوزيع الأدوار والتنفيذ وحصد نتائج العزة والكرامة على جميع الجبهات.

والمطلوب منا أن تتخلى المجموعات في الأمة سواء كانت قبائل آو أحزاب أو طوائف أو دول مجزئة أو شعوب قطرية عن حالة التفكير الجزأ والنظرة العصبية الضيقة، ولتنظر بعين الشمولية إلى حاجات الأمة وعوامل نهضتها والى عوامل ضعفها ، ولتبدأ بدعم قوى التحرك والجهاد للدفاع عن كينونتها الداخلية والخارجية، ولتستعد للتوحد الشامل والدفاع الكلي عن بنية الأمة الداخلية ومواجهة القوى الخارجية التي تتعدى على أمتنا.

إنها ضرورة التخلي عن الذات من أجل الأمة، والتخلي عن الحاجات الفردية من أجل الجميع، وحالة من الإستعداد للتضحية الشمولية للدفاع ودعم جميع البنى الداخلية، فيا

أيها العربي المسلم أين ما كنت كن شريكا في الغرم قبل الغنم، ولا تكن قاصية أو عونا لأعداء أمتك، وأعلم إن الأمة انطلقت لحو حريتها وهي منتصرة قريبا بإذن الله وأنت منها، ولن يستوي القاعدون والعاملون لبناء نهضتها.

إن هذه الأمة تستحق أن تعيش في كنف ربها وشريعته، وتعيش وعد رسولها بالخلافة الراشدة على منهاج النبوة، وتعيش النصر المؤزر على أعدائها (تفتح القسطنطينية وتفتح روميا) (يقاتل المسلمون اليهود) وهذا حديث الرسول محمد عليه الصلاة والسلام لا زال ينادي بنا صباح مساء يا مسلم يا عبدالله (هذا يهودي خلفي تعال فاقتله).

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾

تم بعون الله

قائمة المراجع

1- القرآن الكريم

2- غرايبة، عبد الكريم والدوري، عبد العزيز، والمدني، عمر.(1974). تاريخ بلاد الشام: من القرن السادس الى القرن السابع عشر. الدار المتحدة للنشر.

3- العتوم، علي.(1986).تجربة مؤتة.مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، الاردن

4- باشميل، محمد أحمد.(1974).غزوة مؤتة.ط2.دار الفكر

5- الدماغ، مصطفى مراد.(1980).الموجز في تاريخ الدول العربية وعهودها في بلادنا فلسطين. دار الطليعة للطباعة و النشر.

6- البعلبكي، منير.(1977). الاسلام والعرب.ط2، دار العلم للملايين.بيروت.

7- التل، أحمد يوسف.(2000).لماذا تراجع العرب.عمان.

8- العمايرة، خالد محمد.(2008).الحركة العلمية في بلاد الشام.وزارة الثقافة، عمان، الاردن.

9- البخيت،محمد عدنان.(2008).دراسات في تاريخ بلاد الشام (الاردن). وزارة الثقافة، الاردن.

10- العمري، عمر صلاح. (2007).حاضر العالم الاسلامي: الواقع وتطلعات. وزارة الثقافة، الاردن.

11- القضاة، خالد محمد والقضاة علي مصطفى، الربابعة حسين محمد. (2008). العالم الاسلامي: بين الماضي والحاضر. دار قنديل للنشر والتوزيع، عمان.

12- الزعبي، محمد فلاح.(2007). الاستعمار الامريكي الجديد للشرق الاوسط ملامحه وتداعياته. دائرة المكتبات الوطنية، عمان.

13- طشطوش، هايل عبد المولى.(2007). العولمة تأثيرات وتحديات. دار الكندي للنشر والتوزيع، عمان

14- موني، انابيل وايفانز، بيتسي.(2009). العولمة: المفاهيم الأساسية.(ترجمة: اسيا دسوقي). الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت.

15- فهمي، عبد القادر محمد. (2006). المدخل الى دراسة الاستراتيجية. دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان.

16- العتوم، مصطفى علي.(2007).اشكاليات السياسة العربية وقضاياها المصيرية.

17- شقره، علي خليل.(1991).دور اسرائيل في حرب الخليج. دار الابداع للنشر، عمان.

18- برهوم، محمود.(1991). نافذة على ازمة الخليج. مركز فارس للتصميم والطباعة، عمان.

19- المومني، صايل.(1987). نحو رؤية استراتيجية عربية موحدة: ازاء قضايا العصر. دار الافق الجديد.

20- رفعت، احمد واخرون. (1987). العنف والسياسة في الوطن العربي. (تحرير: اسامة الغزالي حرب). منتدى الفكر العربي، عمان، الاردن.

21- بكار، احمد.(1987). الواقع العربي الراهن وكيفية معالجته. مكتبة المحتسب، عمان، الاردن.

22- الفرحان، اسحق.(1999).مواقف وأراء سياسية في قضايا وطنية وعربية واسلامية. دار الفرقان، اربد، الاردن.

23- الاصبحي، احمد محمد.(1996). اوراق في المشروع العربي. دار البشير، عمان، الاردن.

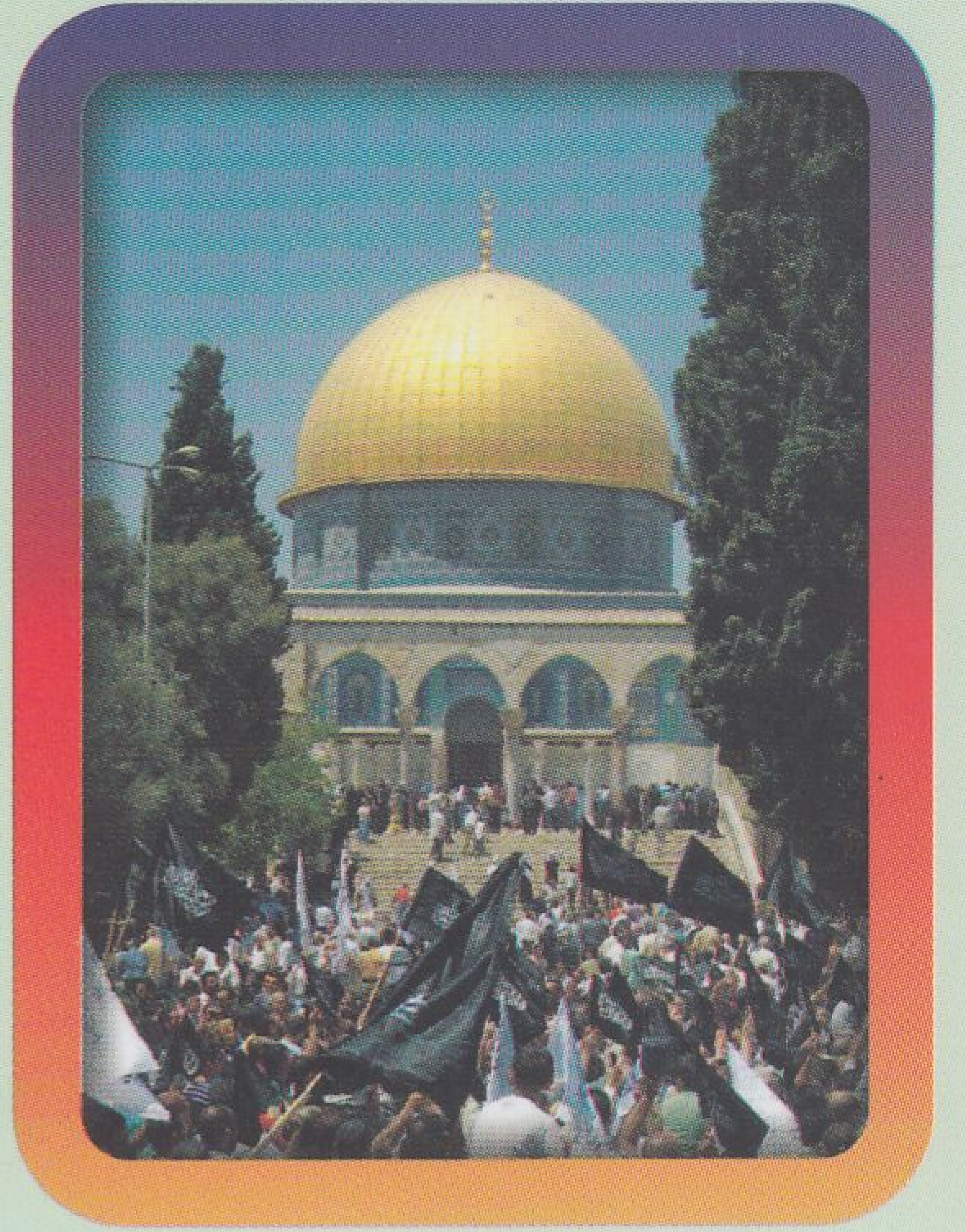
24- الصياد، محمد محمود وأخرون.(1977). المجتمع العربي والقضية الفلسطينية. (اعداد: حسن الساعاتي)، دار النهضة العربية، بيروت

25- السيد احمد، عزمي طه.(2008). الثقافة العربية وتحدياتها في عصر العولمة. وزارة الثقافة، عمان، الاردن.

26- التل، تحسين احمد.(2008). العولمة والعلمية.المركز القومي للنشر، اربد، الاردن.

27- ابي عاد، نـاجي وجرينـون، ميـشيل.(1999). النـزاع وعـدم الاسـتقرار في الـشرق الاوسط: الناس، النفط، التهديدات الأمنية (ترجمـة: محمـد النجـار)، الأهليـة للنـشر والتوزيع، عمان، الأردن.
28- فاليدي، فريد.(2002).ساعتان هزتـا العـالم:**11 أيلـول / سـبتمبر 2001** الأسـباب والنتائج، (ترجمة:عبد الله التميمي). دار الساقي، بيروت، لبنان.
29- كوبلاند، مايلز (1970). لعبة الأمم: اللاأخلاقية في سياسة القوة الأمريكية (تعريف محمد خير).مكتبة الزيتونة، بيروت.
30- البرازي، تمام.(1987).يوميات الفضيحة الايرانيـة الـصهيونية الأمريكيـة.دار الفكـر للنشر، عمان، الأردن
31- سيجفار، شموئيل.(1989.المثلث الايراني: المثلث الايراني: دراما العلاقات الايرانية الاسرائيلية. (ترجمة:دار الجليل).دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلـسطينية، عمان، الاردن.
32- الأصبحي، أحمد محمد.(2000). تطور الفكر السياسي: رواده، اتجاهاتـه، إشـكالياته. ج2، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
33- مشاقبة، أمين و آخرون.(1991).الدولة الفلـسطينية المـستقلة. (تحريـر: أحمـد سـعيد نوفل)، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، الأردن.
34- صالح، محسن محمد.(2004). دراسات منهجية في القـضية الفلـسطينية.دار الفرقـان للنشر و التوزيع، عمان، الأردن.
35- النتشة، رفيق شاكر.(1986) الاستعمار وفلسطين: اسرائيل مشروع استعماري. ط2. مطبعة بيت المقدس، عمان، الاردن.
36- أنيس، ابراهيم وآخرون.(1972). المعجم الوسيط. القاهرة، مصر.
37- عبد الباقي، محمد فؤاد.(1945). المعجم المفهرس لألفاظ القـرآن الكـريم.دار إحيـاء التراث العربي، بيروت.

38- سبيريوفيتش، شيريب.(1990). حكومة العالم الخفية.(ترجمة مأمون سعيد)، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
39- رزوق، أسعد.(1991). التلمود و الصهيونية.ط2، الناشر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان، بيروت، لبنان.
40- شفيق، منير.(1991). الفكر الاسلامي المعاصر والتحديات: ثوارات حركات كتابات.ط3، الناشر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان، بيروت، لبنان.
41- سنقرط، داوود عبد العفو.(1987). اليهود في المعسكر الشرقي.ط2، دار الفرقان، عمان، الاردن.
42- الشنتوت، خالد، أحمد.(1989). المسلمون والتربية العسكرية. مكتبة دار المطبوعات الحديثة، جدة.
43- منصور، حمزة وآخرون.(1988).قضايا شرق أوسطية،م ركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، الاردن.
44- حسنة، عمر عبيد.(1405 هـ).نظرات في مسيرة العمل الاسلامي.المحاكم الشرعية و الشؤون الدينية، قطر.
45- الفنجري، أحمد شوقي.(1983) الحرية السياسية في الاسلام.دار القلم، الكويت.
46- الكيلاني، ماجد عرسان.(1992).الامة الاسلامية:مفهومها، أفرادها، مقوماتها. عمان.
47- الدمشقي، إسماعيل بن كثير القرشي.(1969).تفسير القرآن العظيم.دار المعرفة للطباعة و النشر.
48- قطب،سيد.(1971). في ظلال القرآن.دار إحياء التراث العربي، بيروت،لبنان.
49- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم. لسان العرب.دار صادر،بيروت، لبنان.
50- نوفل، أحمد سعيد.(2007). دور إسرائيل في تفتيت الوطن العربي. مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت.



إستراتيجية الثورة

من الشعور بالمسؤولية الى المواجهة الشاملة

Revolution Strategy

الدكتور

عبدالله علي أبو السمن

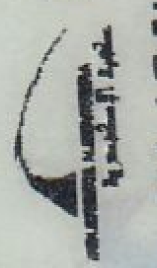
abdsamin@yahoo.com

ومع بوادر ظهور الضعف في المشروع الغربي اقتصاديا وعسكريا وأمنيا وسياسيا وتراجع هيبته أمام الدول, خاصة بعد خسارته الحرب على أفغانستان والعراق بفعل ضربات المجاهدين التي لم و لن تتوقف إلا بطرد الغرب عن أرضنا, والاستيلاء على إمكاناته وقواعده العسكرية في الخليج, بعدما كان يريد السيطرة بقوته العسكرية على المنطقة والعالم من خلال منظومته المفاهيميه التي شملت حربا صليبية نظيفة على الأمة الإسلامية وقلبها العربي من خلال الفوضى الخلاقة لتقسيم المنطقة حسب خارطة شرق أوسط جديد وإنتاج الحكومات الطرية بشعار من ليس معنا فهو ضدنا.

إضافة إلى ظهور بوادر الضعف في المشروع الصفوي وضعف أذرعه, فالحوثيوون لم ينجزوا انتصارا لمشروعهم في اليمن, ولم يتمكن شيعة البحرين من السيطرة على السلطة وبدأ سنة لبنان بالتجمع والتوحد بعد انكشاف طائفية مشروع المقاومة, وها هي سوريا فرس رهان المشروع الإيراني تعاني تحت حراك الثورة من أجل استعادتها لواقعها العربي, وها هو العراق يتلمس طريقه من خلال الخيار السلمي الشعبي في المظاهرات, وحماس والجهاد والتنظيمات الفلسطينية في حالة قلق حول خيارتهما في المرحلة المقبلة بعد أن وضعت المقاومة الفلسطينية بيضاتها في السلة السورية الإيرانية, إضافة إلى التحرك والتململ لدى العرب والسنة في إيران من أجل المطالبة بحقوقهم وحريتهم.

ومع كل مظاهر الضعف والتغيرات التي تجري في المنطقة العربية وحولها إلا أن الامة ال... من السنة الذين يسعون للحرية وبناء مشروع نهضة ليسوا الوحيدين على الأرض فالمشروع الغربي يعمل ضمن خطة لتقسيم المنطقة إلى دويلات أصغر حسب خارطة شرق أوسط ... وكذلك المشروع الشرقي الذي يريد تصدير الثورة والسيطرة على المنطقة والجميع يعمل ... ونجاح مشروعه.







جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع

الأردن - العبدلي مقابل عمارة جوهرة القدس



عالم الكتب الحديث

Modern Book's world

للنشر والتوزيع

الأردن - اربد - شارع الجامعة

تلفون: ٧٢٧٢٢٧٢ ٢ ٩٦٢+ / فاكس: ٧٢٦٩٩٠٩ ٢ ٩٦٢+

الرمز البريدي: (٢١١١٠) / صندوق البريد: (٣٤٦٩)

البريد الإلكتروني:

www.almalkotob.com almalktob@yahoo.com